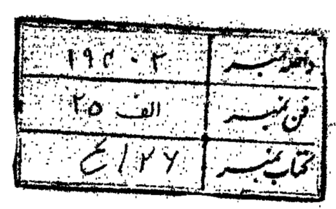
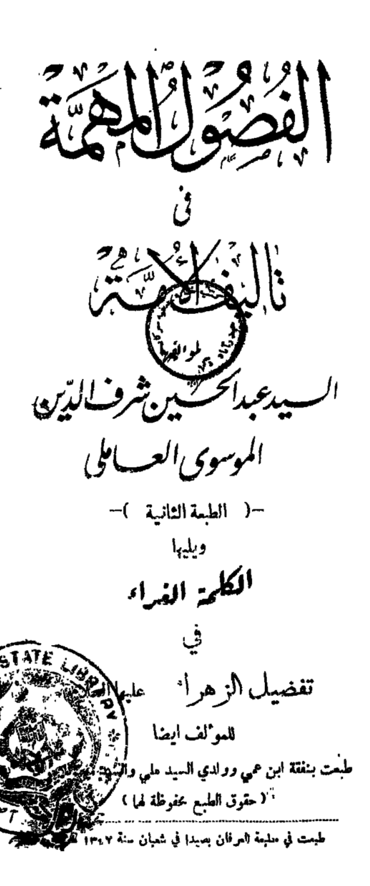




الفصول المهمة

في

تأليف الأمة

السيد عبد الحسين شرف الدين

الموسوي العاملي

—(الطبعة الثانية)—

ويليها

الكلمة الغراء

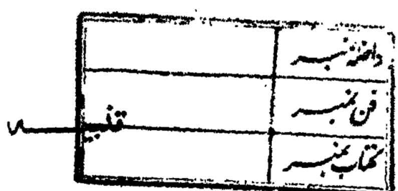
في

تفضيل الزهراء عليها السلام

للمؤلف ايضا

طبعت بنفقة ابن عمي ووالدي السيد علي والسيد [illegible]

طبعت في مطبعة العرفان بصيدا في شعبان سنة ١٣٤٧ [illegible]



تنبيـــه

توسعنا بالفصول المهمة في هذه الطبعة ، اكمالاً لفوائدها ، وإتماما لمقاصدها ، فظهرت اليوم بغير مظهرها أمس ، حتى كأنها غير الأولى ، فننبه المطالعين على تلك الى أنها لا تغنيهم عن هذه (وفي الحمية معنى ليس في العنب)

وما احق كتابي هذا بأن اخاطبه بقول ولي الدين يكن :

كتابي سِر في الارض واسلك فجاجها — وخلِّ عباد الله تتلوك ما تتلو

فما بك من اكذوبةٍ فأخافها — ولا بك من جهل فيزري بك الجهل

تنبيـــه آخر

لما كانت الكتب المتكرر طبعها مختلفة في عدد الصفحات ، لم نقتصر في مقام النقل عنها في هذا الكتاب وغيره على تعيين الصفحة فقط ، بل عينّا معها الباب أو الفصل مثلا ، ليرجع اليه من لم تكن صفحات النسخ التي عنده موافقة لصفحات النسخ التي عندنا ، فاحفظ هذه الجملة وانتبه



﴿ جدول الخطأ والصواب في الفصول ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٠٦	٨	يُكذبه	يَكذبه
١٧	١٤	وسبي	وسبي
١٧	١٤	او لم	ام لم
٢٢	١٧	فقال	قال
٢٥	٠٤	لاإاله	لاآله
٢٦	٠٨	نستلفت	نلفت
٢٦	٢٢	أخوة	إخوة
٣٠	٠٢	الاسلاميه	الإسلاميه
٤٣	٠٩	فقاتل	تقاتل
٤٧	١١	امن	آمن
٥٣	٠٦	فيها	فيهما
٥٣	١٩	تمنع	تمتع
٥٤	١٢	الا بالطلاق	لا بالطلاق
٥٦	١٣	نص	ونص
٥٦	٢٤	الحصنات	المحصنات
٥٨	١٤	الصفحة المذكورة	الباب المذكور
٦٣	١٥	صفحتي ٥٨ و ٦٢	صفحتي ٥٨ و ٦١
٨٧	٠٧	مألوماً	ألماً
٨٨	١٦	مألوماً	ألماً
٩٣	١٩	واالله	وآله

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٧	١١	له اداء	له عن اداء
١١٣	١٥	فاعتق	فأعتق
١٢٩	٠١	كفر معاداته	تحريم معاداته
١٣٥	٠٢	قواعدا	قواعد
١٥٣	١٦	كالاسماعيلية	كالآغاخانية
١٥٧	١٠	احدى عشر	احدى عشرة
١٦٤	١٧	واربعةعشرسورة	واربع عشرةسورة
١٧٠	١١	المذاهبالفقيه	المذاهب الفقهية
١٧٢	٠٤	إذ عصفت	إذا عصفت
١٧٢	١٧	نجى	نجا
١٧٣	٠٥	نجى	نجا
١٧٣	٠٧	نجى	نجا
١٧٣	٢٤	نجى	نجا
١٧٤	١١	رسول	رسول الله
١٧٤	٢٥	مروعاً	مرفوعاً



ا

فهرس مطالب الفصول المهمة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

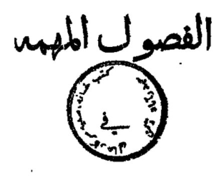
صفحة

صفحة





الفصول المهمة



في

(تأليف الأمة)

— « لمؤلفها » —

أحقر خدمة الدين الإسلامي وأفقر سدنة المذهب الإمامي

عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي العاملي

— الطبعة الثانية —

وفيها مطالب مهمة لم تكن في الطبعة الأولى اضفناها اليها اجابة للطالبين ونزولا على اقتراح بعض المؤمنين وتكميلاً لفوائدها وتتميماً لمقاصدها وعلقنا عليها تعليقة يجدر بالباحثين ان يقفوا عليها

طبعت في مطبعة العرفان بصيداء في شعبان سنة ١٣٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، محمد وآله الميامين ،

(١) لاتنسق امور العمران ، ولاتستتب اسباب الارتقاء ، ولاتنبث روح المدنية ، ولا تبزغ شموس الدعة من ابراج السعادة ، ولا نرفع عن اعناقنا نير العبودية بيد الحرية ، الا باتفاق الكلمة ، واجتماع الافئدة ، وترادف القلوب ، واتحاد العزائم ، والاجتماع على النهضة بنواميس الأمة ورفع كيان الملة ، وبذلك تهتز الارض طربا ، وتمطر السماء ذهبا ، وتتفجر ينابيع الرحمة من قلب المواساة ، فتجري في سهوب الترقي ، وتتفرق في بيد (٢) العمران ، واخاديد الحنان والاتحاد ، فتنتشر روح الانسانية من اجداثها ، وتحشر الملة الفطرية من رفاتها ، ويتبلج القسط بازغة انواره ، ويستوسق نظام العدل خافقة بنوده ، ويتفقد الحاكم امر رعيته ، تفقد الوالد العطوف امر ولده ، وعندها تجب موازرته في احياء مواتها ، وعمارة فلواتها ، ورتق ما انفتق ، واصلاح ما فسد ، وارشاد من ضل ، وجهاد من بغى ، واعانة من ضعف ، وتعليم من جهل .

«١» بسم الله الرحمن الرحيم يقول ناظم عقد هذه الفصول عبد الحسين شرف الدين الموسوي لما نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب التمس مني من لا تسعني مخالفتهم من المؤمنين من أهل سوريا والعراق وغيرهما أن أعيد طبعه وأن أتوسع فيه ليتضاعف نفعه فأجبتهم الى ذلك — وعلقت في اسفل صفحات الكتاب تعليقة نافعة جداً — والله نسأل ان يكون الكتاب وتعليقته خالصين لوجهه الكريم انه الرؤف الرحيم

«٢» جمع بيداء كبيض جمع بيضاء

اما اذا كانت الأمة اوزاعاً متباينة ، وشيعاً متباغضة ، لاهية بعيثها غافلة عن رقيّها ، لتكون حيث منابت الشيح ، ومهافي الريح ، اذلّ الامم دارا ، واجدبها قرارا ، مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وهدف السهام ، وقبسة العجلان ، في باحة ذل ، وحلقة ضيق ، وعرصة موت ، وحومة بلاء ، لاتأوي الى جناح دعوة ، ولا تعتصم بظل منعة ، فحذار حذار من بقاء الفرقة وتشتت الالفة ، واختلاف الكلمة ، وتنافر الأفئدة ، (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) الا وانّا في عصر العلم ، ودور الذكاء والفطنة ، قد تفجر لذوي العصر ينبوع الحكمة ، وتقشعت عن أبصارهم غياهب العشوة ، فزهر كهرباء النور من افكارهم ، واشرقت شموس الفضل من وجوههم ، فهلا شرعوا خطيّ اقلامهم وجردوا صوارمها ، ووتروا قسي افكارهم وناضلوا بشواقبها ، فازهقوا نفس العصبية ، ومحقوا آثارها ، وصدعوا بوظائف الانسانية ، ورفعوا امنارها ، وهتفوا بدعوة التمدن ، واعتنوا باتحاد التشيع والتسنن ، بخطابة تملأ مسمع الدهر وملامة تقلقل جلاميد الصخر . فمتى يطلقون عنان يراعتهم ، ويحملون على جيوش التوحش بيراعتهم ، وينهضون باجتماع الأملاء ، ويصدعون باسباب التمدن والارتقاء ، ويحذرون الأمة مما يصطلم حوزتها ، ويفرق جماعتها فإن الله سبحانه يقول (ولا تنازعوا فتفشلوا) وإني صادع بهذه المقاله شارع بعون الله تعالى في تصنيف رساله ، سميتها ﴿ الفصول المهمه في تأليف الأمه ﴾ (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) .

« فصل »

في نبذة مما جاء في الكتاب العزيز والسنة المقدسة من الترغيب في الاجتماع والالفة ، قال الله تبارك وتعالى (إنما المؤمنون اخوة) (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) (محمد رسول الله والذين معه) الى ان قال عز اسمه في وصفهم (رحماء بينهم) (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الى غير ذلك من الآيات الكريمة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا . أولا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم الدينُ النصيحةُ قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم والذي نفسي بيده لايؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم وهم يد على من سواهم ، فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا

تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مؤمنا ستره الله يوم القيامة . .

وقال الصادق عليه السلام المسلم اخو المسلم هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يُكذبه ولا يغتابه .

وقال عليه السلام لجماعة من شيعته اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متواضعين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وأحيوا امرنا .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اقربكم مني مجلساً احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وفي حديث آخر ان احبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان

وقال صلى الله عليه وآله وسلم المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على الجنة يضيء حسنهم كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم

لايفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون أولئك أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . فقيل من هم يا رسول الله فقال هم المتحابون في الله

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي .

وقال صلى الله عليه وآله ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي .

وعن باقر علوم النبيين عن آبائه الخلفاء الراشدين عن جدهم سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين من حديث طويل قال اذا كان يوم القيامة ينادي مناد اين جيران الله جل جلاله في داره فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم ماذا كان عملكم فصرتم به جيران الله في داره فيقولون كنا نتحاب في الله ونتباذل في الله ونتزاور في الله عز وجل قال فينادي مناد صدق عبادي خلوا سبيلهم لينطلقوا الى جوار الله بغير حساب .

وعن عبد المؤمن الأنصاري قال دخلت على الإمام ابي الحسن (الكاظم) عليه السلام وعنده محمد بن عبد الله الجعفري فتبسمت اليه فقال عليه السلام اتحبه قلت نعم وما احببته الا لكم فقال عليه السلام هو اخوك والمؤمن اخو المؤمن لأبيه وامه ملعون ملعون من اتهم اخاه ملعون ملعون من غش أخاه ملعون ملعون من لم ينصح أخاه ملعون ملعون من استأثر على أخيه ملعون ملعون من اغتاب أخاه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على الاخوة في الدين من اراد الله به خيراً رزقه خليلا صالحاً ان نسي ذكّره او ذكر

اعانه ومثل الأخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيراً .

وقال امير المؤمنين عليه السلام عليكم بالاخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة الا تسمعون الى قول اهل النار (فمالنا من شافعين ولاصديق حميم)

وعن جرير بن عبد الله قال بايعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

والأخبار في هذا متواترة والصحاح متظافرة واذا راجعت حديث الفريقين، رأيت الصبح قد اسفر لذي عينين، وفي هذا كفاية، لمن له من الله هدايه .

« فصل »
٢

في بيان معنى الإسلام والإيمان اللذين بهما ينال العبد غاية الرضوان ، وعليهما يكون المدار، وبوجودهما تترتب الآثار .

دعاني الى بيانهما اقناع اهل العصبية ، والتنديد بهؤلاء المرجفين على حمية الجاهلية . فاقول اجمع اخواننا اهل السنة على ان الإسلام والإيمان عبارة عن الشهادتين ، والتصديق بالبعث، والصلوات الخمس الى القبلة، وحج البيت، وصيام الشهر، والزكاة والخمس المفروضين[1]. وبهذا تعلمن

(١) وربما فرق بعضهم بين الإسلام والإيمان بفارق اعتباري والذي يظهر من قوله تعالى(قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) ان الاسلام عبارة عن مجرد الدخول في الدين والتسليم لسيد المرسلين وان الإيمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الاعتراف به في اللسان فيكون على هذا اخص من الاسلام ونحن نعتبر فيه الولاية مضافا الى ذلك فافهم .

الصحاح الستة وغيرها :

في البخاري بسنده قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من شهد أن لا إله الا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم .

وفيه ايضا بالإسناد الى أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا[1] الله في ذمته .

وفيه بالاسناد الى طلحة[2] بن عبيد الله قال جاء الى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم رجل من اهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله (ص) خمس صلوات في اليوم والليلة قال هل عليّ غيرها[3] قال لا. إلا أن تطوع قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصيام رمضان قال هل علي غيره قال لا . إلا ان تطوع قال وذكر له الزكاة قال هل علي غيرها قال لا. إلا ان تطوع قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أفلح إن صدق .

وفي صحيح البخاري ايضا بالإسناد الى نافع ان رجلا أتى ابن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن ما حملك على ان تحج عاما وتعتمر عاما وتترك الجهاد

---

(١) الإخفار نقض العهد وهذا الحديث والذي قبله مقيدان بما يدل على اشتراط الصوم والزكاة والحج كما لا يخفى .

(٢) هذا الحديث موجود في صحيح مسلم بهذا الاسناد ايضا

(٣) يعني من جنسها وكذلك المراد من قوله هل علي غيرها بعد ذكر الصيام والزكاة .

في سبيل الله ، وقد علمت مارغّب الله فيه ، قال يا ابن اخي بني الاسلام على خمس ، إيمان بالله ورسوله ، والصلاة الخمس ، وصيام رمضان ، واداء الزكاة ، وحج البيت .

وفيه ايضا بالإسناد الى ابي هريرة ، قال كان النبي صلى الله عليه وآله بارزا يوما للناس ، فأتاه رجل فقال ما الايمان قال صلى الله عليه وآله ، الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وتؤمن بالبعث ، قال ما الإسلام ، قال صلى الله عليه وآله ، الإسلام ان تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان. الحديث ، وآخره ثم ادبر (يعني السائل) فقال صلى الله عليه وآله ردّوه ، فلم يروا شيئاً ، فقال هذا جبرائيل ، جاء يعلم الناس دينهم .

قلت واخرج هذا الحديث مسلم ايضا في صحيحه بطرق مختلفة ، واسانيد متعددة ، بعضها عن عمر بن الخطاب ، وبعضها عن ابنه عبد الله ، وبعضها عن ابي هريرة ، وفيه شيء ما من زيادة او نقصان .

واخرج البخاري في عدة مواضع من صحيحه بالإسناد الى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله ، قال لوفد عبد القيس (لما امرهم بالايمان بالله وحده) أتدرون ما الايمان بالله وحده ، قالوا الله ورسوله اعلم ، قال شهادة ان لا إله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وان تعطوا من المغنم الخمس الحديث«١»

---

(١) واخرجه مسلم ايضا في عدة مواضع من صحيحه ولا يخفى ما فيه من الدلالة على ان الخمس ركن من اركان الاسلام كالصلاة والزكاة فيكون هذا الحديث مقيدا لجميع الأحاديث المطلقة بالنسبة الى الخمس ولا غرو فإن الكتاب والسنة يقيد بعضهما بعضا .

والأحاديث في هذا المعنى لا تكاد تحصى ، فمن ارادها فعليه بمظانها من الصحاح الستة وغيرها ، ولا سيما كتاب الايمان من صحيح مسلم ، فإن فيه ابواباً كثيرة ، تفيد القطع بأن الإسلام والايمان عند اهل السنة ليس الا ما ذكرناه ، على ان ما سنورده في الفصلين الآتيين صريح في ذلك ايضا ، فتدبر ولا تذهل .

« فصل »
٣

في نبذة مما صح عند اهل السنة والجماعة ، من الأحاديث الدالة على ان من قال لا إله الا الله محمد رسول الله محترم دمه وماله وعرضه ، اوردناها لينتبه الغافل ، ويقتنع الجاهـل ، وليعلما ان امر المسلمين ليس كما يزعمه اخوان العصبية ، وابناء الهمجية ، وحلفاء الحميه ، حمية الجاهلية ، الذين شقوا عصا المسلمين ، واضرموا نار الفتن بينهم ، حتى كانوا اوزاعا وشيعاً ، يكفر بعضهم بعضا ، ويتبرء بعضهم مـن بعض ، من غير امر يوجب ذلك ، الا ما نفخته الشياطين ، او نفثته ابالسة الإنس الذين هم انكى للإسلام من نسل آكلة الاكباد ، وهذا عصر العلم ، عصر الانصاف عصر النور ، عصر التأمل في حقائق الأمور ، عصر الاعراض عن كل تعصب ذميم ، والاخذ بكتاب الله العظيم ، وسنة نبيه الكريم ، واليك منها ما عقد الفصل لذكره .

اخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لمعـاذ بن جبل ، حين بعثه الى

اليمن ، إنك ستأتي قوما اهل كتاب ، فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا إله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم اطاعوا الك بذلك ، فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فإن هم اطاعوا لك بذلك ، فإياك وكرائم اموالهم الحديث«١» .

وتراه ينادي بثبوت الاسلام لهم ، بمجرد طاعتهم له بذلك ، بحيث تكون اموالهم حينئذ فضلا عن اعراضهم ودمائهم محترمة كغيرهم من افضل افراد المؤمنين .

ومثله ما في باب فضائل علي عليه السلام من الجزء الثاني من صحيح مسلم«٢» قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله ، (وفي رواية اخرى هي في الصحاح ايضا ويحبه الله ورسوله) يفتح الله على يديه ، قال قال عمر بن الخطاب ، ماأحببت الإمارة إلا يومئذ ، فتساورت لها رجاء ان أدعى لها ، قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن ابي طالب ، فاعطاه اياها ، وقال امش ولا تلتفت ، قال فسار علي شيئاً ، ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ يا رسول الله على ماذا اقاتل الناس ، قال قاتلهم حتى يشهدوا ان لا إله الا الله ،

«١» . واخرجه مسلم في صحيحه بالاسناد الى ابن عباس ايضا ولا يخفى تقييده بما دل على اشتراط طاعتهم له في الصوم والحج والخمس من الصحاح الأخر .

«٢» وهو موجود في باب غزوة خيبر من الجزء الثالث من صحيح البخاري وفي باب مناقب علي عليه السلام من الجزء الثاني منه ايضا بنوع ما من التغيير في الالفاظ

وان محمدا رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم .

واخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن اسامة بن زيد ، قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الحرقة ، فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم ، فلما غشيناه قال لا إله الا الله ، فكفّ الانصاري عنه ، فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك ، فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا إله الا الله ، قلت كان متعوذاً ، قال فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم .

قلت ما تمنى ذلك حتى اعتقد أن جميع ما عمله قبل هذه الواقعة (من إيمان وصحبة وجهادوصلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها) لا يذهب عنه هذه السيئة ، وأن اعماله الصالحة باجمعها قد حبطت بها ، ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على انه كان يخاف ان لا يُغفر له ، ولذلك تمنّى تأخر اسلامه عن هذه الخطيئة ، ليكون داخلا في حكم قوله (ص) « الاسلام يجبُّ ما قبله) ، وناهيك بهذا دليلا على احترام لا إله الا الله واهلها — واذا كانت هذه حال من يقولها متعوذاً ، فما ظنك بمن انعقدت بها نطفته ثم رضعها من ثديَيْ امه ، فاشتدَّ عليها عظمه ، ونبت بها لحمه ، وامتلأ من نورها قلبه ، ودانت بها جميع جوارحه ، فليتنبه ، اهل العناد عن غيهم وليحذروا غضب الله تعالى وسخط نبيهم ، صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي الصحيحين بالاسناد الى المقداد بن عمرو ، أنه قال يا رسول الله ، أرأيت ان لقيت رجلا من الكفار ، فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة ، فقال اسلمت لله ، أأقتله يا رسول الله بعد ان قالها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقتله ، فإن قتلته فإنه

بمنزلتك قبل ان تقتله«١» وإنك بمنزلته قبل ان يقول كلمته التي قال«٢» .

قلت ليس في كلام العرب ولا غيرهم عبارة هي أدل على احترام الإسلام واهله من هذا الحديث الشريف ، واي عبارة تكايله في ذلك أو توازنه ، وقد قضى بأن المقداد على سوابقه وحسن بلائه ، لو قتل ذلك الرجل لكان بمنزلة الكافرين المحاربين لله ولرسوله ، وكان المقتول بمنزلة واحد من اعاظم السابقين ، واكابر البدريين الاحديين ، وهذه اقصى غاية يؤمها المبالغ في احترام اهل التوحيد ، فليتق الله كل مجازف عنيد .

واخرج البخاري في باب بعث علي عليه السلام وخالد الى اليمن ، أن رجلا قام فقال يا رسول الله اتق الله ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ، ويلك الست احق اهل الارض ان يتقي الله ، فقال خالد يا رسول الله الا اضرب عنقه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم لا لعله ان يكون يصلي«٣»

قلت اعظم بهذا الحديث ودلالته على احترام الصلاة واهلها ، واذا كان احتمال كونه يصلي مانعاً من قتله ، وقد اعترض على النبي صلى الله

«١» يعني انه يكون من عدول المؤمنين لأن المقداد كان كذلك .

«٢» يعني انه يكون بمنزلة الكافر الحربي لأن المقتول كان كذلك قبل ان يقول كلمته التي قالها .

«٣» واخرجه احمد بن حنبل من حديث ابي سعيد الخدري في صفحة ٤ من الجزء الثالث من مسنده . ومثله ما نقله العسقلاني (في الإصابة في ترجمة سرحوق المنافق) من انه لما أتي به ليقتل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل يصلي قالوا اذا رآه الناس قال اني نهيت ان اقتل المصلين اه . وكذلك ما اخرجه الذهبي في ترجمة عامر بن عبدالله بن يساف من ميزانه بسند ضعيف عن أنس قال ذكر عند النبي (ص) رجل فقيل ذاك كهف المنافقين فلما اكثروا فيه رخص لهم في قتله ثم قال هل يصلي قالوا نعم صلاة لا خير فيها قال «ص» اني نهيت عن قتل المصلين قلت اذا كانت هذه حاله مع المنافقين المرائين بصلاتهم فما ظنك بالمحافظين عليها والخاشعين المخلصين لله فيها

عليه وآله وسلم جهرة وكاشفه علانية ، فماظنك بمن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم الشهر ، ويحج البيت ، ويحلل الحلال ، ويحرم الحرام ، ويتعبد بقول النبي (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره ، ويتقرب الى الله تعالى بحبه ، وبموالاة اهل بيته ، ويرجو رحمة الله عز وجل بشفاعته ، متمسكاً بثقليه ، معتصما بحبليه ، يوالي وليه ، وان كان قاتل ابيه ، ويعادي عدوه ، وان كان من خاصته واهليه .

واخرج البخاري في باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ، حيث ذكر مقتل عمر (رض) والحديث طويل ، وفيه يا ابن عباس انظر من قتاني فجال ساعة ثم جاء ، فقال غلام المغيرة ، قال الصنع ، قال نعم ، قال قاتله الله ، لقد امرت به معروفا ، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام ، قد كنت انت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة ، فقال ان شئت قتلناهم ، قال كذبت بعد ان تكلموا بلسانكم ، (اي اقروا بالشهادتين) وصلوا قبلتكم ، وحجوا حجكم ، الحديث .

والظاهر من قوله الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام ، (بقرينة ماستسمعه من رواية ابن قتيبة وابن عبد البر) انه كان يخشى ان يكون قاتله مسلما ، فيغفر له بسبب اسلامه ، فلما عرف أنه ممن لا يدعي الإسلام ، علم ان الله آخذ بحقه على كل حال ، وفي هذا من الدلالة على حسن عواقب المسلمين ، ما لا تسعه عبارة .

ثم اذا نظرت الى انكاره على ابن عباس ، وقوله له معجلاته كذبت الى آخر كلامه دلك ذلك على احترام اهل الشهادتين والصلاة والحج كيف كانوا ، وفي صفحة ٢٦ من كتاب الامامة والسياسة للإمام المجمع على فضله ابن قتيبة المتوفى سنة مائتين وسبعين ، أن عمر لما اخبر أن قاتله

غلام المغيرة ، قال الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يحاجني بلا آله الا الله يوم القيامة .

وروى الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ، في ترجمة عمر من الاستيعاب ، أنه قال لولده عبد الله ، الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بلا آله الا الله اه .

قلت اذا كان صاحب لا إله الا الله ، بحيث لو قتل عمر بن الخطاب وهو الخليفة الثاني لحاجه بها ، فامر اهل التوحيد اذن سهل يسير ، فليتق الله اهل الشقاق ، ولينهض رجال الاصلاح بأسباب الوئام والوفاق ، فقد نصب الغرب لنا حبائله ، ووجه نحونا قنابله ، واظلتنا منطاده بكل صاعقة ، واقلتنا نفقه بكل بائقه ، واحاط بنا اسطوله ، وضربت في اطلالنا طبوله ، ولئن لم يعتصم المسلمون بحبل الاجتماع ، ويبرأوا الى الله من هذا النزاع ، ليكونن اذلاء خاسئين ، وارقاء صاغرين ، (اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) .

واخرج البخاري عن أنس ، (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله ، فإذاقالوها ، وصلوا صلاتنا ، واستقبلوا قبلتنا ، وذبحوا ذبيحتنا ، حرمت علينا دماؤهم واموالهم اه .

قلت هل بقي بعد هذه الأحاديث الصحيحة ، والنصوص الصريحة ، ملتمس لشغب المشاغب ، أو مطمع يتشبث به الناصب ، كلا ورب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ان دين الاسلام بريئ مما يزعمه المرجفون ، مناقض لما يحاوله المجحفون ، (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) .

وفي الصحيحين بالإسناد الى ابن عمر، (رض) قال قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بمنى، (وقد اشار الى مكة المعظمة) اتدرون اي بلد هذا، قالوا الله ورسوله اعلم، قال فإن هذا بلد حرام، أتدرون اي يوم هذا، قالوا الله ورسوله اعلم، قال إنه يوم حرام، أتدرون اي شهر هذا، قالوا الله ورسوله اعلم، قال شهر حرام، قال فإن الله حرم عليكم دماءكم واموالكم واعراضكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اه .

والصحاح الستة وغيرها مشحونة من هذه الأخبار، وهي اشهر من الشمس في رائعة النهار .

فليت شعري اي عذر لمن اعتمد عليها، وانحصر رجوعه في احكام الدين اليها، ثم خالف في ذلك احكامها، ونبذ وراء ظهره كلامها(١) بلى انهم مرجفون، والامر على خلاف ما يظنون .



(١) كالشيخ نوح الحنفي ، حيث افتى (مع وجود هذه الصحاح وامثالها) بتكفير الشيعة ، واوجب قتالهم ، واباح قتلهم وسبي ذراريهم ونسائهم ، سواء تابوا او لم يتوبوا ، فراجع فتواه هذه في باب الردة والتعزير من كتاب الفتاوى الحامدية الشهير ، وسنذكرها بعين لفظه ، في الفصل التاسع من هذه الفصول ، مزيفين لها بالادلة القاطعة والبراهين الناصعة ، فراجع ذلك الفصل واعلم أن الفصول الثمانية التي قبله انما هي مقدمة للرد على هذه الفتوى القاسية - وما الفنا هذا الكتاب الا لهذه الغاية ، اذ لم اجد احدا قام بهذا الواجب ، والحمد لله على التوفيق لأدائه كما يجب

« فصل »

٤

في يسير من نصوص أئمتنا عليهم الصلاة والسلام ، في الحكم بإسلام اهل السنة ، وأنهم كالشيعة في كل أثر يترتب على مطلق المسلمين ، وهذا في غاية الوضوح من مذهبنا ، لا يرتاب فيه ذو اعتدال منا ، ولذا لم نستقص ماورد من هذا الباب ، اذ ليس من الحكمة توضيح الواضحات وهاك ماعقد الفصل للإشارة اليه .

قال الإمام ابو عبدالله الصادق عليه السلام ، في خبر سفيان بن السمط الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس ، شهادة أن لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإقام الصلاة ، وإيتـاء الزكوة ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان الحديث .

وقال سلام الله عليه ، في خبر سماعة ، الإسلام شهادة ان لا إله الا الله ، والتصديق برسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وبه حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث ، وعلى ظاهره جماعة الناس . الحديث .

وقال الإمام ابو جعفر الباقر عليه السلام ، في صحيح حمران بن اعين من جملة حديث (والاسلام ما ظهر من قول او فعل ، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها ، وبه حقنت الدمـاء ، وعليه جرت المواريث ، وجاز النكاح ، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج فخرجوا بذلك عن الكفر ، واضيفوا الى الايمان) اه

الى آخر ما هو مأثور عنهم في هذا المعنى ، مما لا يمكنني استيفاؤه ولا يسعني استقصاؤه ، وهذا القدر كاف لما اردناه ، موضح لما قصدناه .

« فصل »

٥

في طائفة مما صح عند اهل السنة، من الأحاديث الحاكمة بنجاة مطلق الموحدين، أوردناها ليُعلم حكمها بالجنة، على كل من الشيعة والسنة، والغرض بعث المسلمين على الاجتماع، والتنديد بهم على هذا النزاع، والتنبيه لهم على ان هذا التدابر بينهم عبث محض، وسفه صرف بل فساد في الارض، وإهلاك للحرث والنسل، ضرورةَ انه متى كان الدين حاكماً على كل منهما بالإيمان، معلنا بفوزهما في اعلى الجنان، لايبقى لنزاعهما غرض تقصده الحكماء، او أمر يليق بألباب العقلاء، - لكن مُني المسلمون بجماعة ذهلوا عن صلاحهم، وغفلوا عن حديث صحاحهم، واليك منه ما عقد الفصل لذكره .

اخرج البخاري «١» في صحيحه عن ابي ايوب الانصاري (رض) ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال القوم ماله ماله، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اَرِبٌ ما له، فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم، ذرها، قال كأنه كان على راحلته .

واخرج ايضا بسنده أن اعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة، قال صلى الله عليه وآله، تعبد

«١» وفي صحيح مسلم من هذا النوع احاديث وافرة فراجع منه باب الإيمان الذي يُدخل به الجنة في الجزء الأول منه وباب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار وهو في الجزء الأول ايضا تجد فيه من البشائر ماتقر به عين المؤمن بالله واليوم الآخر

الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان ، قال والذي نفسي بيده ، لا أزيد على هذا ، فلما ولّى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا اه .

قلت ظهر لي من أخبار أخر أن هذا الاعرابي انما هو مالك بن نويره بن حمزة التميمي «١» .

وفي صحيح البخاري بالاسناد الى عبادة ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من شهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وان عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل «٢» .

وفي البخاري ايضا عن جنادة مثله إلاّ انه زاد فيه

«١» وكان رجلاً سرياً نبيلاً يردف الملوك، وهو الذي يضرب به المثل فيقال مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك وكان فارساً شاعراً مطاعاً في قومه وكان فيه خيلاء وتقدم وكان ذا لمة كبيرة وكان يقال له الجفول قدم على النبي «ص» فأسلم وحسن اسلامه فولاه «ص» صدقة قومه وحج معه حجة الوداع وشهد خطبته يوم غدير خم بالولاية لعلي فكان بعدها من المتفانين في ولايته قتله خالد بن الوليد يوم البطاح ونكح زوجته وكانت في غاية الجمال وجعل رأسه أثفية لقدر فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام وما خلصت النار اليه نص على ذلك وثيمة بن موسى بن الفرات كما في ترجمته من وفيات ابن خلكان وذكره الواقدي وكثير من أهل السير والأخبار وعللوا عدم خلوص النار الى شواه بكثرة شعر رأسه وهو كما ترى ، وقد أشرنا إلى هذه القضية حيث ذكرنا خالد بن الوليد في فصل المتأولين وهو الفصل الثامن من هذه الفصول فراجع .

«٢» أي مع ما كان منه من الأعمال سواء كانت مرضية لله تعالى اوغير مرضية

(من ابواب الجنة الثمانية ايها شاء دخل)

وفيه عن ابي ذر (رض) ، قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ ، فقال ما من عبد قال لا إله الا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، قلت وانْ زنى وان سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن زنى وإن سرق ، على رغم انف ابي ذر

وفيه من ابي ذر ايضا ، قال قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال جبرائيل ، من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة او لم يدخل النار ، قلت وإن زنى وإن سرق ، قال وإن اه .

وفيه عنه ايضا ، قال خرجت ليلة من الليالي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده ، وليس معه انسان ، قال فظننت انه يكره ان يمشي معه أحد ، فجعلت امشي في ظل القمر ، فالتفت فرآني ، فقال من هذا؟ قلت ابو ذر ، جعلني الله فداءك ، قال يا أبا ذر ، تعاله - قال فمشيت معه ساعة ، فقال إن المكثرين في الدنيا هم المقلون يوم القيامة ، إلا من أعطاه الله خيرا ، فنفخ فيه بيمينه وشماله ، وبين يديه ووراءه ، وعمل فيه خيرا ، قال فمشيت معه ساعة ، فقال لي اجلس هاهنا حتى ارجع اليك ، قال فانطلق في الحرة حتى لا أراه ، فلبث عني فأطال اللبث ، ثم اني سمعته وهو مقبل وهو يقول ، وان سرق وإن زنى ، فلما جاء لم اصبر حتى قلت له يانبي الله ، جعلت فداءك ، من تُكلِّمُ في جانب الحرة ، ما سمعت احدا يُرجِعُ اليك شيئاً ، قال ذلك جبرائيل ، عرض لي في جانب الحرة فقال بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت يا جبرائيل وإن سرق وإن زنى ، قال نعم ، قلت وإن سرق وإن زنى ،

قال نعم ، قلت وإن سرق وإن زنى ، قال نعم وإن شرب الخمر انه ؛

قلت الظاهر ان الزنا والسرقة وشرب الخمر هنا كناية عن مطلق الكبائر ، فيكون المراد أن من مات على التوحيد دخل الجنة ولم يدخل النار ، وإن ارتكب الكبائر ، على حد قوله في الحديث السابق اعني حديث عبادة (على ما كان من العمل) .

تنبيه

يجب ان يعلم ان عصاة المؤمنين ، يعذبون يوم القيامة على قدر ذنوبهم ، ثم ينالون الكرامة ، في دار المقامة ، على ذلك اجماع اهل البيت وشيعتهم ، بل هو من الضروريات عندهم .

فالأخبار الحاكمة بنجاة اهل القبلة ، على ما كان من العمل ، ليست ناظرة الى ان العصاة منهم لا يرون العذاب اصلا ، وإنما المراد انهم لا يخلدون كما يخلد الكفار ، وبهذا لا يبقى لهم تمسك بهذه الأحاديث ونحوها ، وليس لهم بما اجترحوا الا التوبة والندم ، أو العذاب في جهنم على قدر ما يستحقون ، أو يتداركهم الله بعفوه وغفرانه وشفاعة الشافعين عليهم السلام .

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل ، قال بينا انا رديف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل ، فقال يا معاذ ، قلت لبيك رسول الله وسعديك ، ثم سار ساعة ، ثم قال يا معاذ ، قلت لبيك رسول الله وسعديك ، ثم قال يا معاذ ، قلت لبيك رسول الله وسعديك ، قال هل تدري ما حق الله على عباده ، قلت الله ورسوله اعلم ، قال حق الله على عباده ان يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، ثم سار ساعة فقال

يا معاذ بن جبل ، قلت لبيك رسول الله وسعديك ، قال هل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوه ، قلت الله ورسوله أعلم ، قال حق العباد على الله ان لا يعذبهم .

وفي صحيح البخاري عن عتبان ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله ، يبتغي به وجه الله ، إلا حرم عليه النار .

وفيه عن عتبان بن مالك الإنصاري ايضا ، أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فسأله أن يأتي بيته فيصلي فيه ليتخذه مصلى [1] قال عتبان فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى بنا ركعتين ، وحبسناه على حريرة إلى أن قال ، فثاب في البيت رجال ذوو عدد ، فقال قائل منهم أين مالك ابن الدخشن [2] فقال بعضهم ذلك منافق ، لا يحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ، لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله ، يريد بذلك وجه الله ، قال فإنا نرى وجهه ونصيحته الى المنافقين ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله الا الله ، يبتغي بذلك وجه الله ،

وهذا الحديث اخرجه مسلم في صحيحه بطرق متعددة ، وآخره عنده أليس يشهد ان لا إله إلا الله ، واني رسول الله ، قالوا إنه يقول ذلك وما هو في قلبه ، قال صلى الله عليه وآله ، لا يشهد احد انه لا إله إلا

«١» ما يقول الوهابية في هذا الحديث الصحيح ومنافاته لمذهبهم (٢) هكذا في النسخة التي تحضرني من صحيح البخاري والظاهر انه ابن الدخشم بالميم ابن مالك ابن الدخشم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف شهد بدرا وما بعدها وهو الذي اسر يوم بدر سهيل بن عمرو ومع هذا فقد كان معروفا بالنفاق والله أعلم بحاله .

الله ، وأني رسول الله ، فيدخل النار أو تُطعَمهُ — قال أنس فأعجبني هذا الحديث ، فقلت لابني اكتبه فكتبه اهـ — قلت أي عبارة أدل على نجاة كافة الموحدين من هذه العبارة ، وأي بشارة في الجنة لمطلق المسلمين اعظم من هذه البشارة ، والعجب ممن لايرتاب في صحتها ، وهو مع ذلك يحكم بنقيض دلالتها ، (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ، أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم) .

وأخرج البخاري في الصحيح عن أنس ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول الله تعالى لأهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الارض من شيء ، أكنت تفتدي به ، فيقول نعم ، فيقول الله تعالى ، أردت منك اهون من هذا ، وأنت في صلب آدم ، أن لاتشرك بي شيئا ، فأبيت إلا أن تشرك بي .

قلت ظاهر هذا انه إنما ابتلي بعذاب النار لأنه أبى إلا أن يشرك ، ولولا ذلك لنجا ، فعلم أن اهل التوحيد ناجون ، — وايضا دل الحديث على ان أهون اهل النار عذابا هذا المشرك فعلم ان ليس فيها موحدا اذ لو كان هناك موحد لكان أهون عذابا من هذا المشرك[1] وهذا خلاف صريح . الحديث .

وفي الصحاح الستة ، ومسند احمد وكتب الطبراني وغيرها من هذا كثير ، ولاسيما احاديث الشفاعة ، حتى يقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فيما اخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين) أخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان ، — ولو اردنا

«١» لأن الموحد من المسلمين وإن جاء بأعظم الجرائم لا يعذب عذاب المشرك وإن لم يأت بغير الإشراك من الذنوب .

إيراد ما في الصحيحين من احاديث الشفاعة المشتملة عـلى اعظم البشائر لطال المقام ، لكنا أشرنا اليها ليراجعها من أرادها — عـلى ان الشيخين (البخاري ومسلما) اخرجا في صحيحيهما عن عثمان بن عفان ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال من مات وهو يعلم ان لا إآله إلا الله دخل الجنة — وهذا ظاهر بأن مجرد العلم بالوحدانيـة موجب لدخول الجنة — ومثله ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من علم ان الله ربه واني نبيه صادقاً عن قلبه ، حرم الله لحمه عـلى النار — وهذه الأخبار أجلى من الشمس في رائعة النهار ، وصحتها اشهر من نار على علم ، فيها من البشائر ، ما ربما هون عـلى المسلم موبقات الكبائر فدونك ابوابها في كتب أهل السنة لتعلم حكمها عليك وعليهم بالجنة[١] وكلما ذكرناه شذر من بذر ، ونقطة من لجج بحر ، اكتفينا منها بما ذكره البخاري في كتابه ، وكرره بالأسانيد المتعددة في كثير من ابوابه ، ولم نتعرض لما في باقي الصحاح ، اذ انشق بما ذكرناه عمود الفجر واندلع لسان الصباح — وان عندنا صحاحا أخر فزنا بها من طريق أئمتنا الاثني عشر :

روتهـا هداة قولهم وحديثهم　　روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

فهي السنّة التالية للكتاب ، وهي الجُنة الواقيـة من العذاب — واليكها في أصول الكافي وغيره تعلن بالبشائر ، لأهـل الايمان بالله

(١) لأن كلا من الإمامية والسنية يؤمنان بالله ويصدقان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقيمان الصلاة ويؤتيان الزكاة ويحجان البيت ويصومـان الشهر ويوقنان بالبعث ويحللان الحلال ويحرمان الحرام كما تشهد به أقوالهما وأفعالها وتحكم به الضرورة من كتبهما القديمة والحديثة مختصرة ومطولة .

ورسوله واليوم الآخر لكنها تخصص مـا سمعته من تلك العمومات المتكاثرة ، بولاية آل رسول الله وعترته الطاهرة ، الذين قرنهم بحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، ونص على انهم سفن النجـاة اذا طغى زخّار الفتن ، وأمان الأمـة اذا هاج اعصار المحن ، ونجوم الهداية ، اذا ادلهمّ ليل الغواية ، وباب حطة لا يُغفر الا لمـن دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لهـا – ولا غرو فإن ولايتهم مـن أصول الدين ، وقد أقمنـا على ذلك قواطع الحجج وسواطع البراهين ، أدلة عقلية ، وحججاً نقلية نستلفت الباحثين الى الوقوف عليها في كتابنـا (سبيل المؤمنين) اذ اوضحنا فيه المسالك واطمنا بقوة برهانه كل ديجور حالك ، والحمد لله رب العالمين .

« فصل »
٦

في لمة مما أفتى به علماء اهل السنة ، من إيمان أهل التوحيد مطلقا ، ونجاة اصحاب الشهادتين جميعاً ، – اوردناها ليعلم الناس توافق النص والفتوى في ذلك – والغرض لم شمث المسلمين باجتماعهم ، ورتق ماانفتق بتدابرهم ونزاعهم – لأن العاقـل إذا رأى نصوص صحاحه ، وفتاوى علمائه ، تحكم بالايمان على مطلق اهل التوحيد ، وتعلن نجاة جميع اصحاب القبلة ، لا يبقى بعدها أمر يدعوه الى هذه النفرة ، او يصده عن الوئام والإلفة ، (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض) فما بالهم (وهم في الدين أخوة) قد انشقت عصاهم ، واختلفت مذاهبهم فهاج بينهم

فسطال الشر ، وتعلقت اهواؤهم بفواقر الفتن ، ولو رجعوا الى ما أفتى به المنصفون من علمائهم لأيقنوا أن الأمر على خلاف ما زعم المرجفون واليك منه ما عقد الفصل لبيانه .

ذكر العارف الشعراني في المبحث ٥٨ من اليواقيت والجواهر ، أنه رأى بخط الشيخ شهاب الدين الاذرعي صاحب القوت ، سؤالاً قدمه الى شيخ الإسلام تقي الدين السبكي ، وصورته — ما يقول سيدناومولانا شيخ الإسلام في تكفير اهل الاهواء والبدع ، (قال) فكتب اليه اعلم يا اخي ، أن الإقدام على تكفير المؤمنين[1] عسر جدا ، وكل من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير اهل الاهواء والبدع ، مع قولهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإن التكفير امر هائل عظيم الخطر — الى آخر كلامه وقد اطال في تعظيم التكفير وتفظيع خطره ، ودونك يواقيت الشعراني ، فإنها تنقل الجواب عن خط السبكي على طوله ، وفي آخره ما هذا لفظه : فالأدب من كل مؤمن ، أن لا يكفر احدا من اهل الاهواء والبدع ، اللهم إلا ان يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عنادا وجحودا ، فللعلماء في ذلك النظر — هذا كلامه ولا يخفى تصريحه بقصر التكفير على مخالف النصوص الصريحة عنادا لله وجحودا لما عُلم حكمه بالضرورة من دين الإسلام ، وقد دقّ في هذه الفتوى اصلاب المرجفين ، واستلّ السنة المتشدقين ، وقطع أمل من يبتغي تفريق المسلمين ، من كل أفاك أثيم — وفي الصفحة العاشرة من طبقات الشعراني ما لفظه وسُئل سيدنا ومولانا شيخ الإسلام تقي الدين السبكي عن حكم تكفير غلاة المبتدعة ، واهل الاهواء ، والمتفوهين بالكلام على

(١) أنظر كيف أطلق لفظ المؤمنين على أهل الاهواء والبدع بدون تكلف .

الذات المقدسة ، فقال (رضي الله عنه) إعلم أن كل من خاف الله عز وجل ، استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم اورد جواب السبكي وهو طويل ، جاء في آخره ما هذه الفاظه : فما بقي الحكم بالتكفير ، الا لمن اختاره دينا وجحد الشهادتين ، وخرج عن دين الاسلام جملة اه — قلت الظاهر من اختلاف عبارة السؤالين والجوابين ، كونهما متعددين كما لايخفى ، واذا كان كلام هذا الامام الكبير ، معلناً باختصاص الكفر بمن جحد الشهادتين ومنادياً بالتنزيه لأهل الاهواء والبدع ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة من أهل القبلة ، فأي وقع بعده لكلام المرجفين ، وتحكم المشاغبين واذا كان هذا حكمه في المتفوهين بالكلام على الله عز وجل ، فما ظنك بمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى — وقال الشيخ الأكبر ابن العربي في باب الوصايا من فتوحاته — اياكم ومعاداة اهل لا إله إلا الله ، فإن لهم الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو اخطأوا وجاءوا بقراب الارض من الخطايا وهم لا يشركون بالله شيئاً ، فإن الله يتلقى جميعهم بمثلها «١» مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته — واطال الى ان قال ، واذا عمل احدكم عملا توعّد الله عليه بالنار ، فليمحه بالتوحيد ، فإن التوحيد يأخذ بناصية

(١) هذا مأخوذ من حديث أخرجه الترمذي وصححه ، رواه بالاسناد الى أنس قال سمعت رسول الله (ص) يقول : قال الله تعالى ، — يا ابن آدم ، انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ، على ما كان منك ، ولا أبالي ، — يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ، — يا ابن آدم ، انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ، ثم لقيتني لاتشرك بي شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة اه — وهذا الحديث ذكره الفاضل النووي في اربعينه وهو الحديث الأخير مما انتخبه من الأحاديث الصحيحه .

صاحبه ، لا بد من ذلك .

هذا كلامه وفيه ما تراه من الحكم على جميع اهل التوحيد بالولاية لله عز وجل ، والبشارة للمخطئين والمجرمين منهم بالمغفرة ، والجزم بأن التوحيد يمحو الكبائر ، ويأخذ بناصية صاحبه والحمد لله رب العالمين .

وقال الفاضل الرشيد في صفحة ٤٤ من المجلد السابع عشر من مناره ان من اعظم ما بليت به الفرق الإسلامية رمي بعضهم بعضاً بالفسق والكفر مع ان قصد كل الوصول الى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة اليه ، فالمجتهد وإن أخطأ معذور — وقد اطال الكلام في هذا الموضوع حتى بلغ الصفحة ٥٠ من ذلك المجلد فراجع .

وقال المعاصر النبهاني البيروتي في أوائل كتابه شواهد الحق (١) اعلم اني لا اعتقد ولا أقول بتكفير أحد من اهل القبلة ، لا الوهابية ولا غيرهم ، وكلهم مسلمون ، تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والايمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما جاء به من دين الاسلام الى آخر كلامه — وعقد العارف الشعراني ، في الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر ، مبحثاً مسهباً لثبوت الايمان لكل موحد يصلي الى القبلة ، وهو المبحث ٥٨ ، قال في آخره ، فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث ، أن جميع العلماء المتدينين ، أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من اهل القبلة (فبهداهم اقتده) اه — ونقل جماعة كثيرون منهم

(١) طبع هذا الكتاب وفي هامشه رسالة للنبهاني ايضاً في فضائل معاوية سماها البديعة في اقناع الشيعة وقد نقضناها بكتاب يكون بحجمها ثلاث مرات سميناه الذريعة الى نقض البديعة .

الشعراني في المبحث المتقدم ذكره ، عن أبي المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة ، انهم كانوا يقولون ، لا يكفر احد من المذاهب الاسلامية لأن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ، قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه مـا علينا اهـ - قلت وقد ذكرنا في الفصول السابقة جملة من النصوص في هذا المعنى والصحاح مشحونة به فراجع ، - وقد بالغ الشيخ ابو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول ، باثبات الاسلام لكل فرد من اهل القبلة ، وجزم بنجاة الجميع من كل فرق الاسلام ، واوّل الحديث المشهور ، اعني حديث (تفترق أمتي ثلاثاً وسبعين فرقه فرقةٌ ناجية والباقون في النار) .

بل قال انه روي في بعض طرق هذا الحديث ما نصه (كلها في الجنة الا واحدة «١») .

واطال في اثبات الايمان لكل مصدق بالشهادتين من اهل الاهواء والبدع ، كالمعتزلة والنجارية والروافض «٢» والخوارج والمشبهة ونحوهم وحكم بنجاة الجميع يوم القيامة ، ونقل القول باسلام الجميع ، عن جمهور العلماء والخلفاء ، من ايام الصحابة الى زمنه ، - قال وهم من اهل الاجابة بلا شك ، فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى الى آخر كلامه وهو طويل نقله لي بعض مشائخي مشافهة عن سراج العقول واورده الشعراني بتمامه في المبحث ٥٨ من يواقيته نقلا عن ذلك الكتاب ايضا فراجع .

وقال ابن تيمية في اوائل رسالة الاستغاثة وهي الرسالة ١٢ مـن

(١) أخرجه ابن النجار ونقل الشعراني عند إيراده في المبحث ٥٨ من اليواقيت عن العلماء ان المراد بهذه الواحدة التي هي في النار إنما هي الزنادقة .

(٢) هذه عبارته نقلناها بدون تصرف .

مجموعة الرسائل الكبرى«١» ما هذا لفظه ، ثم اتفق اهل السنة والجماعة على انه صلى الله عليه وآله وسلم ، يشفع في اهل الكبائر ، وانه لا يخلد في النار من اهل التوحيد احد اه«٢» .

وقال ابن حزم ، حيث تكلم فيمن يُكفرُ ولا يُكفر في صفحة ٢٤٧ من أواخر الجزء الثالث من كتاب الفِصَل ، في الاهواء والملل والنحل ما هذه الفاظه : وذهبت طائفة ، الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا ، وأن كل من اجتهد في شيء مـن ذلك فدان بما رأى انه الحق فإنه مأجور على كل حال ، ان أصاب فأجران وان اخطأ فأجر واحد (قال) وهـذا قول ابن ابي ليلى ، وابي حنيفة ، والشافعي ، وسفيان الثوري ، وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافا في ذلك اصلا ، — قلت هذه الفتوى من هؤلاء الأئمة ، تقطع دابر المشاغبين ، وتنقض اساس المهولين ، لأن خصومهم من اهل القبلة ، لم يقولوا قولا ، ولم يعتقدوا امرا ، الا بعد الاجتهاد التام ، واستفراغ الوسع والطاقة ، وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة وكلام أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم ، ولم يدينوا إلاّ بما رأوا انه الحق ، واعتقدوا انه عين الصواب ، فيكونون بحكم هؤلاء الأعلام ، (وهم أئمة السلف والخلف) مأجورين ، ان اصابوا او اخطأوا ، على رغم من يبتغي تكفير المؤمنين ، ويدأب مجتهدا في تفريق المسلمين — وكان احمد بن زاهر السرخسي ،

«١» في صفحة ٤٧٠ من الجزء الأول .

«٢» فعلى هذا تكون أهل السنة مجمعة على أن مصير الشيعة إلى الجنة ضرورة أنهم من أهل التوحيد والايمان بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله .

(وهو اجل اصحاب الامـام ابي الحسن الأشعري) يقول ، (فيما نقله الشعراني عنه في اواخر المبحث ٥٨ مـن يواقيته) لما حضرت الشيخ ابا الحسن الاشعري الوفاة بداري في بغداد ، امرني بجمع اصحابه ، فجمعتهم له ، فقال اشهدوا علي انني لا اكفر احدا مـن اهل القبلة بذنب ، لأني رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد ، والاسلام يشملهم ويعمهم ، — هذا كلام إمام السنيين وكفى به حجة تدحض اقاويل المبطلين — وقدتواتر القول بعدم تكفير اهل الاهواء والبدع مـن اهل القبلة ، عن الإمام الشافعي ، حتى قال (كما في خاتمة الصواعق) اقبلُ شهادة اهل البدع الا الخطابية «١» .

وقال شيخ الإسلام المخزومي (فيما نقله الشعراني عنه في المبحث ٥٨ من يواقيته) قد نص الإمام الشافعي على عدم تكفير اهل الاهواء في رسالته ، فقال لا أكفِّر اهل الاهواء بذنب — قال وفي رواية عنه ، ولا اكفر احدا من اهل القبلة بذنب ، قال وفي رواية اخرى عنه ولا اكفّر

(١) الخطابية اصحاب ابي الخطاب محمد بن مقلاص الاجدع عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كان قبحه الله مغاليا في الصادق عليه السلام فاسد العقيدة خبيث المذهب لا ريب في كفره وكفر اصحابه وقـد تبرأ منه الصادق عليه السلام ولعنه وامر الشيعة بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبرء منه واللعنة عليه ومن اراد الوقوف على كلام الصادق عليه السلام في شأن هذا الملعون فعليه بكتاب الكشي وغيره من كتب التراجم لأصحابنا ولهذا الكافر بدع كثيرة منها تأخير صلاة المغرب حتى تستبين النجوم ، وقد نسب الجاهلون هذه البدعة الينا ، عـلى أنا نبرء الى الله منها وممن ابتدعها — والذي نذهب اليه أن اول وقت صلاة المغرب غروب الشمس من جميع أفق المصلي ، ويتحقق ذلك بارتفاع الحمرة المشرقية كما لا يخفى على من راجع فقهنا .

اهل التأويل المخالف للظاهر بذنب اه .

واجمع الشافعية على عدم تكفير الخوارج ، واعتذروا عنهم (كما في خاتمة الصواعق) بأنهم تأولوا فلهم شبهة غير قطعية البطلان[1] .

وقال العلامة ابن عابدين في باب المرتد من حاشيته الشهيرة الموسومة برد المحتار ، ما هذا لفظه : وذكر في فتح القدير ، أن الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم ، ويكفرون الصحابة ، حكمهم عند

(١) هذا مما أخرجه البخاري « في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم في الجزء الرابع من صحيحه » بالاسناد الى أبي سعيد الخدري من حديث ذكر فيه الخوارج فقال (ص) يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء ، — قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل احدى يديه ، او قال ثدييه مثل ثدي المرأة ، او قال مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فرقة من الناس ، (قال البخاري) قال ابو سعيد اشهد سمعت من النبي (ص) ، وأشهد أن علياً قتلهم ، وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي (ص) ، الحديث — وأخرجه مسلم أيضا في باب ذكر الخوارج وصفاتهم في أواخر كتاب الزكاة من الجزء الأول من صحيحه — وأخرجه احمد من حديث أبي سعيد في مسنده ورواه كافة المحدثين — واخرج مسلم (في باب الخوارج شر الخلق والخليقة من كتاب الزكاة من صحيحه) ، بالاسناد إلى أبي ذر ، قال قال رسول الله (ص) ان بعدي من أمتي قوماً يقرؤن القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة ، الحديث — وأخرج احمد بن حنبل في صفحة ٢٢٤ من الجزء الثالث من مسنده ، عن أنس بن مالك وأبي سعيد ، عن النبي (ص) ، قال سيكون في أمتي (حين اختلاف بينها وفرقة) قوم يحسنون القيل ، ويسيئون الفعل ، الى أن قال (ص) ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتدوا على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون الى كتاب الله ، وليسوا منه في شيء ، الحديث

جمهور الفقهاء واهل الحديث حكم البغـاة(١)" قال وذهب بعض اهل الحديث الى انهم مرتدون ، قال قال ابن المنذر ، ولا اعلم احـدا وافق اهل الحديث على تكفيرهم ، – قال وهذا يقتضي نقل اجماع الفقهاء (على عدم تكفير الخوارج) اه .

هذا مع ان النبي (ص) ، نص على أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه ، وأنهم شر الخلق والخليقة ، وانهم ليسوا من الله في شيء وأن طوبى لمن قتلهم او قتلوه — وإذا كان هؤلاء مسلمين بالاجماع فما ظنك بمن دخل باب حطه ، وركب سفينة النجاة ، واعتصم بحبــل الله ، وتمسك بثقلي رسول الله ، ودخل مدينة علمه من بابها ، ولجئ الى أمان أمته من اختلافها وعذابها — واذا كان الخوارج مسلمين فمن غيرهم من أهل القبلة يكون كافرا ، واي ذي نحلة من اهل الإسلام ليس له كشبهتهم .

ورأيت كلاما في هذا المعنى ناجما لشيخ السادة الحنفية ، محمد امين المعروف بابن عابدين ، في باب المرتد من كتاب الجهاد ، في صفحة ٣٠٢ من الجزء الثالث من رد المحتار ، يحكم فيــه قاطعا بإسلام من يتأول في سب الصحابة مصرحا بأن القول بتكفير المتأولين بذلك مخالف لإجماع الفقهاء ، مناقض لما في متونهم وشروحهم ، وأن مــا وقع في كلام اهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون ، بل من غيرهم (قال) ولا عبرة بغير الفقهاء ، والمنقول عن الفقهاء ماذكرناه ، الى آخر كلامه ، وقد اشتمل على ادلة وافية ، وشواهد كافية ، فليطلبه من اراده ، وله كلام آخر في هــذا المعنى ابسط مما اشرنا اليه ، نلفت

(١) يعني أنهم ان خرجوا على سلطان المسلمين يجب قتالهم حتى يفيئوا الى طاعته فإن يخضعوا لاوامره كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

الطالبين له الى كتابه تنبيه الولاة والحكام – على أن ما في رد المحتار ، مقنع لأولي الابصار :

وقد ألف العلامة الكبير ، الملا علي القاري الحنفي ، رسالة في الرد على من يكفّر المتأولين بذلك ، كما نص عليه ابن عابدين ، فيما تقدمت اليه الاشارة من كلامه .

وقال ابن حزم في صفحة ٢٥٧ ، من اواخر الجزء الثالث من فصله ، ما هذا لفظه : وأما من سب احدا من الصحابة رضي الله عنهم ، فإن كان جاهلا فمعذور ، وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند ، فهو فاسق كمن زنى او سرق . وان عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه (وآله) وسلم فهو كافر ، – قال وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ، عن حاطب . وحاطب مهاجري بدري ، دعني اضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً ، بل كان مخطئاً متأولا اه .

قلت لا يخفى انه جعل الملاك في التكفير انما هو العناد لله ورسوله ، وهذا لا وجود له فيمن ينتحل دين الإسلام – نعم قد يكون الساب (والعياذ بالله) جاهلا ، اوذا شبهة اوردته ذلك المورد فيكون معذورا .

ويدل على عدم كفر المسلم به ، اطلاق الأحاديث التي سمعتها في كل من الثاني والثالث والرابع والخامس من هذه الفصول فراجع ، – وأيضا يدل على عدم الكفر مضافا الى ذلك ما اورده القاضي عياض ، في الباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفا ، نقلا عن القاضي اسماعيل وغير واحد من الأئمة ، ان رجلا سب ابا بكر بمحضر منه رضي الله عنه فقال له ابو برزة الاسلمي ، يا خليفة رسول الله ، دعني اضرب عنقه ،

فقال اجلس ، ليس ذلك لأحد ، الا لرسول الله صلى الله عليه وآله»(١) وفي ذلك الباب من الشفاء ايضا أن عامل عمر بن عبد العزيز بالكوفة ، استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه ، فكتب اليه لا يحل قتل امرئ مسلم ، بسبب احد من الناس ، الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه اه — قلت افضى بنا الكلام الى ما هو غير مقصود بالذات ، وليس الغرض الا تأليف المسلمين ، واعلامهم بأنهم اخوان في الدين ، ولا نرتاب في ان سب رجل من عرض المؤمنين، فضلا عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين، موبقة وفسق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، سباب المسلم فسق وقتاله كفر .

ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول — نقل علي بن حزم الظاهري عن الاشاعرة ، ما لا يتسنى معه القول بتكفير احد اصلا ، واليك عبارته بحروفها — قال في اثناء شنع المرجئة ، في صفحة ٢٠٦ من الجزء الرابع من فصله ، وأما الاشعرية ، فقالوا . ان شتم من اظهر الاسلام لله تعالى ولرسوله ، بافحش ما يكون من الشتم ، واعلان التكذيب لهما باللسان بلا تقية ، ولا حكاية ، والاقرار بأنه يدين بذلك ، ليس شيء من ذلك كفرا اه .

وفي صفحة ٢٠٤ من الجزء الرابع من الفصل ايضا ، نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري وجميع اصحابه ، القول بأن الايمان عقد بالقلب ، وان اعلن الكفر بلسانه ، بلا تقية ، وعبد الأوثان ، او لزم اليهودية ،

(١) وروى النسائي ، بالاسناد الى أبي برزة الاسلمي ، قال أتيت ابا بكر ، وقد اغلظ لرجل فرد عليه ، فقلت يا خليفة رسول الله ، دعني اضرب عنقه ، فقال اجلس ، فليس ذلك لأحد الا لرسول الله (ص) .

او النصرانية ، في دار الاسلام ، وعبد الصليب ، واعلن التثليث في دار الاسلام ، ومات على ذلك ، فهو مؤمن ، كامل الايمان عند الله عز وجل من اهل الجنة اه .

ولا يخفى انه اذا ثبت هذا عن الامام الاشعري واصحابه ، وهم جميع اخواننا السنيين في هذه الأعصر ، هان الأمر في مسألتنا ، اذ لا يمكنهم حينئذ تكفير من يجاهرهم بصريح الكفر ، فكيف يتدنى لهم تكفير من انطوى ضميره على تقديس الله عز وجل ، وانعقد قلبه على تنزيهه ، ونبضت شرايينه بتسبيحه ، ونبت لحمه واشتدعظمه على توحيده ، وخالط الايمان مخه ودمه ، وامتزج بجميع عناصره ، فشهد به لسانه ، وبخعت له اركانه ، واعترفت به حركاته ، واقرت به سكناته ، مؤمنا برسوله ، موقنا بجميع ما جاء به من عند الله عز وجل ، يحيي ما احياه الكتاب والسنه ، ويميت ما اماتاه ، لكن منينا بقوم همهم تفريق المسلمين ودأبهم بث العداوة بين الموحدين ، (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .

وعن الاوزاعي والله ائن نشرت لا اقول بتكفير احد من اهل الشهادتين — وعن ابن سيرين ، اهل القبلة كلهم ناجون — وسئل الحسن البصري عن اهل الاهواء فقال جميع اهل التوحيد من أمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يدخلون الجنة البتة .

وسئل الزهري عمن لابس الفتن وقاتل فيها . فقال القاتل والمقتول في الجنة ، لأنهم من اهل لا إله إلا الله .

وعن سفيان الثوري لاتحل عداوة موحد ، وان مال به الهوى عن الحق ، لأنه لا يهلك بذلك .

وعن سعيد بن المسيب ، لا تمادر منتحلا لدين الاسلام وان اخطأ فكل مسلم مغفور له .

وعن ابن عيينة لأن تأكل السباع لحمي ، احب الي من ان القى الله تعالى ، بعداوة من يدين له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة

قلت اي حكمــة في عداوته الا اعلانه فيا يسيئك ومجاهرته فيما يخالفك ، (وحرية المذاهب والاديان تخول ذلك) ولو تحببت اليـه ثم ناظرته ، فعسى ان يتبين له صوابك فيتبعه ، او يريك الحق فتوافقه .

على انه ما صار الى خلافك عنادا للحق ، او رغبة في الباطل ضرورة ان ذلك لا يفعله (في مقام التقرب الى الله تعالى) عاقل .

أجل سيق قسرا الى مخالفتك في بعض ما تعبره من الفروع بسياط الأدلة القاطعة ، ومقارع الحجج الساطعة ، وهبهاشبها (كما تزعم)لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه ، (لأنها مــع كونها من الكتاب والسنة) أفادته القطع بمـا قادته اليه ، فإن كان مصيبا فله اجران ، وإلا فقد اجمع المسلمون على معذرة من تأول (في غير اصول الدين) وان اخطأ ، كمـا تشهد به اخبارهم ، وتفصح عنه اسفارهم ، وتعلنه افعالهم واقوالهم.

« فصل »

٧

في بشائر السنة للشيعة ، وهي صحاح متظافرة ، مــن طريق العترة الطاهرة واليك منها ما أخرجه محدثو أهل السنة ، بأسانيدهم وطرقهم .

روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس ، (كما في صفحة

٩٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر[1]) أنه قال لما انزل الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ، خالدين فيها أبدا ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربه) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لعلي هم انت وشيعتك ، تأتي انت وشيعتك يوم القيامة ، راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضابى مقمحين اه .

واخرج الحاكم في شواهد التنزيل عن ابن عباس ايضا ، قال نزلت هذه الآية ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، في علي واهل البيت وعدها ابن حجر في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه في جملة الآيات النازلة فيهم عليهم السلام فراجع الآية الحادية عشره من الآيات التي اوردها هناك[2] .

واخرج الحاكم في كتابه شواهد التنزيل ، بالاسناد الى علي ، قال قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا مسنده الى صدري ، فقال يا علي ألم تسمع قول الله تعالى ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريه ، هم شيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض ، يدعون غرا محجلين .

واخرج الديلمي (كما في صفحة ٩٦ من الصواعق المحرقه) قال قال رسول الله (ص) ، يا علي ان الله قد غفر لك ولولدك ، ولذريتك ولأهلك واشيعتك ولمحبي شيعتك ، فابشر فإنك الأنزع البطين .

---

(١) راجع النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ وكل ما ننقله عن الصواعق فإنما ننقله من هذه النسخة .

(٢) في صفحة ٩٦ من الصواعق .

واخرج الطبراني وغير واحد من المحدثين ، أن عليا أُتي يوم البصرة بذهب وفضة ، فقال ابيضاء وصفراء غري غيري ، غري اهل الشام غداً إذا ظهروا عليكِ ، فشق قوله هذا على الناس ، فذكر ذلك له ، فأذن في الناس فدخلوا عليه ، فقال إن خليلي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال ياعلي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين ، (قال) ثم جمع علي يده الى عنقه يريهم الاقماح اه .

وقد اورد ابن حجر هذا الحديث في صفحة ٩٢ من صواعقه ، وعلق عليه كلاماً يضحك الثكلى ، ونحن نأخذ بما روى ونعرض عما رأى

واخرج الطبراني (كما في صفحة ٩٦ من الصواعق ايضا) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لعلي اول اربعة يدخلون الجنة انا وانت والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا

واخرج احمد بن حنبل في المناقب (كما في صفحة ٩٦ من الصواعق ايضا) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لعلي اما ترضى انك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا .

واخرج الحاكم (كما في تفسير آية المودة في القربى من مجمع البيان) ، بالاسناد الى ابي امامه الباهلي ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إن الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتى ، وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة ، فأنا اصلها ، وعلي فرعها ، وفاطمة لقاحها ، والحسن والحسين ثمارها ، واشياعنا اوراقها ، فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا ، ومن زاغ عنها هوى ، ولو أنّ عبداً عبد الله الف عام ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشن البالي ، وهو لا يحبنا كبّه الله على منخريه في النار ، ثم تلا قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى اه .

تنبيه

لا يخفى ان شيعة علي واهل البيت ، هم اتباعهم في الدين ، واشياعهم من المسلمين ، ونحن والحمد لله قد انقطعنا اليهم في فروع الدين وعقائده ، واصول الفقه وقواعده ، وعلوم السنة والكتاب ، وفنون الاخلاق والسلوك والآداب ، بخوعا لإمامتهم ، واقرارا بولايتهم ، وقد والينا أولياءهم ، وجانبنا اعداءهم ، عملا بقواعد المحبة ، وطبقا لاصول الاخلاص في المودة ، فكنا بذلك لهم شيعة ، وكانوا لنا وسيلة وذريعة ، والحمد لله على هدايته لدينه ، والتوفيق لما دعا اليه الرسول من التمسك بثقليه والاعتصام بحبليه ودخول مدينة علمه من بابها ، باب حطه ، وأمان اهل الارض ، وسفينة نجاة هذه الأمة ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

واخرج ابن سعد (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) عن علي اخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أن اول من يدخل الجنة انا وفاطمة والحسن والحسين ، قلت يا رسول الله فمحبونا قال من ورائكم .

واخرج الديلمي (كما في الصواعق ايضا) مرفوعا انما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار[1] .

واخرج ابن حنبل والترمذي (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) أنه صلى الله عليه وآله وسلم اخذ بيد الحسنين وقال من أحبني واحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة[2] .

«١» وأخرج النسائي نحوه كما في صفحة ٩٦ من الصواعق .

(٢) وأخرجه ايضا ابو داود (كما في صفحة ١٠٣ من الصواعق) وزاد فيه ومات متبعا لسنتي وبها يعلم أن اتباع سنته لا يكون الا بمحبتهم عليهم السلام .

وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير بالإسناد الى جرير بن عبد الله البجلي ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات على حب آل محمد[1] مات شهيدا ، الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ، الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ، الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ، الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ، الاومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله ، الحديث وقد ارسله الزمخشري (في تفسير آية المودة في القربى من سورة الشورى من كشافه) ارسال المسلمات ورواه المؤلفون في المناقب والفضائل ، مرسلا

(١) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع ، باعتبار أئمتهم الذين هم خلفاء رسول الله (ص) ، واوصياؤه ، ووارثو حكمه وأولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ، ونص على أنهما لا يفترقان ، فلا يضل من تمسك بهما ، ولا يهتدي من تخلى عن أحدهما ، وليس المراد هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول ، لكل فرد فرد ، لأن هذه المرتبة السامية ، ليست إلا لأولياء الله ، القوامين بأمره خاصة بحكم الصحاح المتواترة من طريق العترة الطاهرة . نعم تجب محبة جميع أهل بيته وذريته كافة ، لتفرعهم من شجرته الطاهرة صلى الله عليه وآله وسلم ، وبذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من جدهم بأبي هو وأمي وكنت اوصيت أولادي أن يكتبوا هذا الحديث على كفني بعد الشهادتين لألقى الله تعالى بذلك والآن أكرر وصيتي هذه اليهم ولكن الكتابة على العمامة .

مرة ومسندا تارات — وانت تعلم أن هذه المنزلة السامية ، إنما ثبتت لهم لأنهم حجج الله البالغة ، ومناهل شرائعه السائغه ، وأمناؤه بعد النبي (ص) على وحيه ، وسفراؤه في أمره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله ، والمبغض لهم مبغض لله ، ومن هنا قال فيهم الفرزدق :

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عُد اهل التقى كانوا أئمتهم أوقيل من خير أهل الارض قيل هم

واخرج احمد (كما في اواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق«١») عن علي ، قال طلبني النبي (ص) فوجدني في حائط ، فقال قم والله لأرضيك انت أخي وابو ولدي ، فقاتل على سنتي — من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه ، ومن مات يحبك بعد موتك ، ختم الله له بالأمن والايمان ما طلعت شمس او غربت .

وأورد ابن حجر (في اواخر المقصد الثاني من المقاصد التي ذكرها في آية المودة في القربى من صواعقه) حديثا هذا لفظه«٢» ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، خرج على اصحابه ذات يوم ، ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فسأله عبد الرحمن بن عوف عن ذلك ، فقال (ص) : بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي ، بأن الله زوج عليا من فاطمة ، وامر رضوان خازن الجنان ، فهز شجرة طوبى ، فحملت رقاقا يعني صكاكا بعدد محبي اهل بيتي ، وانشأ تحتها ملائكة من نور ، دفع الى كل ملك صكا ،

---

(١) صفحة ٧٥

(١) راجعه في صفحة ١٠٣ من الصواعق ورواه غير واحد ممن كتب في المناقب والفضائل .

فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق ، فلا يبقى محب لأهل البيت ، الا دفعت اليه صكا فيه فكاكه من النار ، فصار اخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار — والأخبار في هذا لا يحتملها هذا الإملاء ، وفي هذا القدر كفايه لمن كانت لله تعالى فيه عنايه

فعسى ان يعرف الشيعي بعد هـذا ، أن اهل السنة قـد انصفوا واعترفوا ، وعسى ان يعرف السني ان لا وجه بعد هذه المبشرات ، لشيء من الضغائن او الهناة ، والسلام عـلى من اتبع السنن ، وجانب الفتن ، ورحمة الله وبركاته .

« فصل »

٨

نضمنه طائفة ممن تأولوا من السلف ، فخالفوا الجمهور ، ولم يقدح ذلك في عدالتهم .

وغرضنا الذي نرمي اليه ، إنما هو إيضاح معذرة المتأولين من المسلمين وذلك أنك إذا رأيت صالح سلفك ، ومـن اخذت عنه دينك ، واتخذته واسطة بينك وبين نبيك (صلى الله عليه وآله وسلم) يخالفك مجتهدا ، وينحو غير نحوك متأولا ، فلا جرم انك تقطع حينئذ بمعذرة من يتأول من معاصريك نحو تأوله ، او يخالفك مثل خلافه .

وانا ارجو ممن خدمتهم من اخواني المسلمين بهذه الرسالة أن ينظروا (بعين الانصاف) هل كان بين الله عز وجل ، وبين احد من الناس قرابة فيحابيه — كلا : مـا كان الله ليعاقب قومـا بأمر يثيب به آخرين ،

إن حكمه في الأولين والآخرين لواحد ، ومـا بين الله تعالى وبين إحد من خلقه هوادة في إباحة حمىً حرّمه على العالمين .

إن المتأولين بما يخالف الجمهور من الصحابة والتابعين وتابعيهم كثيرون لا يسعنا استقصاؤهم وإنما نذكر منهم ما يحصل به الغرض .

هذا ابو ثابت ، سعد بن عبادة العقبي البدري ، سيد الخزرج ونقيبهم وجواد الانصار وعظيمهم ، تخلف عن بيعة الخليفتين ، وخرج مغاضبا الى الشام ، فقتل غيلة بحوران ، سنة ١٥ للهجرة ، وله كلام يوم السقيفة وبعده نلفت الطالبين له الى كتاب الإمامـة والسياسة لابن قتيبة ، او الى تاريخ الطبري ، او كامل ابن الأثير ، او غيرها من كتب السير والأخبار ، فإني لا أظنه يخلو من كتاب يشتمل على ذكر السقيفة ، وكل من ذكر سعدا من اهل التراجم ، ذكر تخلفه عن البيعة ، ومع ذلك لم يرتابوا في كونه من أفاضل المسلمين ، وعدول المؤمنين ، وما ذاك الا لكونه متأوّلا ، فهو معذور عندهم وان كان مخطئاً .

وهذا حباب بن المنـذر بن الجموح الانصاري البدري الاحدي ، تخلّف عن البيعة ايضا ، كما هو معلوم بحكم الضرورة من تاريخ السلف فلم يقدح ذلك في عدالته ، ولا انتقص من فضله ، وهو القائل انا جُذَيلها المحكك ، وعُذَيقها المرجّب[1] انا ابو شبـل في عرينة الأسد ، والله ائن شئتم لنعيدنّها جذعة ، وله كلام آخر ، رأينا الإعراض عنه أولى ، ولولا معذرة المتأولين ، ما كان اهل السنة ، ليقطعوا بأن هذا الرجل من أفاضل اهل الجنة ، مع مكاشفته للخليفتين ، بما هو مبسوط في كتب الفريقين .

(١) الجُذَيل مصغر جذل عود ينصب للجرباء لتحتك به والعُذَيق مصغر عذق قنو النخلة والمرجّب المبجل والتصغير هنا للتعظيم .

وهذا امير المؤمنين عليه السلام ، وعمّه العباس وبنوه ، وعتبة بن ابي لهب ، وسائر بني هاشم ، وسلمان الفارسي ، وابو ذرّ ، والمقداد وعمار ، والزبير ، وخزيمة بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، وفروة بن عمرو بن ودقة الانصاري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والبراء بن عازب ، ونفر غيرهم تخلفوا عن البيعة ايضا ، بحكم ماتواتر من الأخبار ، واتّضح اتّضاح الشمس في رائعة النهار ، وقد نصّ الشيخان (البخاري ومسلم) في صحيحيهما «١» على تخلف علي عن البيعة حتى لحقت سيدة النساء بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم وانصرفت عنهُ وجوه الناس .

وصرح بتخلفه المؤرخون ، كابن جرير الطبري في موضعين من احداث السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور ، وابن عبد ربه المالكي ، في حديث السقيفة من الجزء الثاني من العقد الفريد «٢» وابن قتيبة في أوائل كتابه (الإمامة والسياسة) وابن الشحنة حيث ذكر بيعة السقيفة في كتابه (روضة المناظر) «٣» وأبي الفداء حيث أتى على ذكر أخبار ابي بكر وخلافته ، في تاريخه الموسوم بالمختصر في اخبار البشر ، ونقله المسعودي

(١) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء الثالث من صحيح البخاري المطبوع في مصر سنة ١٣٠٩ وفي هامشه تعليقة السندي او باب قول النبي (ص) لا نورث ماتركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد والسير من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من الجزء الثاني طبع مصر سنة ١٣٢٧ تجد التصريح بتخلفه عن البيعة مسندا الى أم المؤمنين عائشة (رض) .

(٢) في صفحة ١٩٧ من النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٣٠٥ وفي هامشها زهر الآداب

(٣) هذا الكتاب ومروج الذهب مطبوعان في الهامش من كامل ابن الأثير أما مروج الذهب فطبوع مع الخمس الاول من مجلدات الكامل وهذا الكتاب أعني تاريخ ابن الشحنة في هامش المجلد الأخير المشتمل على جزء ١١ وجزء ١٢ وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١١٢ من الجزء الحادي عشر فراجع .

في مروج الذهب ، عن عروة بن الزبير ، في مقام الاعتذار عن أخيه عبد الله[١] إذ هم بتحريق بيوت بني هاشم عليهم حين تخلفوا عن بيعته ، ورواه الشهرستاني عن النظام عند ذكره للفرقة النظامية في كتابه (الملل والنحل) واورده ابن ابي الحديد المعتزلي الحنفي ، في أوائل الجزء السادس من شرح النهج[٢] ونقله العلامة في نهج الصدق عن كتاب المحاسن وانفاس الجواهر وغرر ابن خزابة وغيرها من الكتب المعتبرة ، وافرد ابو مخنف لبيعة السقيفة كتابا على حدة ، فيه تفصيل ما اجملناه ، من تخلف علي عن البيعة ، وعدم اقراره لهم بالطاعة ، وهذا من ادل الأمور على معذرة المتأولين ، ومن يجترئ على أخي النبي ووليه ، ووارثه ووصيه ، (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فيقول إنه كان حينئذ عاصيا لله سبحانه ، وهو أول من امن به واطاعه من هذه الأمة ، اويقول انه كان مخالفاً للسنة ، وهو قيمها ووارثها وصاحب العناء بتأييدها ، وقد انتهى اليه ميراثها ، او يزعم انه كان مفارقا لشقيقه القرآن وقد نص النبي (ص) على انهما لا يفترقان[٣] ، او يتوهم انه كان مجانبا للصواب ، وقد اذهب عنه الرجس وطهره نص الكتاب ، او يقول انه كان متنكبا عن الحق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيف دار) اويقول انه قعد به الجهل بحكم هذه البيعة ، وهو أقضى الأمة وباب مدينة العلم

(١) عرفت أن مروج الذهب مطبوع في هامش ابن الأثير وما نقلناه الآن عنه موجود في آخر صفحة ٢٥٩ من الجزء السادس فراجع .

(٢) في أوائل الصفحة الخامسة من المجلد الثاني من الشرح طبع مصر.

(٣) اخرج الطبراني في الاوسط « كما في الفصل الثاني من الباب التاسع من الصواعق صفحة ٧٤ » عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله (ص) يقول علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض .

(ومن عنده علم الكتاب) .

وهذا ابو سفيان صخر بن حرب تخلف عن البيعة ايضاً وهو القائل يومئذ[١] اني ارى غبرة لا يطفئها الا دم ، وجعل يطوف في أزقة المدينة ويقول :

بني هاشم لاتطمع الناس فيكم ولاسيما تيم بن مرة او عدي
فما الأمر الا فيكم واليكم وليس لها إلا ابو حسن علي

وقال[٢] فما بال هذا الأمر في اقل حي من قريش ، ثم قال لعلي أبسط يدك ابايعك ، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجلا ، فأبى امير المؤمنين عليه السلام ، فتمثل بقول المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به الا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكي له احد

هذا بعض ما كان منه يومئذ ، ونحن (الامامية) لا نحمل فعله هذا الا على ارادة الفتنة ، وشق عصا المسلمين ، ولذا زجره امير المؤمنين عليه السلام ، وقال له[٣] والله إنك ما اردت بهذا الا الفتنة ، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شرا .

وإنما ذكرناه في عداد المتأولين ، مجاراة لمن يحمل افعاله على الصحة ، لتتم حجتنا عليهم به في معذرة المتاولين ، ضرورة أنه لا يمكن ان يكون معذورا عندهم في هذا التخلف إلا بناء على ذلك الاصل .

---

(١) هذا وما بعده حتى البيتان موجود في حديث السقيفة من العقد الفريد فراجع

(٢) هذا وما بعده حتى البيتان الأخيران موجود في حديث السقيفة من كامل ابن الأثير .

(٣) نقلناه من كامل ابن الأثير .

وهذه سيدة نساء العالمين ، وبضعة خاتم النبيين والمرسلين ، صلى الله عليه وآله وسلم ، قد علم الناس ما كان بينها وبين ابي بكر ، اذ هجرته فلم تكلمه حتى ماتت ، ودفنها امير المؤمنين ليلا ، ولم يؤذن بها الا نفرا من شيعته ، لئلا يصلي عليها غيرهم وهذا من المسلمات ، اخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين[1] ورواه الإمام احمد من حديث ابي بكر في أواخر صفحة ٦ من الجزء الاول من مسنده ، وذكره أهل الأخبار ، ونص عليه ارباب السير ، وحسبك من ذلك ما اودعه الإمام ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة) ونقله العلامة المعتزلي عن ثقاة المؤرخين ، في شرحه لنهج البلاغة .

ولها خطبتان ، تفرغ فيها عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، احداهما في ميراثها ، والثانية في امر الخلافة ، اوردهما احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه ، والعلامة المعتزلي في الجزء ١٦ من شرح النهج[2] واليكهما في كتاب بلاغات النساء[3] والاحتجاج والبحار وغيرها من كتب الفريقين ، لتكون على يقين من معذرة المتأولين .

وهذا ابو سليمان خالد بن الوليد المخزومي ، قتل يوم البطاح مالك ابن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمي ، ونكح زوجته ام تميم بنت المنهال وكانت من أجمل النساء ، ثم رجع الى المدينة

---

(١) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء ٣ من صحيح البخاري أو اول كتاب الفرائض في صفحة ١٠٥ من الجزء الرابع من صحيحه ايضا او باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركنا فهو صدقه من كتاب الجهاد في صفحة ٧٢ من الجزء ٢ من صحيح مسلم .

(٢) أما الاولى فموجودة في صفحة ٧٩ والثانية في صفحة ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج طبع مصر

(٣) لمؤلفه ابي الفضل احمد بن أبي طاهر المتوفى سنة ٢٨٠ فراجع منه صفحة ١٦ و ٢٣

وقد غرز في عمامته اسهما فقام اليه عمر (رض) فنزعها وحطمها ، وقال له (كما في تاريخ ابن الأثير وغيره) قتلت امرءاً مسلما ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنك باحجارك ، ثم قال لأبي بكر (كما في ترجمة وثيمة بن موسى من وفيات ابن خلكان) إن خالدا قد زنى فارجمه ، قال ما كنت لأرجمه ، فإنه تأول فأخطأ ، قال إنه قتل مسلما فاقتله به ، قال ما كنت لأقتله به ، إنه تأول فأخطأ .

فلما اكثر عليه قال ما كنت لأشيم سيفا سله الله تعالى ، وودى مالكا من بيت المال ، وفك الأسرى والسبايا من آله — وهذه الواقعة من المسلمات ، لا ريب في صدورها من خالد[1] ، وقد ذكرها محمد بن جرير الطبري في تاريخه ، وابن الأثير في كامله ، ووثيمة بن موسى بن الفرات

(١) وله واقعة أخرى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك انه بعثه الى بني جذيمة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، وكانت جذيمة قتلت في الجاهلية عمه الفاكه بن المغيرة ، فلما ورد عليهم قال لهم ضعوا سلاحكم فإن الناس قد أسلموا فوضعوا سلاحهم ، فأمر بهم فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فلما انتهى الخبر الى النبي (ص) رفع يده الى السماء فقال « كما في باب بعث خالد بن الوليد الى جذيمة من كتاب المغازي من صحيح البخاري في صفحة ٤٧ من جزئه الثالث » اللهم إني ابرأ اليك مما صنع خالد مرتين .

ثم ارسل عليا « كما في كامل ابن الأثير وغيره » ، ومعه مال ، وامره ان ينظر في امرهم ، فودى لهم الدماء والاموال ، حتى انه ليدي ميلغة الكلب ، وبقي معه من المال فضلة ، فقال لهم هل بقي لكم مال او دم لم يود — ، قالوا لا ، قال فإني أعطيكم هذه البقية احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ففعل ثم رجع فأخبر النبي «ص» فقال اصبت واحسنت — هذا ما نقله جميع المؤرخين ، وكل من ترجم خالدا ، حتى قال ابن عبد البرّ بعد ان ذكر هذا الخبر عنه في ترجمته من الاستيعاب ، ما هذا لفظه : وخبره في ذلك من صحيح الأثر اه .

والواقدي في كتابيهما ، وسيف بن عمر في كتاب الردة والفتوح ، والزبير بن بكار في الموفقيات ، وثابت بن قاسم في الدلائل ، وابن حجر العسقلاني في ترجمة مالك من اصابته ، وابن الشحنة في روضة المناظر ، وابو الفداء في المختصر ، وخلق كثير من المتقدمين والمتأخرين ، والكل ذكروا اعتذار ابي بكر عن خالد بأنه تأول فاخطأ .

وإذا كان ابو بكر اول من نص على معذرة المتأولين ، فمن ذا يرتاب في ذلك من جمهور المسلمين .

وليت شعري متى كان التأول في الفروع شيئاً نكرا ، ام كيف لا يكون عند الله والمؤمنين عذرا ، وقد تأول السلف كثيرا من ظواهر الأدلة ، لأمور ظنوا فيهـا صلاح الملّة ، فبخع لتأولهم جمهور المسلمين ، وانقطع اليهم في كل ما يتعلق بالدين ، تقديساً لتأولهم واجتهادهم ، وتنزيها لغرضهم ومرادهم ، واليك مضافا الى ما تلوناه ، تلميحا الى بعض تأولاتهم واشارة الى اليسير من اجتهاداتهم ، اذكر ذلك مختصرا في العبارة ، والحر تكفيه الاشارة .

فمنها تأولهم في الطلاق الثلاث ، وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبي ، (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر ، كما هو مقرر معلوم

ففي باب طلاق الثلاث من كتـاب الطلاق من صحيح مسلم في صفحة ٥٧٤ من جزئه الأول ، عن ابن عباس بطرق مختلفة ، قال كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبي بكر ، وسنتين من خلافة عمر ، طلاق الثلاث واحدة (قال) فقال عمر بن الخطاب ان الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه اناة ، فلو امضيناه عليهم ، (قال) فأمضاه عليهم اه .

ونقله قاسم بك امين في صفحة ١٧٣ من كتابه (تحرير المرأة) عن صحيح البخاري ونقله الفاضل الرشيد في صفحة ٢١٠ من المجلد الرابع من مناره ، عن أبي داود والنسائي والحاكم والبيهقي ، ثم قال (ما هذا لفظه) ومن قضاء النبي بخلافه ، ما اخرجه البيهقي عن ابن عباس[١] ، قال طلق ركانة امرأته ثلاثا في مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديدا ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله ، كيف طلقتها ، قال ثلاثا ، قال في مجلس واحد ، قال نعم ، قال فإنما تلك واحدة ، فارجعها ان شئت اه .

قلت وهذا مذهبنا في المسألة ، ويدل عليه مضافا الى ما سمعت[٢] وكونه مقتضى الاصل قوله تعالى (الطلاق) الذي تحل المطلقة من بعده إنما هو (مرتان) فإن طلقها مرتين فالواجب عليه بعد ذلك ما أشار اليه سبحانه بقوله (فإمساك) بعد التطليقتين المتفرقتين (بمعروف او تسريح) حينئذ (بإحسان) الى ان قال عز اسمهُ (فإن طلقها) اي مرة ثالثة بعد المرتين المتفرقتين (فلا تحل له من بعد) ذلك التطليق الثالث (حتى تنكح زوجا غيره) .

وعلى هذا فلو قال لزوجته انت طالق ثلاثا ، ولم يكن طلقها من قبل

---

(١) وذكره ابن اسحق في صفحة ١٩١ من الجزء ٢

(٢) ويدل عليه ايضا ما نقله قاسم بك امين في صفحة ١٧٢ من كتابه تحرير المرأة عن النسائي والقرطبي والزيلعي بالاسناد الى ابن عباس قال أخبر رسول الله (ص) عن رجل طلق امرأته ثلاثا جمعا فقام غضبان ثم قال أتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم اه قلت وفي تفسير سورة الطلاق من الكشاف نحوه وربما قيل أن هذا الحديث دال على فساد الطلاق الثلاث بالمرة لكونه لعبا وبذلك قال سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين لكن الحق ان اللعب إنما هو في قوله ثلاثا فيلغى وأما قوله انت طالق فيؤثر أثره اذ لا لعب فيه كما هو واضح .

اصلا ، اوكان قدطلقها مرة واحدة ، فلامانع لهماأن يتراجعا وان لم ينكحها غيره لأن المنفي في الآية انما هو حل ارجاعها من بعد التطليق الثالث المسبوق بتطليقتين كما لا يخفى –– بيد ان أباحفص (رض) تأول الآية وسائر أدلة المسألة[1] عقوبة للمستعجلين وردعا لأهل الطيش والجاهلين وهذا كاف لك في معذرة المتأولين فتدبر ولا تكن من الغافلين .

ومنها تأولهم في متعة الحج ومتعة النساء وحكمهم فيها بخلاف ما كانتا عليه ايام النبي(ص) ، كما هو مقرر معلوم ، وبيان ذلك على التفصيل يستوجب مباحث .

(المبحث الأول) في أصل مشروعيتها – إعلم أن هذا المقدار ثابت بإجماع المسلمين ، وبكل من الكتاب والسنة .

اما الإجماع فلأن اهل القبلة كافة متفقون على ان الله تعالى قد شرع هاتين المتعتين في دين الإسلام ، واهل التوحيد من هذه الأمة قاطبة متصافقون على ذلك ، بحيث لاريب فيه لأحد من المتقدمين والمتأخرين ، من كافة المسلمين ، بل لعل ذلك ملحق لدى اهل العلم ، بالضروريات الثابتة عن سيد النبيين (ص) فلا ينكره احد من اهل المذاهب الإسلامية مطلقا .

واما الكتاب العزيز ففيه آيتان محكمتان ، إحداهما في تشريع متعة الحج والاخرى في تشريع متعة النساء .

اما آية متعة الحج ، فهي قوله تعالى (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي) الى قوله عز اسمه (ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام) اذ لا خلاف بين المسلمين في نزولها في متعة الحج كما لا يخفى .

(١) وفي الصفحة ٢١٢ من المجلد ٤ من المنار تصريح بأن عمر قد اجتهد في هذه المسألة

وأما آية متعة النساء[1] فهي قوله سبحانه (في سورة النساء)

(١) متعة النساء (التي هي موضوع الخلاف بين الشيعة والسنة) أن تزوجك المرأة نفسها حيث لا يكون ثمة مانع في دين الاسلام عن نكاحها، من نسب، او سبب، او رضاع، او احصان، او عدة، اوغير ذلك، من الموانع الشرعية، ككونها منكوحة لأبيك، اوكونها أختاازوجتك، اوغير ذلك - تزوجك نفسهابمهر معلوم،الى أجل مسمى، بعقد نكاح جامع لشرائط الصحة الاسلاميه، فتقول لك (بعد الاتفاق والتراضي) زوجتك، او انكحتك، او متعتك نفسي، بمهر قدره كذا يوماً او شهرا او سنة، او تذكر مدة أخرى معينة على الضبط، فتقول (انت لها على الفور) قبلت - وتجوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقود، وبتمامه تكون زوجة لك، وانت تكون زوجا لها، الى منتهى الأجل المسمى في العقد، وبمجرد انتهائه تبين، من غير طلاق كالاجارة، و للزوج فراقها قبل انتهائه بهبة المدة المعينة، الا بالطلاق، عملا بالنصوص الخاصة الدالة على ذلك، ويجب عليها مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس، أن تعتد بعد هبة المدة او انقضائها، بقرءين، اذا كانت ممن تحيض، وإلا فبخمسة واربعين يوما، كالأمة، عملاً بالأدلة الخاصة ايضا، فإذا وهبها المدة او انقضت قبل أن يمسها، فماله عليها من عدة، كالمطلقة قبل الدخول وولد المتعة ذكرا كان او انثى يلحق (كغيره من الابناء) بأبيه، فانه اشرف الأبوين ولايدعى إلاّ له، عملاً بقوله تعالى (أدعوهم لآبائهم) وله من الإرث ما اوصى به الله سبحانه حيث يقول (يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ولا فرق (عند مبيحي المتعة) بين ولديك المولود احدهما منها، والآخر من النكاح المألوف بين عامة المسلمين - وجميع العمومات الواردة في الابناء والآباء والامهات شاملة لابناء المتعة وآبائهم وأمهاتهم، وكذا القول في العمومات الواردة في الاخوة والاخوات وأبنائهما، والاعمام والعمات والأخوال والخالات وأبنائهم، (وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض) مطلقا - نعم عقد نكاح المتعة لا يوجب توارثا بين الزوجين المتمتعين، ولا ليلة ولا نفقة للمتمتع بها، وللزوج أن يعزل عنها، عملاً بالادلة الخاصة، المخصصة للعمومات الواردة في احكام الزوجات .

هذه هي متعة النساء، التي فهم الامامية من الكتاب والسنة دوام اباحتها،

واهل المذاهب الاربعة قالوا بتحريمها ، مع اعترافهم بأن الله تعالى شرعها في دين الإسلام ، وليس عندنا متعة نساء غيرها ، بحكم الضرورة الأولية من مذهبنا ، المدون في الوف من مصنفات علمائنا ، المنتشرة بفضل الطبع في اكثر بلاد الاسلام — لكن محمود شكري الألوسي غفر الله له ، افترى رسالة بذيئة ، شحنها بإفكه الواضح وبهتانه الفاضح ، وقد وقفت عليها في الجزء ٦ من المجلد ٢٩ من المنار ، فإذا هي كذب وسباب ، وتنابز بالألقاب ، نعوذ بالله السميع العليم ، من الأفاك الأثيم ، إذ يقول غير متأثم ، أن عند الشيعة متعة اخرى يسمونها المتعة الدوريه ، ويروون في فضلها ما يروون ، وهي ان يتمتع جماعة بامرأة واحدة ، فتقول لهم : من الصبح الى الضحى في متعة هذا ، ومن الضحى الى الظهر في متعة هذا ، ومن الظهر الى العصر في متعة هذا ، ومن العصر الى المغرب في متعة هذا ، ومن المغرب الى العشاء في متعة هذا ، ومن العشاء الى نصف الليل في متعة هذا ، ومن نصف الليل الى الصبح في متعة هذا ، — الى آخر بهتانه المبين فراجعه في صفحة ٤٤١ من المجلد ٢٩ من المنار — وليت المنار سأل هذا المرجف المجحف ، فقال له ، من الذي سماها من الشيعة بهذا الاسم ، وأي راو منهم روى في فضلها شيئاً ، او أتى في رواياته على ذكرها ، وما تلك الروايات التي زعمتَ انهم رووها في فضلها ، ومن اخرج تلك الروايات من محدثيهم ، وأي عالم او جاهل منهم افتى بها او ذكرها ، واي كتاب من كتب حديثهم او فقههم او تفسيرهم يشتمل على ذكرها ؟ — ولو تقدم المنار بهذا السؤال ، لعرف حقيقة الحال ، — ونحن الآن نحيله على مصنفات الامامية في الفقه والحديث والتفسير وسائر الفنون ، وقد انتشر منها (بفضل المطابع) عشرات الألوف مختصرة ومطولة ، متوناً وشروحاً ، بعضها للمتقدمين وبعضها للمتأخرين فليتتبعها المنار كتاباً كتابا ، وليتصفحها حرفاً حرفا ، ليعلم ان الألوسي وامثاله من المرجفين الظالمين لأحياء المؤمنين ولامواتهم ، وقد بهت السلف الصالح ، بما تستك به المسامع وترتعد منه الفرائص :

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) .

وابن عباس[١] وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم كانوا يقرأونها «فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى» اخرج ذلك عنهم الإمام الطبري في تفسير الآية من أوائل الجزء الخامس من تفسيره الكبير، ورواه عنهم وعن ابن مسعود جماعة كثيرون من ثقاة الأمة وحفظتها، لا يسعنا استقصاؤهم

(١) ارسل الزمخشري في كشافه هذه القراءة عن ابن عباس، ارسال المسلمات والرازي ذكر في تفسير الآية أنه روي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن أجورهن (قال) وهذا ايضا هو قراءة ابن عباس (قال) والأمة ما انكروا عليهما في هذه القراءة (قال) فكان ذلك اجماعاً من الامة على صحة هذه القراءة، هذا كلامه بلفظه فراجعه في صفحة ٢٠١ من الجزء ٣ من تفسيره الكبير — ونقل القاضي عياض عن المازري (كما في اول باب نكاح المتعة من شرح صحيح مسلم الفاضل النووي) ان ابن مسعود قرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل والاخبار في ذلك كثيرة — وصرح عمران بن حصين الصحابي بنزول هذه الآية في المتعة وأنها لم تنسخ، حتى قال رجل فيها برأيه ما شاء — نص على نزول الآية في المتعة مجاهد ايضا فيما اخرجه عنه الطبري في تفسيره باسناده اليه، فراجع الصفحة ٩ من الجزء ٥ من تفسيره الكبير = ويشهد لنزولها في ذلك بالخصوص ان الله سبحانه قد أبان في أوائل السورة حكم نكاح الدائم بقوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) الى ان قال (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) فلو كانت هذه الآية في بيان الدائم ايضا لزم تكرار ذلك في سورة واحدة = اما اذا كانت لبيان المتعة المشروعة بالاجماع فانها تكون لبيان معنى جديد = واهل النظر من تدبر القرآن الحكيم يعلمون ان السورة قد اشتملت على بيان الانكحة الاسلامية كلها، فالدائم وملك اليمين تبينا بقوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت أيمانكم).

والمتعة مبينة بآيتها هذه (فما استمتعتم به منهن) ونكاح الإماء مبين بقوله تعالى (ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) الى ان قال (وآتوهن أجورهن بالمعروف).

واما نصوص السنة في اصل مشروعية المتعتين فمتواترة ، ولاسيما من طريقنا عن العترة الطاهرة ، وحسبك في ثبوت متعة الحج واستمرارها ، ما اخرجه الشيخان (البخاري ومسلم) في التمتع والافراد والقران من كتاب الحج من صحيحيهما فراجع .

على أن متعة الحج قد انعقد الاجماع (بعد الخليفة الثاني) على استمرارها ولم يعملوا بنهيه عنها ، فهي مما لا كلام في دوامه — وإنما الكلام في متعة النساء ، وقد اخرج الشيخان في اصل مشروعيتها احاديث في صحيحيهما كثيرة ، عن كل من سلمة بن الاكوع ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن مسعود وابن عباس ، وسبرة بن معبد الجهني ، وابي ذر الغفاري ، وعمران بن حصين ، والاكوع بن عبد الله الاسلمي — واخرجها احمد بن حنبل في مسنده ، من حديث هؤلاء كلهم ، ومن حديث عبد الله بن عمر ، واخرج مسلم في باب نكاح المتعة من كتاب النكاح ، من الجزء الأول من صحيحه عن جابر بن عبد الله ، وسلمة بن الاكوع ، قالا خرج علينا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال إن رسول الله أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء اه — والصحاح في هذا المعنى كثيرة ، وفيما اشرنا اليه كفايه .

(المبحث الثاني) في دوام حلها ، واستمرار اباحتها ، وقد ذهب إلى ذلك أئمتنا الاثنا عشر من اهل البيت ، (واهل البيت ادرى بالذي فيه) وتبعهم في ذلك شيعتهم واولياؤهم ، وحسبك حجة لهم ما قد سمعته من اجماع المسلمين ، على أن الله تعالى شرعها في دينه القويم ، وصدع بإباحتها في الذكر الحكيم ، وأذّن في الاذن بها منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يثبت نسخها عن الله تعالى ، ولا عن رسوله (ص) ، حتى

انقطع الوحي ، باختيارالله تعالى لنبيه دار كرامته ، ومأوى اصفيائه ، بل ثبت عدم نسخها ، بحكم صحاحنا المتواترة ، من طريق العترة الطاهرة ، فراجعها في كتاب وسائل الشيعة ، إلى احكام الشريعة .

وإن ابتغيت صحاحا سواها ، فإليك ما اخرجه محدثوك (ايها القائل بتحريمها) انقله اليك بعين الفاظهم فأقول :

اخرج مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه[1] عن عطاء ، قال قدم جابر بن عبد الله معتمرا ، فجئناه في منزله ، فسأله القوم عن اشياء ، ثم ذكروا المتعة ، فقال نعم ، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبي بكر وعمر ، اه .

واخرج مسلم في الباب المذكور ايضا عن ابي نضره ، قال كنت عند جابر بن عبد الله ، فأتاه آت فقال — ابن عباس وابن الزبير ، اختلفا في المتعتين ، فقال جابر فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم نهانا عنهما عمر ، فلم نعد لهما اه .

واخرج مسلم في الصفحة المذكورة ايضا ، عن ابي الزبير ، قال سمعت جابر بن عبد الله يقول ، كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق ، الأيامَ على عهد رسول الله (ص) ، وابي بكر ، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث اه .

وانت تعلم ، ان ليس المراد من قول جابر في هذه الأحاديث ، استمتعنا على عهد رسول الله (ص) ، مرة ، وفعلناهما مع رسول الله (ص) أخرى ، وكنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (ص) ، تارة ، إلا بيان أنهم كانوا يستمتعون بمرأى منه صلى الله عليه وآله

(١) في صفحة ٥٣٥ من جزئه الأول

وسلم ويسمع ، فيقرهم على ذلك ، وأنه لم ينههم عنها ، حتى اختار الله له لقاءه ، — وناهيك بهذا برهاناً على دوام الإباحة — واذا نظرت الى قوله تمتعنا ، واستمتعنا ، وكنا نستمتع ، وفعلناها مع رسول الله(ص) ، تجده ظاهراً في نسبة فعلها ايام النبي(ص) وابي بكر الى عموم الصحابة ، لاالى نفسه بالخصوص ، ولو كان ثمة ناسخ ، ما فعلوهما بعد النبي(ص) ، ولا يجوز أن يخفى الناسخ عليهم ، مع ملازمتهم للرسول في حضره وسفره ليلاً ونهارا ، وكيف يخفى عليهم ، ثم يظهر للمتأخرين عنهم — على أن قول جابر(حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث) صريح بأن النهي عنها لم يكن من الله تعالى ولا من رسوله(ص) وإنما كان مـن عمر ، لقضية وقعت من عمرو بن حريث ، — وقوله ثم نهانا عمر دال على ان النهي كان متوجهاً منه إلى كافة الصحابة لا إلى شخص منهم مخصوص ، وأما قوله فلم نعدلها ، فإنما هو للتقية ، والخوف من العقوبة — والأخبار الدالة على دوام إباحة المتعة ، واستمرار حلها لا تستقصى في هذه العجالة ، وسأتلو عليك (في المبحث ٤ والمبحث ٥) لمة من الصحاح تدل على ذلك ايضا

(المبحث الثالث) في الأحاديث التي زعموا انها ناسخـة لحكم المتعة — أمعنا النظر فيها ، فوجدناها أحاديث ملفقة ، وضعها المتأخرون عن زمن الخلفاء الأربعة ، تصحيحا لرأي من حرمها ، وقد استقصيناها في رسالتنا ، الموسومة بالنجعه ، في احكام المتعه ، فأثبتنا من طريق خصومنا تضعيف تلك الأحاديث ، (وإن أخرجها الشيخان) ونقلنا كلمات البعض من أئمتهم في الجرح والتعديل ، الدالة على ذلك ، — على أن تلك الأحاديث الملفقة ، تناقض صحاحنا المتواترة ، من طريق العترة الطاهرة ، بل تناقض ما سمعته من صحاحهم الدالة على دوام حلها ، واستمرار إباحتها — ومن

تدبرها وجدها تناقض نفسها بنفسها ، وقد فصلنا ذلك كله في نجعتنا ، بما لا مزيد عليه — وانت هداك الله سمعت النص من جابر بن عبد الله ، على أن التحريم والنهي إنما كان من عمر ، في بادرة بدرت من ابن حريث ، وستسمع كلام عمران بن حصين ، وعبدالله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وامير المؤمنين ، فتراه صريحا بأن التحريم لم يكن بناسخ شرعي ، وإنما كان بنهي الخليفة الثاني — ومحال أن يكون ثمة ناسخ ، فيجهلونه ، وهم من علمت منزلتهم من رسول الله وملازمتهم له (ص) ، وحرصهم على اخذ العلم منه -- على أنه لو كان هنالك ناسخ لنبههم اليه ، بعض المطلعين عليه ، وحيث لم يعارضهم احد من الصحابة فيما كانوا ينسبونه من التحريم الى عمر ، علمنا انهم أجمع معترفون بذلك ، مقرون بأن لا ناسخ من الله تعالى ، ولا من رسوله(ص) ، كما لا يخفى — على أن عمر نفسه لم يدع النسخ ، كما ستسمع من كلامه الصريح في اسناد التحريم والنهي الى نفسه ، ولو كان هنالك ناسخ لأسند التحريم إلى الله تعالى ، اوإلى الرسول(ص) ، فإن ذلك أبلغ في الزجر ، وأولى بالذكر — ومن غرائب الأمور دعواهم النسخ ، بقوله تعالى (والذين هـم لفروجهم حافظون إلا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم) بزعم انها ليست بزوجة ، ولا ملك يمين ، (قالوا) أما كونها ليست بملك يمين فسلم ، واما كونها ليست بزوجة ، فلأنها لا نفقة لها ، ولا إرث ، ولا ليلة ، والجواب أنها زوجة شرعية ، بعقد نكاح شرعي ، أما عدم النفقة والإرث والليلة ، فإنما هو بأدلة خاصة ، تخصص العمومات الواردة في احكام الزوجات ، كما بيناه فيما علقناه على صفحة ٤٥ من هذه الفصول — على ان هذه الآية مكية نزلت قبل الهجرة بالإتفاق ، فلا يمكن ان تكون ناسخة لإباحة المتعة المشروعة في المدينة بعد الهجرة

بالاجماع ، — ومن عجيب أمر هؤلاء المتكلفين ، أن يقولوا بأن آية (المؤمنون) ناسخة للمتعة ، إذ ليست بزوجة ولا ملك يمين ، فإذا قلنا لهم ، ولم لا تكون ناسخة لنكاح الإماء المملوكات لغير الناكح ، وهن لسن بزوجات للناكح ، ولا ملك يمين له ، قالوا حينئذ أن آية المؤمنون مكية ، ونكاح الإماء المذكورات إنما شرع بقوله تعالى (في سورة النساء وهي مدنيه) — فمن لم يستطع منكم طولاً ان ينكح المحصنات فما ملكت أيمانكم — الآية والمكي لا يمكن ان يكون ناسخا للمدني ، لوجوب تقدم المنسوخ على الناسخ — يقولون هذا ، وينسون أن المتعة إنما شرعت في المدينة بقوله تعالى (في سورة النساء ايضا) — فما استمتعتم بـه منهن فآتوهن أجورهن — وقد منينا بقوم لا يتدبرون فإنا لله وإنا اليه راجعون .

(المبحث الرابع) في يسير من الأحاديث الدالة على ان التحريم إنما كان من الخليفة الثاني رضي الله عنه .

أخرج مسلم في باب المتعة بالحج والعمرة من صحيحه[1] بالإسناد الى أبي نضره ، قال كان ابن عباس يأمر بالمتعة ، وكان ابن الزبير ينهى عنها ، فذكرت ذلك لجابر ، فقال على يدي دار الحديث ، تمتعنا مع رسول الله (ص) ، فلما قام عمر ، قال إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء ، فأتموا الحج والعمرة ، وأبتوا نكاح هذه النساء ، فلن أوتى برجل نكح إمرأة الى أجل إلا رجمته بالحجارة اهـ — وهذا كما ترى صريح بما قلناه ، ولا تنس ما ذكرناه في المبحث الثاني من حديث جابر ، فإنه صريح بذلك ايضا فراجعه وتأمل .

وقد استفاض قول الخليفة الثاني وهو على المنبر ، متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهما واعاقب عليهما ، متعة الحج ومتعة النساء حتى

(١) في صفحة ٤٦٧ من جزئه الأول

نقل الرازي هذا القول عنه ، محتجا به عـلى حرمة متعة النساء ، فراجع تفسير آيتها من تفسيره الكبير .

والذي نقله متكلم الأشاعرة وحكيمهم ، الإمام القوشجي في أواخر مبحث الإمامة من شرح التجريد أن عمر ، قال وهو عـلى المنبر ، ايها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله (ص) ، وانا أنهى عنهن واحرمهن واعاقب عليهن ، متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل ، — ثم اعتذر عنه بأن هذا إنما كان منه عـن تأول واجتهاد — والأخبار في ذلك كثيرة ، تضيق هذه الفصول عن استقصائها .

وقد استمتع في أيامه ربيعة بن أمية بن خلف القرشي الجمحي (وهو اخو صفوان) فيما أخرجه الإمام مالك (في باب نكاح المتعة من موطأه) عن عروة بن الزبير ، أن خولة بنت حكيم السلمية دخلت عـلى عمر ، فقالت إن ربيعة بن أمية ، استمتع بامرأة فحملت منه ، فخرج عمر يجرّ رداءه ، (من العجلة والغضب) فقال هذه المتعة ، ولو كنت تقدمت فيها لرجمت ، اه اي لو كنت تقدمت في تحريمها والإنذار برجم فاعلها قبل هذا لرجمت) ، اذ كان هذا القول منه قبل نهيه عنها — نصّ على ذلك ابن عبد البر كما في شرح الزرقاني لهذا الحديث من الموطأ — وربما يكون المراد بقوله (لو كنت تقدمت فيها لرجمت) أنه لو تقدم بإقامة الحجة من الكتاب والسنة على نسخها لرجم ، وحيث لا حجة على تحريمها فلا رجم — وكيف كان فكلامه هذا ظاهر بأن التصرف في حكمها إنما هو منه لا من سواه — وخطبته تلك على المنبر نص صريح بذلك ، حيث روى كون المتعتين كانتا على عهد النبي (ص) ولم يرو نهيه عنهما ، بل أسند النهي عنهما الى نفسه ، فقال وانا أنهى عنهما مقدما للمسند اليه ليكون

النهي عنها مقصورا عليه ، ولو كان هناك ناسخ لذكره كما لا يخفى .

(المبحث الخامس) في الإشارة الى يسير ممن تسنى لهم أن يبوحوا ببعض ما تكنه نفوسهم ، من الانكار على تحريمها ، وهم كثيرون .

فمنهم جابر بن عبد الله الانصاري ، وقد سمعت حديثه .

ومنهم امير المؤمنين عليه السلام ، فيما اخرجه الإمامان الطبري والثعلبي ، عند بلوغهما في تفسيريهما الكبيرين الى آية المتعة من سورة النساء ، بالإسناد إلى علي[1] ، قال اولا ان عمر نهى عن المتعة ، ما زنى الا شقي وهذا المعنى متواتر عنه من طريق ابنائه الميامين.

ومنهم عبد الله بن عباس ، حيث قال ، ما كانت المتعة الا رحمة رحم الله بها امة محمد (ص) ، لولا نهيه (يعني عمر) عنها ما احتاج الى الزنى الا شفى ، اي إلا قليل من الناس ، نقل ذلك عنه ابن الأثير في مادة شفى ، من النهاية ، ورواه عنه خلق كثير — وقوله في إباحة المتعة والإنكار على من حرمها متواتر ، وله في ذلك مع ابن الزبير وغيره نوادر يطول المقام بذكرها وقد اخرج مسلم بعضها عن جابر فراجع صفحتي ٥٨ و٦٢ من كتابنا هذا .

ومنهم عبد الله بن عمر ، كما هو ثابت عنه — اخرج الإمام احمد في صفحة ٩٥ من الجزء الثاني من مسنده ، من حديث عبد الله بن عمر ، قال سأل رجل ابن عمر عن متعة النساء ، فقال والله ما كنا على عهد رسول الله (ص) ، زانين ولا مسافحين ، ثم قال والله لقد سمعت رسول الله (ص) ، يقول ليكونن قبل يوم القيامة ، المسيح الدجال ، وكذابون ثلاثون او اكثر اه .

(١) ونقله الرازي في صفحة ٢٠٠ من الجزء ٣ من تفسيره عن تفسير الطبري

ونقل العلامة في نهج الصدق ، والشهيد الثاني في نكاح المتعة من روضته البهية ، عن صحيح الترمذي ، أن رجلا من اهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء ، فقال هي حلال ، فقال إن اباك قد نهى عنها ، فقال ابن عمر ، ارأيت إن كان أبي نهى عنها ، وصنعها رسول الله (ص) ، أنترك السنة ، ونتبع قول أبي اه .

ومنهم عبد الله بن مسعود ، كما هو مقرر معلوم ، اخرج البخاري ومسلم في الصحيحين ، واللفظ للأول في الصفحة الثانية أو الثالثة من كتاب النكاح ، عن عبد الله (ابن مسعود) قال كنا نغزو مع رسول الله (ص) ، وليس لنا شيء[1] فقلنا الا نستخصي ، فنهانا عن ذلك ، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب ، ثم قرأ علينا ، يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين اه .

وأنت تعلم أن استشهاده بالآية دال على قوله بإباحة المتعة وإنكاره على من حرمها كما صرح به كل من شرح صحيح البخاري .

ومنهم عمران بن حصين ، فيما صح عنه ، وقد نقل فخر الدين الرازي أثناء بحثه عن حكم متعة النساء في تفسير آيتها ، من تفسيره الكبير ، عن عمران بن حصين ، قال انزل الله في المتعة آية ، وما نسخها بآية أخرى وامرنا رسول الله (ص) ، بالمتعة ، وما نهانا عنها ، ثم قال رجل برأيه ما شاء ، (قال الرازي) يريد عمر اه .

---

(١) يعني ليس لنا شيء من المال ، ولفظه في صحيح مسلم ، وليس لنا نساء ، فيكون الظاهر من رواية البخاري أن المرخص به إنما هو كون الثوب أجرة المتعة بدلا عن النقود ، وتكون المتعة مشروعة قبل ذلك ، والظاهر من رواية مسلم ، أن المرخص به نفس المتعة ، ويمكن دعوى ظهور الروايتين بهذا المعنى .

واخرج البخاري عن عمران بن حصين ، قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ، ففعلناها مع رسول الله (ص) ، ولم ينزل قرآن يحرمها ، ولم ينه عنها حتى مات (ص) ، قال رجل برأيه ما شاء اه .

واخرج احمد[1] في مسنده من طريق عمران القصير ، عن أبي رجاء عن عمران بن حصين ، قال نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى ، وعملنا بها مع رسول الله (ص) ، فلم تنزل آية تنسخها ، ولم ينه عنها النبي حتى مات (ص) اه .

وأمر المأمون ايام خلافته فنودي بتحليل المتعة ، فدخل عليه محمد ابن منصور وابو العيناء فوجداه يستاك ويقول[2] وهو متغيظ متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وعلى عهد ابي بكر وانا أنهى عنهما — ومن انت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله (ص) وابو بكر ، فأراد محمد بن منصور ان يكلمه ، فأومأ اليه ابو العيناء ، وقال رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن ، فلم يكلماه ، ودخل عليه يحيى بن اكثم فخوفه من الفتنة ، وذكر له ان الناس يرونه قد أحدث في الإسلام بسبب هذا النداء حدثا عظيما ، لا ترتضيه الخاصة ، ولا تصبر عليه العامة ، إذ لا فرق عندهم بين النداء بإباحة المتعة والنداء بإباحة الزنى ، ولم يزل به حتى صرف عزيمته احتياطا على ملكه ، وأشفاقاً على نفسه .

---

(١) في صفحة ٤٣٦ من الجزء ٤ — وأخرج أيضا في صفحة ٤٣٨ من الجزء ٤ من طريق حميد عن الحسن عن عمران مثله .

(٢) فيما نقله ابن خلكان في ترجمة يحيى بن أكثم من وفيات الاعيان لكنه لم ينقل حديث يحيى بن أكثم مع المأمون على وجهه والصحيح ما نقلناه

خاتمة

قال العسكري (فيما نقله السيوطي عنه في ترجمة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء) هو اول من سمي امير المؤمنين ، واول من كتب التاريخ من الهجرة ، واول من اتخذ بيت المال ، واول من سنّ قيام شهر رمضان (بالتراويح) واول من عس بالليل ، واول من عاقب على الهجاء ، واول من ضرب في الخمر ثمانين ، واول من حرم المتعة ، الخ — والذين صرحوا بهذا من اعلام السلف والخلف لا يحيط بهم هذا الاملاء ، وفي هذا القدر كفاية ، إذ تبين به أن تحريم المتعتين إنما كان عن اجتهاد محض ، وتأول صرف ، وقد قوبل بالاذعان ، ولم يندد به من الجمهور إنسان ، فثبت ما أردناه في هذه العجالة ، وتم ما افردنا له هذه الرسالة ، من معذرة المجتهدين ، ونجاة المتأولين من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين — ولنرجع الى ما كنا فيه من موارد تأولهم ، فنقول عطفاً على ما سبق .

ومنها تأولهم في أذان الصبح ، حيث تصرفوا فيه فنظموا في سلك فصوله فصلاً لم يكن أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الا وهو نداء موذنهم (الصلاة خير من النوم) بل لم يكن ايام ابي بكر ، وإنما أمر به الخليفة الثاني ، فيما دلت عليه الأحاديث المتواترة ، من طريق العترة الطاهرة ، وحسبك من غيرها ما اخرجه الامام مالك ، في باب ما جاء في النداء للصلاة من موطأه من أنه بلغه أن المؤذن جاء الى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً ، فقال الصلاة خير من النوم ، فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح انتهى بلفظه — وقال العلامة الزرقاني عند بلوغه الى هذا الحديث من شرح الموطأ ما هذا لفظه : هذا البلاغ أخرجه

الدارقطني في السنن من طريق وكيع في مصنفه ، عن العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر — (قال) واخرج عن سفيان عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر عن عمر ، أنه قال لمؤذنه إذا بلغت حي على الفلاح في الفجر فقل الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم اه .

قلت واخرجه ابن ابي شيبة من حديث هشام بن عروة ، ورواه جماعة آخرون يطول المقام بذكرهم .

وانت تعلم أن لاعين ولا أثر لهذه الكلمة فيما هو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من كيفية الأذان ، فراجع إن شئت كتاب الأذان في الجزء الأول من صحيح البخاري ، وباب صفة الأذان وهو في اول كتاب الصلاة من صحيح مسلم ، تعلم حقيقة ما نقول — وايضا ذكروا في اصل مشروعية الأذان[1] قضية تمنعها الإمامية حاصلها أن عبد الله بن زيد بن ثعلبة الانصاري رأى ليلة فيما يراه النائم شخصاً علمه الأذان والإقامة فلما انتبه قبل الفجر ، وقص الرؤيا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أمره أن يلقن بلالا ما حفظه في تلك الرؤيا ، وأمر بلالا ان ينادي به أول الفجر ، ففعلا ذلك ، وشرع الأذان بهذا الطيف فيما زعموا — ونحن نظرنا فيما نقلوه من تلقين عبد الله لبلال فلم نجد فيه (مع كونه أذاناً للفجر) الصلاة خير من النوم ، والأدلة على كون هذه الكلمة ليست من الله تعالى ، ولا من رسوله (ص) ، كثيرة ، وماذكرناه

(١) ذكر هذه القضية مالك في موطأه على سبيل الاجمال ، وفصلها كل من ابن عبد البر والزرقاني في شرحيها ، وأوردها الحلبي في باب بدء الأذان ومشروعيته من الجزء الثاني من سيرته — وكل من ذكر عبد الله بن زيد من أهل التراجم أشار إلى هذه القضية وربما سموه صاحب الأذان ، واصحابنا ينكرونها ويعدونها من المحال

كاف لإثبات تأولهم في الأذان واف بمعذرة المتأولين في كل زمان .

ومنها تأولهم في اسقاط حيّ على خير العمل من الأذان والإقامة ، وذلك انهم كانوا يرغبون في إعلام العامة ، بأن خير العمل إنما هو الجهاد في سبيل الله ، ليشتاقوا اليه ، وتعكف هممهم عليه ، والنداء على الصلاة بخير العمل ، في كل يوم خمس مرات[1] ينافي ذلك .

بل ربما رأوا أن في بقاء هذه الكلمة في الأذان والإقامة ، تثبيطاً للعامة عن الجهاد ، إذ لو عرفوا أن الصلاة خير العمل ، مع ما فيها من الدعة والسلامة ، لاقتصروا في ابتغاء الثواب عليها ، واعرضوا عن خطر الجهاد المفضول بالنسبة اليها ، وكانت همم ولي الأمر يومئذ (عمر بن الخطاب رض) مصروفة إلى الاستيلاء على ممالك الأرض ، وعزائمه مقصورة على امتلاكها في الطول والعرض .

وفتح الممالك ، لا يكون الا بتشويق الجند الى التورط في سبيله بالمهالك ، بحيث يشربون في قلوبهم الجهاد ، حتى يعتقدوا أنه خير عمل يرجونه يوم المعاد .

ولذا ترجح في نظره اسقاط هذه الكلمة ، تقديماً لتلك المصلحة على التعبد بما جاء به الشرع الاقدس ، فقال وهو على المنبر ، (كما نصّ عليه القوشجي في اواخر مباحث الإمامة من شرح التجريد ، وهو من أئمة المتكلمين على مذهب الاشاعرة) ثلاث كنّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وانا انهى عنهن ، وأحرمهن ، واعاقب عليهن ، متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل[2] .

---

(١) بل كل مسلم ملتزم بالسنة يقولها كل يوم عشر مرات

(٢) واعتذر بعد أن أرسله عنه إرسال المسلمات بأنه قد اجتهد في ذلك .

وتبعه في اسقاطها عامة من تأخر عنه من المسلمين ، حاشا اهل البيت ومن يرى رأيهم ، فإن حي على خير العمل من شعارهم ، كما هو بديهي من مذهبهم ، حتى ان شهيد فخ (الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن امير المؤمنين عليهم السلام) لما ظهر بالمدينة ايام الهادي[1] من ملوك العباسيين ، امر المؤذن ان ينادي بها ففعل ، نص على ذلك ابو الفرج الاصفهاني ، حيث ذكر صاحب فخ ومقتله ، في كتابه مقاتل الطالبيين ، وذكر العلامة الحلبي ، في باب بدء الأذان ومشروعيته ، في صفحة ١١٠ من الجزء الثاني من سيرته ، أن ابن عمر ،(رض) والإمام زين العابدين ، علي بن الحسين عليهما السلام ، كانا يقولان في الأذان ،(بعد حي على الفلاح) حي على خير العمل اه .

قلت وهذا متواتر عن أئمة اهل البيت ، فراجع حديثهم في كتاب وسائل الشيعة ، إلى احكام الشريعة ، لتكون على بصيرة من مذهبهم .

ونحن الآن ، في أن السلف تأولوا ، فأسقطوا فصلا من الأذان والإقامة ، فلم يقدح ذلك (عند الجمهور) في تبوئهم منصة الخلافة واريكة الإمامة ، فكيف لا يكون المتأول بعدهم معذورا ، ام كيف لا يكون مثابا مأجورا ، فاحكموا بالعدل ايها المنصفون .

ومنها صلاة التراويح[2] اذ لم تكن ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا في ولاية ابي بكر ، وإنما سنها الخليفة الثاني سنة ١٤ للهجرة بالاجماع ، نص العسكري على ذلك في أوائله ، ونقله السيوطي

(١) مضلُّ الناس قد سموه هاد كما قد سميَ الأعمى بصيرا

(٢) هي نافلة رمضان جماعة وإنما سميت تراويح للاستراحة فيها بعد كل أربع ركعات ونحن نصلي نافلة رمضان فرادى كما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

في الفصل الذي عقده لخلافة عمر ، من كتابه تاريخ الخلفاء [١] .

وقال ابن عبد البر ، في ترجمة عمر من الاستيعاب ، وهو الذي نوّر شهر الصوم بصلاة الإشفاع فيه .

وقال العلامة ، ابو الوليد محمد بن الشحنة ، حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه (روضة المناظر)[٢] هو اول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وجمع الناس على اربع تكبيرات في صلاة الجنائز واول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح الخ ، ولما ذكر السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء) اوّليّات عمر نقلا عن العسكري ، قال هو أول من سمي امير المؤمنين ، إلى ان قال واول من سن قيـام شهر رمضان (بالتراويح) واول من حرم المتعة واول من جمع الناس في صلاة الجنائز على اربع تكبيرات الخ — وقال محمد بن سعد (حيث ترجمة عمر في الجزء الثالث من الطبقات) وهو اول من سن قيام شهر رمضان (بالتراويح) وجمع الناس على ذلك وكتب به الى البلدان وذلك في شهر رمضان سنة اربع عشرة ، وجعل للناس بالمدينة قارئين ، قارئاً يصلي (التراويح) بالرجال ، وقارئاً يصلي بالنساء الخ .

واخرج البخاري ، (في اواخر الجزء الاول من صحيحه ، في كتاب صلاة التراويح) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال مـن قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، (قال) فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والامر على ذلك ، ثم كان الامر على ذلك

---

(١) في صفحة ٥١

(٢) عرفت سابقا أنه مطبوع في هامش ابن الأثير وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١٢٢ من جزء ١١

في خلافة ابي بكر (رض) وصدرا من خلافة عمر اه .

واخرج مسلم ،(في باب الترغيب في قيام رمضان ، من الجزء الاول من صحيحه) أن رسول الله (ص) ، كان يرغّب في قيام رمضان ، من غير ان يأمرهم فيه بعزيمة ، فيقول من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، (قال فتوفي "ص" ، والامر على ذلك ، ثم كان الامر على ذلك في خلافة أبي بكر ، وصدرا من خلافة عمر على ذلك اه .

واخرج البخاري في كتاب صلاة التراويح من صحيحه عن عبد الرحمن بن عبدٍ — القاريّ[1] .

قال خرجت مع عمر ليلة في رمضان الى المسجد ، فإذا الناس اوزاع متفرقون ، إلى أن قال ، فقال عمر إني ارى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد كان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أُبي بن كعب ، (قال) ثم خرجت معه ليلة أُخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر (رض) نعمت البدعة هذه ، الحديث .

وقال العلامة القسطلاني (في أول الصفحة الرابعة من الجزء الخامس من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري عند بلوغه الى قول عمر في هذا الحديث نعمت البدعة هذه) ما هذا نصه ، سماها بدعة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يسنّ لهم الاجتماع لها ، ولا كانت في زمن الصديق ، ولا أول الليل ، ولا كل ليلة ، ولا هذا العدد الخ .

(١) عبدٍ القاريّ بتنوين عبد وتشديد ياء القاري نسبة الى قاره وهو ابن ديش ابن محلم بن غالب المدني كان عبد الرحمن هذا عامل عمر على بيت المال وهو حليف بني زهرة روى عن عمر ، وأبي طلحة ، وأبي ايوب ، وأبي هريرة ، وروى عنه ابنه محمد ، والزهري ، ويحيى بن جعدة بن هبيرة ، مات سنة ثمانين ، وله ثمان وسبعون سنة

وفي تحفة الباري مثله فراجع — وهذا أمر لا يناقش فيه احد من المسلمين ، وحسبك به دليلا على معذرة المتأولين .

ومنها تأولهم آية الزكاة ، إذ أسقطوا منها سهم المؤلفة قلوبهم ، مع نص الكتاب والسنة على ثبوته ، وكونه معلوما بحكم الضرورة من دين الإسلام ، وقد أجمعت كلمة المسلمين ، واتفقت جميع طوائفهم ، على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كان يعطيهم منها حتى لحق بربه عز وجل ، وأنه لم يعهد الى احد من بعده بإسقاط سهمهم ، وقد ذكر(1) صاحب كتاب الجوهرة النيرة ، على مختصر القدوري«2» في الفقه الحنفي

«1» وذكر المؤرخون نظير هذه الحكاية ايضا ، إذ قالوا جاء عيينة بن حصين والاقرع ابن حابس إلى ابي بكر ، فقالا له ان عندنا ارضا سبخة ، ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فإن رأيت أن تقطعناها لعل الله ان ينفع بها بعد اليوم ، فقال ابو بكر لمن حوله ما تقولون ، قالوا لا بأس ، فكتب لهما بها كتابا فانطلقا إلى عمر ، ليشهد لهما فيه فأخذه منهما ثم تفل فيه فمحاه ، فتذمرا وقالا له مقالة سيئة ، ثم ذهبا الى ابي بكر وهما يتذمران ، فقالا والله ما ندري أأنت الخليفة ام عمر ، فقال بل هو ، وجاء عمر حتى وقف على ابي بكر وهو مغضب ، فقال اخبرني عن هذه الارض التي اقطعتها هذين ، أهي لك خاصة ام بين المسلمين ، فقال بل بين المسلمين ، فقال ما حملك على ان تخص بها هذين ، قال استشرت الذين حولي ، فقال او كل المسلمين وسعتهم مشورة ورضا ، فقال ابو بكر «رض» فقد كنت قلت لك انك اقوى على هذا الامر مني ، لكنك غلبتني

نقل هذه القضية ابن ابي الحديد ، في الجزء الثاني عشر من شرح النهج ، في صفحة ١٠٨ من المجلد الثالث ، والعسقلاني في ترجمة عيينة من اصابته وغيرهما — وليته يوم السقيفة وسع كل المسلمين مشورة ، ويا حبذا لو تأنى حتى يفرغ بنو هاشم من امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

«2» هو من اشهر الكتب الحنفية ينبه كرن به ولمصنفه شأن عظيم وما نقلناه هنا عنه مصرح به في كلمات المحدثين والفقهاء كما لا يخفى .

في صفحة ١٦٤ من جزئه الأول ، أن المؤلفة قلوبهم ، جاءوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى أبي بكر رضي الله عنه ليكتب لهم بعادتهم فكتب لهم بذلك ، فذهبوا بالكتاب الى عمر (رض) ليأخذوا خطه على الصحيفة ، فزقها وقال لا حاجة لنا بكم ، فقد أعز الله الإسلام ، وأغنى عنكم ، فإن أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم ، فرجعوا إلى أبي بكر ، فقالوا له أنت الخليفة أم هو ، فقال بل هو ان شاء الله وأمضى مافعله عمر واستقر الأمر من يومها عند الجمهور ، على اسقاط هذا السهم ، بحيث لا تبرأ الذمة عندهم بإعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة .

ومنها تأولهم آية الخمس ، وهي قوله تعالى في سورة الأنفال (واعلموا انما غنمتم[1] من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله[2] وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير) حيث صرفوا الخمس الى خلاف منطوقها .

فذهب الإمام مالك (كما هو معلوم من مذهبه) الى أن الخمس بأسره مفوض إلى السلطان ، يصرفه كيف شاء ، وأنه لا حق لأحد بالمطالبة فيه ، وذهب الإمام ابو حنيفة (كما هو بديهي من مذهبه) الى أنه يقسم ثلاثة أسهم ، فيعطى لمطلق أيتام المسلمين سهم ، ولمطلق

(١) الغنيمة لغة هي الفوز بالشيء وذلك أعم من غنائم دار الحرب ، وبهذا تعلم دلالة الآية على مذهبنا في الخمس

(٢) معنى هذا الشرط ، أن الخمس مصروف الى هذه الوجوه الستة ، فاقطعوا عنه أطماعكم ، وأدوه لأربابه إن كنتم آمنتم بالله ، وفيه من البعث على أداء الخمس والإنذار لتاركيه ، ما لا تسع بيانه عبارة .

مساكينهم سهم ، ولمطلق أبناء السبيل منهم سهم ، ولا فرق عنده في ذلك بين ذي القربى منهم وغيره .

وأنت ترى نص الكتاب ، قد فرض لذي القربى في الخمس حقا قصره عليهم ، وتعلم أن السنة المطهرة قد جعلت لهم فيه سهما لن تبرأ الذمة الا بدفعه اليهم ، وقد أجمع كافة اهل القبلة من اهل كل مذهب منهم ونحله ، على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يختص بسهم من الخمس ، ويخص منه اقاربه بسهم آخر ، ولم يعهد بتغيير ذلك الى احد ، حتى لحق بربه عز وجل ، فلما ولي ابو بكر (رض) تأول الأدلة فأسقط سهم النبي صلى الله عليه وآله ، وسهم ذوي القربى ، ومنع (كما في تفسير هذه الآية من الكشاف وغيره) بني هاشم من الخمس — وفي أواخر باب غزوة خيبر من صحيح البخاري ، في صفحة ٣٦ من جزئه الثالث ، أن فاطمة ارسلت الى ابي بكر تسأله ميراثها من رسول الله(ص)، مما افاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فأبى ابو بكر أن يدفع اليها شيئا ، فوجدت عليه فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي(ص)، ستة اشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا ، ولم يؤذن بها ابا بكر وصلى عليها . الحديث — وهو موجود ايضا في باب قول النبي لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة ، من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من جزئه الثاني ، وفي مواضع أخر من الصحيحين كما لا يخفى .

واخرج مسلم في اواخر كتاب الجهاد والسير ، من الجزء الثاني من صحيحه ، عن قيس بن سعد عن يزيد بن هرمز ، قال كتب نجدة بن عامر (الحروري الخارجي) الى ابن عباس ، قال (يزيد بن هرمز) فشهدت ابن عباس حين قرأ كتابه ، وحين كتب جوابه (قال) فقال ابن عباس ،

والله لولا أن أرده عن نتن يقع فيه ، ما كتبت اليه ، ولا نعمة عين، قال فكتب اليه إنك سألت عن سهم ذي القربى الذين ذكر الله : من هم : وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله(ص)، هم نحن ، فأبى ذلك علينا قومنا الحديث (١) .

واخرجه ايضا الإمام احمد ، من حديث ابن عباس في أواخر صفحة ٢٩٤ من الجزء الأول من مسنده ورواه المحدثون بطرق كلها صحيحة— وهذا هو مذهب اهل البيت ، والمتواتر عن أئمتهم عليهم السلام .

ومنها اقتصارهم في صلاة الجنائز على اربع تكبيرات ، كما هو معلوم من فقه اهل المذاهب الاربعة وسيرتهم ، واول من جمع الناس على ذلك عمر بن الخطاب (رض) كما نص عليه جماعة كثيرون ، منهم السيوطي. حيث ذكر أوليات عمر في تاريخ الخلفاء ، وابن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه روضة المناظر (٢) وغيرهما من اهل الأخبار

ويدلك على تأولهم في هذه المسألة ، ما اخرجه الإمام احمد بن حنبل من حديث زيد بن ارقم في صفحة ٣٧٠ من الجزء الرابع من مسنده ، عن عبد الأعلى قال صليت خلف زيد بن ارقم ، على جنازة فكبر خمسا ، فقام اليه ابو عيسى عبد الرحمن بن ابي ليلى ، فأخذ بيده فقال نسيت ، قال لا ولكن صليت خلف ابي القاسم خليلي صلى الله عليه وآله وسلم ، فكبر خمسا ، فلا أتركها ابدا اه .

---

(١) فراجعه في أول صفحة ١٠٥ من ج ٢ من صحيح مسلم المطبوع سنة ١٣٢٧ على نفقة الحلبي وأخويه .

(٢) وهو مطبوع في هامش ابن الأثير وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١٢٢ من جزء ١١ .

ومنها تأولهم في البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثاني ، حتى اخرج الطبري عند ذكر وفاة ابي بكر في حوادث سنة ١٣ من الجزء الرابع من تاريخه ، بالإسناد الى سعيد بن المسيب ، قال لما توفي ابو بكر اقامت عليه عائشة النوّح ، فاقبل عمر بن الخطاب ، حتى قام ببابها ، فنهاهن عن البكاء على أبي بكر ، فأبين ان ينتهين ، فقال عمر لهشام بن الوليد ادخل فأخرج إليّ ابنة ابي قحافه ، فقالت عائشة لهشام ، حين سمعت ذلك من عمر ، إني أحرّج عليك بيتي ، فقال عمر لهشام ادخل فقد اذنت لك ، فدخل هشام ، فأخرج أم فروة أخت أبي بكر الى عمر ، فعلاها بالدرة ، فضربها ضربات ، فتفرق النوّح حين سمعوا ذلك اه — هذا مع ما اخرجه الإمام احمد من حديث ابن عباس ، في صفحة ٣٣٥ من الجزء الاول من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقيه ، بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبكاء النساء عليها ، قال فجعل عمر يضربهن بصوته ، فقال النبي دعهن يبكين ، وقعد على شفير القبر ، وفاطمة الى جنبه تبكي ، قال فجعل النبي يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها اه .

واخرج احمد ايضا ، من حديث ابي هريرة ، في صفحة ٣٣٣ من الجزء الثاني من مسنده حديثاً جاء فيه ، أنه مرّ على رسول الله جنازة معها بواكي فنهرهن عمر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعهن ، فإن النفس مصابة ، والعين دامعة .

واخرج الإمام احمد ، من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من مسنده قال رجع رسول الله من احد ، فجعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من ازواجهن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن حمزة لا بواكي له (قال) ثم نام فانتبه وهن يبكين حمزة (قال) فهن اليوم اذا

بكين يندبن حمزة اه – وهذا الحديث مستفيض بين المسلمين ، وقد ذكره ابن جرير ، وابن الاثير ، وصاحب العقد الفريد ، وجميع اهل السير والاخبار – وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب نقلاً عن الواقدي ، قال لم تبك امرأة من الانصار على ميت ، بعد قول رسول الله (لكن حمزة لا بواكي له) الى اليوم ، إلا بدأت بالبكاء على حمزة – وذكر ابن عبدالبر في ترجمة جعفر من استيعابه ، قال لما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، نعي جعفر أتى امرأته اسماء بنت عميس فعزاها (قال) ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه ، فقال رسول الله (ص) ، على مثل جعفر فلتبك البواكي .

واخرج البخاري في الصفحة الثالثة من ابواب الجنائز من صحيحه ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، بكى على زيد وجعفر ، وذكر ابن عبد البر في ترجمة زيد من استيعابه ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، بكى على جعفر وزيد ، وقال أخواي ومؤنساي ومحدثاي – وبكى على ولده ابراهيم ، فقال له عبد الرحمن بن عوف (كما في الجزء الاول من صحيح البخاري) وانت يا رسول الله ، قال يا ابن عوف انها رحمة ، ثم أتبعها (يعني عبرته) بأخرى ، فقال إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون – وقد علم الناس كافة ، بكاءه على عمه حمزة ، حتى قال ابن عبد البر في ترجمته من الاستيعاب ، لما رأى النبي حمزة قتيلا بكى ، فلما رأى ما مثل به شهق – وذكر الواقدي (كما في اواخر صفحة ٣٨٧ من المجلد الثالث من شرح النهج أن النبي (ص) كان يومئذ إذا بكت صفية يبكي ، وإذا نشجت ينشج ، قال وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله – وبكى صلى الله عليه وآله على صبي مات لاحدى بناته ، فقال له سعد (كما في صحيحي البخاري ومسلم)

ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة ، جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء اه – الى ما لا يحصى من قبيل هذه الأحاديث المشهورة ، مما لا يمكن استقصاؤه ، وفي هذا المقدار كفايه .

وأما ما جاء في الصحيحين ، من أن الميت يعذب ببكاء اهله عليه ، وفي رواية ببعض بكاء اهله عليه ، وفي روايـة ببكاء الحي ، وفي رواية يعذب في قبره بما نيح عليه ، وفي رواية من يُبك عليه يعذب ، فإنه خطأ من الراوي ، بحكم العقل والنقل ، قال الفاضل النووي (عند ذكر هذه الروايات في باب الميت يعذب ببكاء اهله عليه من شرح صحيح مسلم) هذه الروايات كلها من رواية عمر بن الخطاب ، وابنه عبدالله (قال) وانكرت عائشة عليها ونسبتهما الى النسيان والاشتباه ، واحتجت بقوله تعالى ، ولا تزر وازرة وزر أخرى – قلت وانكر هذه الروايات ايضا ابن عباس واحتج على خطأ راويها ، والتفصيل في الصحيحين وشروحها ، ومازالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض ، حتى ناحت على ابيها يوم مات ، فكان بينهما وبين عمر ما قد سمعت ، والتفصيل في رسالتنا (الاساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة) وفي مقدمة مجالسنا الفاخرة[1] في مآتم العترة الطاهرة .

وللسلف تأولات غير الذي ذكرناه ، كتأخيرهم مقام ابراهيم الى موضعه اليوم[2] وكان ملصقا بالبيت ، وتوسعتهم المسجد الحرام ، سنة ١٧ للهجره

---

(١) المطبوعة سنة ١٣٣٢ (٢) أخره الخليفة الثاني كما هو مستفيض عنه فراجع صفحة ١١٣ من المجلد الثالث من شرح النهج الحديدي طبع مصر ومادة الديك من حياة الحيوان للفاضل الدميري وقال ابن سعد في ترجمة عمر من طبقاته ما هذا لفظه : وهو الذي أخر مقام ابراهيم إلى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت اه – ونقل السيوطي ذلك في احوال عمر من تاريخ الخلفاء

بإضافة دور جماعة من حوله اليه، وكانوا أبوا بيعها فهدمها الخليفة الثاني عليهم[١] ووضع اثمانها في بيت المال، حتى أخذوها، وكحكمه على اليمانيين بدية ابي خراش الهذلي الشاعر الصحابي المشهور[٢] إذ باتوا ضيوفا عنده فذهب يستقي لهم فمات من حية نهشته في الطريق، وكنفيه نصر ابن الحجاج بن علابط السلمي الى البصره[٣] اذ تغنت به امرأة في دارها وكان في غاية من الحسن والجمال[٤] وكقضاياه المختلفة في ميراث الجد مع الأخوة[٥] حتى رجع الى رأي زيد بن ثابت الأنصاري .

وكتأوله آية التجسس، إذ رأى فيه صلاح المملكة، ونفع الرعية، فكان يتجسس نهارا، ويعس ليلا، حتى ذكر الغزالي في احياء العلوم[٦] أنه سمع وهو يعس بالمدينة صوت رجل يتغنى في بيته فتسور عليه، فوجد عنده إمرأة، وعنده خمر، فقال يا عدوّ الله، أظننت أن الله يسترك

(١) نص على ذلك جميع ارباب السير كابن الأثير في حوادث تلك السنة من كامله وغيره .

(٢) ذكر هذه القضية ابن عبد البر في ترجمة ابي خراش من كتاب الكنى من الاستيعاب ونقلها عنه الدميري في مادة الحية من حياة الحيوان

(٣) هذه القضية مستفيضة فراجع صفحة ٩٩ من المجلد الثالث من شرح ابن ابي الحديد طبع مصر تجد تفصيلها وقد ذكرها ابن خلكان في ترجمة نصر بن الحجاج من وفياته تفصيلا

(٤) وكنفيه ضبيع التميمي الى البصرة ايضا بعد ضربه الضرب المبرح إذ سأله عن تفسير آية من القرآن في قضية ذكرها ابن أبي الحديد في صفحة ١٢٢ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة

(٥) روى ذلك طارق بن شهاب الزهري والتفصيل في مادة الحية من حياة الحيوان للدميري

(٦) في صفحة ١٧٣ من الجزء الثاني المطبوع في هامشه كتاب عوارف المعارف

وانت على معصيته، فقال إن كنتُ عصيتُ الله في واحدة، فقد عصيتَه انت في ثلاث، قال الله ولا تجسسوا، وقد تجسست، وقال وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، وقد تسورت عليّ، وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية، وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام، فقال عمر (رض) هل عندك من خير إن عفوتُ عنك، قال نعم، فتركه وخرج، إلى غير ذلك من مصاديق اجتهاداته، وموارد تأولاته، التي عدل بها عن ظواهر الأدلة حرصا على توطيد دعائم السياسة، وابتغاء لتنظيم شؤونها، وتقديما لمصلحة المملكة، وإيثارا لتقوية الشوكة من وضعه الخراج على السواد، وكيفية ترتيبه للجزية، وعهده بالشورى على الوجه المعلوم، وقوله[1] يومئذ لو كان سالم (ابن معقل مولى ابي حذيفة) حيًّا استخلفته، مع انعقاد الإجماع[2] نصا وفتوى، على عدم جواز عقد الإمامة لمثله، ضرورة أنه من اهل فارس، إما من اصطخر، أو من كرمد، استرقته زوجة ابي حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكانت من الانصار .

---

(١) هذا القول متواتر عنه، وهو موجود في كامل ابن الأثير وغيره، من كتب السير والأخبار، حتى صرح ابن عبد البر، حيث أورد هذه المقالة في ترجمة سالم من استيعابه، بأنها عن رأي رآه عمر، واجتهاد أدى اليه نظره — وأخرج أحمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من مسنده أنه قال لو أدركني أحد رجلين اوثقت به، سالم مولى أبي حذيفة، وابو عبيدة

(٢) صرح بانعقاد الاجماع على ذلك جماعة كثيرون، منهم النووي في اول كتاب الامارة من شرحه لصحيح مسلم، ولو راجعت ذلك الكتاب في صحيح مسلم لازددت بصيرة، في أئمتك الاثني عشر عليهم السلام

تنبيه

أفادتنا سيرة بعض الصحابة أنهم إنما كانوا يتعبدون بالنصوص، ويجمدون عليها، إذا كانت متمحضة للدين، مختصة بالشؤون الأخروية، كنصه صلى الله عليه وآله وسلم، على صوم شهر رمضان دون غيره واستقبال القبلة في الصلاة لا غيرها، ونحو ذلك من أوامره، المتمحضة للنفع الأخروي، أما ما كان منها متعلقا بالسياسة، كالولايات والتأميرات، وتدبير قواعد الدولة، وتقرير شؤون المملكة وتسريب الجيش، فإنهم لم يكونوا يرون التعبد به، والالتزام في جميع الأحوال بالعمل على مقتضاه بل جعلوا لأفكارهم فيه مسرحا للبحث، ومجالا للنظر والاجتهاد، فكانوا إذا رأوا في خلافه رفعا لكيانهم، أو نفعا في سلطانهم، عدلوا عنه الى مايرفعون به كيانهم، اوينتفعون به في سلطانهم — ولذلك عدل هؤلاء في الخلافة عن وليها، المنصوص عليه من نبيها، فجعلوها للخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم) واحداً بعد واحد، مع عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها الى أخيه ووليه، ووارثه ووصيه، أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام .

لم يكونوا غائبين عن عهد النبي بها اليه، ولا جاهلين بنصوصه[1] المتواترة عليه، وكانت تترى من مبدأ امره (بأبي وأمي) الى آخر عمره كما أوضحناه، في مراجعاتنا الأزهرية وفي سبيل المؤمنين وإنما غلب على ظنهم أن العرب

(١) لم نذكر شيئا من هذه النصوص هنا، إكتفاء بمراجعاتنا الأزهرية ومناظراتنا المصرية، وقد استقصيتها بأسانيدها المعتبرة عند اهل السنة، وستطبع تلك المناظرات، وكل قريب آت إلا أن يشاء الله تعالى .

لا تخضع لعلي، ولا ترتضيه مالكاً لأزمة الحكم عليها، حيث أنه وترها في سبيل الله، وسفك دماءها بسيفه في إعلاء كلمة الله، وكشف القناع منابذاً لها في نصرة الحق، حتى ظهر أمر الله على رغم كل عاتٍ كفور.

فهم لا يطيعونه الا عنوة، ولا يخضعون لإمامته إلا بالقوة، وقد عصبوا به كل دم أراقه الإسلام أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، جرياً على عادتهم في أمثال ذلك، إذ لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في عشيرته احد يستحق ان تُعصبَ به تلك الدماء عند العرب غيره، لأنه الأمثل في عشيرته، والأفضل في قبيلته، ولذلك تربصوا به الدوائر، وقلّبوا له الأمور، واضمروا له ولذريته كل حسيكة، ووثبوا عليهم كل وثبة، وكان ما كان مما طار في الاجواء، وطبق رزؤه الارض والسماء.

وأيضا فإن قريشاً خاصة، والعرب عامة، كانت تنقم من علي شدة وطأته على أعداء الله، ونكال وقعته فيمن يتعدى حدود الله، أو يهتك حرماته عز وجل، وكانت ترهب من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتخشى عدله في الرعية، ومساواته بين الناس في كل قضية، ولم يكن لها فيه مطمع، ولا لأحد عنده هوادة، فالقوي العزيز عنده ضعيف ذليل، حتى يأخذ منه الحق، والضعيف الذليل عنده قوي عزيز، حتى يأخذ له بحقه، فمتى تخضع الاعراب لمثله، (وهم أشد كفراً ونفاقاً واجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) [ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم] وفيها بطانة لا يألونهم خبالا.

على أن قريشاً وسائر العرب كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله، حيث بلغ في علمه وعمله رتبة عند الله ورسوله تقاصرُ عنها الأقران،

وتراجعُ عنها الاكفاء ، ونال من الله ورسوله بسوابقه وخصائصه منزلة تشرئب اليها أعناق الأماني ، وشأوا تنقطع دونه هوادي المطامع ، وبذلك دبت عقارب الحسد له في قلوب المنافقين ، واجتمعت على نقض عهده كلمة الفاسقين ، والناكثين والقاسطين والمارقين ، فاتخذوا النص ظهرياً ، وكان لديهم نسياً منسيا .

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

على أن قريشاً وسائر العرب كانوا قد تشوفوا الى تداول الخلافة بين قبائلهم ، واشرأبت الى ذلك أطماعهم ، فامضوا نياتهم عليه ، ووجهوا عزائمهم اليه ، فتصافقوا على تناسي النص ، وعدم ذكره بالمرة ، وتبايعوا على صرف الخلافة من اول ايامها ، عن وليها ، المنصوص عليه من نبيها فجعلوها بالاختيار والانتخاب ، ليكون لكل حي من أحيائهم أمل في الوصول اليها ولو بعد حين ، ولو عملوا بالنص ، فقدموا علياً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لما خرجت الخلافة من عترته الطاهرة ، حيث قرنها يوم الغدير وغيره بمحكم الكتاب ، وجعلها قدوة لأولي الالباب ، الى يوم الحساب — وما كانت العرب لتصبر على حصر الخلافة في بيت مخصوص ، بعد أن طمحت اليها الأبصار من كافة قبائلها ، وحامت عليها النفوس من جميع احيائها .

وقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

ومن ألمَّ بتاريخ قريش والعرب في صدر الاسلام ، يعلم أنهم لم يخضعوا للنبوة الهاشمية ، إلا بعد أن تهشموا ، ولم يبق فيهم من رمق فكيف يرضون باجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم ، وقد قال الخليفة الثاني لابن عباس في كلام دار بينهما ، إن قريشاً كرهت أن تجتمع فيكم

النبوة والخلافة ، فتجحفون على الناس .

والسلف الصالح لم يتدن له أن يقهرهم يومئذ على التعبد بالنص ، فرقاً من انقلابهم إذا قاومهم ، وخشية من سوء عواقب الاختلاف في تلك الحال ، وقد ظهر النفاق بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقويت بفقده شوكة المنافقين ، وعتت نفوس الكافرين ، وتضعضعت أركان الدين ، وانخلعت قلوب المسلمين ، حيث صاروا بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب كاسرة ، ووحوش ضارية ، وقد ارتدت طوائف من العرب ، وهمت بالردة أخرى ، وعظم قلق السلف الصالح على الإسلام واشتد فرقهم على أمة سيد الأنام ، فصبروا على مخالفة النص بقيا على المسلمين ، واحتياطا على الدين — صبروا وفي أعينهم من ذلك قذى ، وفي حلوقهم منه شجى كما قالوا عليهم السلام — وأشفق علي أمير المؤمنين أن يظهر إرادة القيام بأمر الناس ، مخافة البائقة ، وفساد العاجلة والآجلة ، والقلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا ، يعضون عليهم الأنامل من الغيظ ، وأهل الردة على ما بينا ، والأنصار قد خالفوا المهاجرين ، وانحازوا عنهم ، يقولون منا أمير ومنكم أمير ، وهو فدعاه النظر للدين إلى الكف عن الإظهار ، والتجافي عن الأمور ، وعلم أن طلب الخلافة والحال هذه ، يستوجب التغرير في الدين ، والخطر بالأمة فاختار الكف ضنا بالدين ، وإيثارا للآجلة على العاجلة .

غير أنه قعد في بيته (ولم يبايع ، حتى أخرجوه كرهاً) احتفاظاً بحقه ، واحتجاجاً على من عدل عنه ، ولو أسرع إلى البيعة ما تمت له حجة ، ولا سطع له برهان ، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين ، والاحتفاظ بحقه من إمرة المؤمنين ، فدل ذلك على إصالة رأيه ، ورجاحة حلمه ، وسعة صدره ، وشدة زهده ، وفرط سماحه ، وقلة حرصه ، — ومتى سخت نفس امرىء

عن هذا الخطب الجليل، والأمر الجزيل، ينزل من الله تعالى بغاية منازل الدين، — وإنما كانت غايته مما فعل، أربح الحالين له، وأعود المقصودين عليه

أما الخليفة الأول وأتباعه، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فقد تأولوا النص عليه بالخلافة، للأسباب التي قدمناها، ولا عجب منه في ذلك، بعد الذي نبهناك اليه، من عدم تعبدهم بما كان من نصوصه صلى الله عليه وآله وسلم، متعلقاً بالسياسات والتأميرات، وتدبير قواعد الدولة، وتقرير شؤن المملكة، وإليك (مضافا الى ما تأولوه) نبذة من موارد تأولهم تكون نموذجاً لرأيهم في تلك النصوص وحسبك بها أدلة على معذرة المتأولين، وهي كثيرة

فمنها سرية اسامة بن زيد بن حارثة الى غزو الروم، وهي آخر السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد اهتم فيها (بأبي وأمي) اهتماما عظيما، فأمر اصحابه بالتهيؤ لها، وحضهم على ذلك، ثم عبأهم بنفسه الزكية، إرهافاً لعزائمهم، واستنهاضا لهممهم، فلم يبق احداً من وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر[1] وابي عبيدة وسعد وامثالهم

(١) اجمع اهل السير والأخبار على أن ابا بكر وعمر (رض) كانا في الجيش، وارسلوا ذلك في كتبهم ارسال المسلمات، وهذا مما لم يختلفوا فيه، فراجع ما شئت من الكتب المشتملة على هذه السرية، كطبقات ابن سعد، وتاريخي الطبري، وابن الأثير، والسيرة الحلبية، والسيرة الدحلانية وغيرها لتعلم ذلك، وقد اورد الحلبي حيث ذكر هذه السرية في الجزء الثالث من سيرته — حكاية ظريفة نوردها بعين لفظه، قال إن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية، الذي يضرب به المثل في الذكاء، وهو صبي، وخلفه اربع مائة من العلماء واصحاب الطيالسة، فقال المهدي، أف لهذه العثانين — أي اللحى — اما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث، ثم التفت اليه المهدي، وقال كم سنك يا فتى، فقال سني اطال الله بقاء امير المؤمنين، سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله — ص — جيشاً فيه ابو بكر وعمر — فقال تقدم بارك الله فيك (قال الحلبي) وكان سنه سبع عشرة سنة اه

الا وقد عبأه بالجيش[1] وكان ذلك لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة للهجرة[2] فلما كان من الغد دعا اسامة ، فقال له سر الى موضع قتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فاغزُ صباحاً على اهل أُبنى[3] وحرق عليهم ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فإن اظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك — فلما كان يوم الثامن والعشرين من صفر ، بدأ به صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت ، فحمّ (بأبي وأمي) وصدع ، فلما اصبح يوم التاسع والعشرين ووجدهم متثاقلين خرج اليهم ، فحضهم على السير ، وعقد صلى الله عليه وآله وسلم اللواء لأسامة بيده الشريفة ، تحريكا لحميتهم ، وإرهافا لعزيمتهم ، ثم قال اغز بسم الله وفي سبيل الله ، وقاتل من كفر بالله ، فخرج بلوائه معقودا ، فدفعه الى بريدة ، وعسكر بالجرف ، ثم تثاقلوا هناك ، فلم يبرحوا — مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب إسراعهم ، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم أغز صباحا على اهل أبنى ، وقوله واسرع السير لتسبق الأخبار ، إلى كثير من امثال هذه الأوامر

---

(1) كان عمر يقول لاسامة مات رسول الله — ص — وانت عليّ امير ، نقل ذلك عنه جماعة من الاعلام ، كالحلبي في سرية اسامة من سيرته الحلبية ، وغير واحد من المحدثين والمؤرخين .

(2) هذا بناء على ما صرح به كثير من اعلام السنة ، كابن سعد في سرية اسامة من طبقاته ، والحلبي والدحلاني في هذه السرية من سيرتيهما ، وقد اعتمدنا في شؤون هذه السرية على هاتين السيرتين

(3) أبنى بضم الهمزة وسكون الباء ثم نون مفتوحة بعدها الف مقصورة ناحية بالبلقاء من ارض سوريا بين عسقلان والرملة وهي قرب مؤتة التي استشهد عندها زيد ابن حارثة وجعفر بن ابي طالب ذو الجناحين في الجنة عليه السلام

التي لم يعملوا بها في تلك السرية – وطعن قوم منهم في تأمير اسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه ، وقالوا في ذلك فأكثروا ، مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالإمارة ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم له يومئذ فقد وليتك هذا الجيش ، ورأوه يعقد له لواء الامارة (وهو محموم) بيده الشريفة ، فلم يمنعهم ذلك من الطعن في تأميره ، حتى غضب صلى الله عليه وآله وسلم ، من طعنهم غضباً شديداً ، فخرج (بأبي وأمي) معصب الرأس«١» مدثراً بقطيفته محموما مألوما وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول ، قبل وفاته (بأبي وأمي) بيومين«٢» فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال (فيما اجمع اهل الأخبار على نقله ، واتفق أولو العلم على صدوره : ايها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة ، ولئن طعنتم في تأميري اسامة ، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليق بها ، وحضهم على المبادرة الى السير ، فجعلوا يودعونه ويخرجون إلى المعسكر بالجرف ، وهو يحضهم على التعجيل ، ثم ثقل (بأبي وأمي) في مرضه ، فجعل يقول جهزوا جيش اسامة ، أنفذوا جيش اسامة ، أرسلوا بعث اسامة – يكرر ذلك ، وهم متثاقلون ، فلما كان يوم الاثنين ، الثاني عشر من ربيع الأول

«١» كل من ذكر هذه السرية من المحدثين وأهل السير والأخبار نقل طعنهم في تأمير اسامة ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم غضب غضبا شديدا ، فخرج على الكيفية التي ذكرناها ، فخطب الخطبة التي اوردناها ، فراجع سرية اسامة من طبقات ابن سعد وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها من المؤلفات في هذا الموضوع

(٢) هذا بناء على ما ذكره الحلبي والدحلاني في سيرتيهما ، ورواه المحدثون من اهل السنة كابن سعد في سرية اسامة من طبقاته ، وهي في آخر القسم الاول من الجزء الثاني من الطبقات

دخل اسامة من معسكره على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بالسير ، قائلاً له اغدُ على بركة الله تعالى ، فودعه وخرج الى المعسكر ، ثم رجع ومعه عمر وابو عبيدة فانتهوا اليه (بأبي وأمي) وهو يجود بنفسه فتوفي (روحي وأرواح العالمين له الفداء) في ذلك اليوم «١» فرجع الجيش باللواء الى المدينة الطيبة — ثم عزموا على الغاء البعث بالمرة ، وكلموا ابا بكر في ذلك ، واصروا عليه غاية الإصرار ، مع ما رأوه بعيونهم من اهتمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في انفاذه ، وعنايته التامة في تعجيل إرساله ، ونصوصه المتوالية في الإسراع به ، على وجه يسبق الأخبار ، وبذله الوسع في ذلك منذ عبأه بنفسه ، وعهد إلى اسامة في أمره ، وعقد لواءه بيده ، إلى أن احتضر (بأبي وأمي) فقال اغدُ على بركة الله تعالى كما سمعت ، ولولا الخليفة لأجمعوا يومئذ على رد البعث ، وحل اللواء ، لكنه أبى عليهم ذلك ، — فلما رأوا منه العزم على إرسال البعث ، جاءه عمر بن الخطاب حينئذ يلتمس منه بلسان الأنصار ، أن يعزل اسامة ، ويولي غيره — هذا ولم يطل العهد منهم بغضب النبي ، وانزعاجه من طعنهم في تأمير اسامة ، ولا بخروجه من بيته بسبب ذلك محموماً مألوماً معصباً مدثراً ، يرسف في مشيته ، ورجله لا تكاد تقله ، مما كان به من لغوب ، فصعد المنبر وهو يتنفس الصعداء ، ويعالج البرحاء ، فقال ايها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة ، ولئن طعنتم في تأميري اسامة ، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وايم الله إن كان لخليقاً بالإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليق بها ، فأكد صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) وهذا ايضا بناء على ما في سيرتي الحلبي والدحلاني ورواية المحدثين من اهل السنة كابن سعد وغيره والمأثور عندنا انه توفي «ص» لليلتين بقيتا من صفر

الحكم بالقسم، وإنّ واسمية الجملة ولام التأكيد، ليقلعوا عما كانوا عليه فلم يقلعوا، . لكن الخليفة أبى أن يجيبهم الى عزل أسامة، كما أبى أن يجيبهم إلى الغاء البعث، ووثب فأخذ بلحية عمر (١) فقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتأمرني أن أنزعه — ولما سيروا الجيش (وما كادوا يفعلون) خرج اسامة في ثلاثة آلاف مقاتل، فيهم الف فرس(٢) وتخلف عنه جماعة ممن عبأهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في جيشه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم جهزوا جيش اسامة، لعن الله من تخلف عنه«٣» .

وانت تعلم أنهم إنما تثاقلوا عن السير اولاً، وتخلفوا عن الجيش اخيرا، ليُحكموا قواعد سياستهم، ويقيموا عمدها، ترجيحاً منهم لذلك على التعبد بالنص، حيث رأوه أولى بالمحافظة، وأحق بالرعاية، إذ لا يفوت

١ نقله الحلبي والدحلاني في سيرتيهما وابن جرير الطبري في احداث سنة ١١ من تاريخه وغير واحد من اهل الاخبار

٢ فشن الغارة على اهل أبنى فحرق منازلهم، وقطع نخلهم، وأجال الخيل في عرصاتهم، وقتل من قتل منهم، واسر من اسر، وقتل يومئذ قاتل ابيه، ولم يقتل والحمد لله رب العالمين من المسلمين احد، وكان اسامة يومئذ على فرس ابيه شعارهم يامنصور امت «وهو شعار النبي «ص» يوم بدر» وأسهم للفارس سهمين، وللراجل سهماً واحدا، واخذ لنفسه مثل ذلك

٣ ارسل هذه الكلمة ارسال المسلمات جماعة من أعلام الأثبات، كالامام ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في المقدمة الرابعة من المقدمات التي ذكرها في اوائل كتابه الملل والنحل — وأخرجها ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة بالإسناد المرفوع الى رسول الله «ص» ونقلها عنه جماعة من اهل الاخبار كالعلامة المعتزلي الحنفي في آخر صفحة ٢٠ من المجلد ٢ من شرحه لنهج البلاغة طبع مصر

البعث بتثاقلهم عن السير، ولا بتخلف من تخلف منهم عن الجيش — أما الخلافة فإنها تنصرف عنهم لا محالة، إذا انصرفوا إلى الغزوة قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم — وكان (بأبي وأمي) اراد أن تخلو منهم العاصمة، فيصفو الأمر من بعده لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب على سكون وطمأنينة، فإذا رجعوا وقد أبرم عهد الخلافة، وأحكم لعلي عقدها، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد — وإنما أمّر عليهم اسامة وهو ابن سبع عشرة سنة[1] ليا لأعنة البعض، وردا لجماح اهل الجماح منهم واحتياطا على الأمن في المستقبل من نزاع اهل التنافس لو أمّر احدهم كما لايخفى لكنهم فطنوا الى كل ما دبّر (ص) فطعنوا في تأمير اسامة، وتثاقلوا عن السير معه، فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بربه فهموا حينئذ بإلغاء البعث وحل اللواء تارة، وبعزل أسامة أخرى، ثم تخلف كثير منهم عن الجيش كما سمعت، فهذه خمسة أمور في هذه السرية لم يتعبدوا فيها بالنصوص الجلية إيثارا لرأيهم في الأمور السياسية وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبد بنصوصه صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها رزية يوم الخميس، وهي من الرزايا الفادحة، والقضايا الثابتة نقلها اهل السير والأخبار، واخرجها المحدثون كافة، بالطرق المجمع على صحتها، وحسبك منها ما اخرجه البخاري، في باب قول المريض قوموا عني، من كتاب المرضى من صحيحه[2] بسنده إلى عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس، قال، لما حضر رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم،

(١) على الأظهر وقيل كان ابن ثمان عشرة سنة وقيل ابن تسع عشرة سنة وقيل ابن عشرين سنة ولا قائل بأن عمره كان اكثر من ذلك

(٢) راجع صفحة ٥ من الجزء ٤ من الصحيح

وفي البيت رجال ، فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبي (ص) هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا[١] بعده ، فقال عمر ، إن النبي قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف اهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (ص)، قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ، قوموا ، قال عبيد الله ، فكان ابن عباس يقول ، إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله(ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، من اختلافهم ولغطهم ـا هـ

وهذا الحديث مما لا كلام في صحته ، وقد أورده البخاري في كتاب العلم ايضا من صحيحه[٢] ، وفي مواضع أخر يعرفها المتتبعون .

واخرجه مسلم في آخر الوصية من صحيحه [٣] ، ورواه احمد من حديث ابن عباس في مسنده[٤] ، وسائر المحدثين ، وقد تصرفوا فيه ، إذ نقلوه بالمعنى ، ولفظه الثابت عن عمر رضي الله عنه ، إن النبي يهجر ، لكنهم ذكروا أنه قال ، إن النبي قد غلب عليه الوجع ، تهذيباً للعبارة ، وتقليلا لما يستهجن منها ، ويدل على ذلك ، ما أخرجه ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة[٥] بالإسناد إلى عبد الله بن عباس ، قال لما حضرت رسول الله الوفاة ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال رسول الله(ص) ائتوني بدواة وصحيفة أكتب كتابا لا تضلوا بعده (قال) فقال

(١) بحذف النون مجزوماً لكونه جوابا ثانيا لهلم
(٢) في صفحة ٢٢ من جزئه الأول
(٣) في صفحة ١٤ من جزئه الثاني
(٤) راجع صفحة ٣٢٥ من جزئه الأول
(٥) كما في صفحة ٢٠ من المجلد الثاني من شرح النهج للعلامة المعتزلي طبع مصر

عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال عندنا القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف من في البيت واختصموا ، فمن قائل قربوا يكتب لكم النبي ، ومن قائل ما قال عمر ، فلما اكثروا اللغط واللغو والاختلاف ، غضب صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال قوموا . الحديث .

وتراه صريحاً بأنهم إنما نقلوا معارضة عمر بالمعنى لا بعين لفظه — ويدلك على هذا ايضا ، أن المحدثين حيث لم يصرحوا باسم المعارض يومئذ لرسول الله (ص) نقلوا الحديث بعين لفظه — قال البخاري في باب جوائز الوفد ، من كتاب الجهاد والسير من صحيحه[١] حدثنا قبيصة ، حدثنا ابن عيينة عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه قال ، يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه يوم الخميس ، فقال ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا ، فتنازعوا ولا ينبغي عندنبي تنازع ، فقالوا هجر رسول الله (ص) قال دعوني ، فالذي انا فيه خير مما تدعوني اليه ، (قال) واوصى عند موته بثلاث ، أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم (قال) ونسيت الثالثة[٢] — وهذا الحديث أخرجه مسلم ايضا ، في آخر كتاب الوصية من صحيحه ، واحمد من حديث ابن عباس في مسنده[٣] ونقله كافة المحدثين .

(١) في صفحة ١١٨ من جزئه الثاني

(٢) الثالثة ليست الا الأمر الذي أراد — بأبي وأمي — أن يكتبه حفظاًلهم من الضلال ، فصدوه من كتابته ، وهو العهد لعلي بالخلافة من بعده لكن السياسة في تلك الأوقات اضطرت رواة الحديث الى القول بأنهم قد نسوا ذلك فإنا لله وإنا اليه راجعون .

(٣) راجع صفحة ٢٢٢ من جزئه الأول

واخرج مسلم في كتاب الوصية ، من الصحيح عن سعيد بن جبير ، من طريق آخر ، عن ابن عباس ، أنه قال ، يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه ، حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ ، قال : قال رسول الله (ص) ائتوني بالكتف والدواة ، أو اللوح والدواة ، أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابداً ، فقالوا إن رسول الله (ص) يهجر اه[1] — ومن ألمّ بمجموع ما حول هذه الرزية من الأحاديث ، يعلم أن أول من قال يومئذٍ هجر رسول الله (ص) إنما هو الخليفة الثاني رضي الله عنه ، ثم نسج على منواله من الحاضرين من كانوا يرون رأيه ، ويؤثرون هواه ، كما يدل عليه الحديث الأول ، الذي رواه البخاري بسنده الى عبيدالله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، وقد سمعت قول ابن عباس فيه ، فاختلف اهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر

وكيف كان فإنهم لم يتعبدوا هنا بنصه الذي لو تعبدوا به لأمنوا من الضلال ، بل لم يكتفوا بعدم الامتثال لأمره ، حتى ردوا عليه بقولهم حسبنا كتاب الله ، كما يزيف احدنا رأي الآخر ، كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يعلم بمكان كتاب الله منهم ، او أنهم أعلم منه بخواص كتاب الله وفوائده ، وليتهم اكتفوا بهذا كله ، ولم يفاجئوه بكلمتهم تلك ، وهو محتضر (بأبي وأمي) بينهم ، وأي كلمة كانت منهم وداعاً له صلى الله عليه وآله وسلم — وكأنهم (حيث لم يأخذوا بهذا النص اكتفاء منهم بكتاب الله على ما زعموا) لم يسمعوا هتاف الكتاب آناء

(١) وأخرج هذا الحديث بهذه الألفاظ احمد في صفحة ٣٥٥ من الجزء الأول من مسنده وغير واحد من الأثبات .

الليل وأطراف النهار في انديتهم قائلا (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وكأنهم (حيث قالوا كلمتهم تلك) لم يقرأوا قوله تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثمّ أمين * وما صاحبكم بمجنون) وقوله عز من قائل (إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين) وقوله سبحانه وتعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علّمه شديد القوى) الى كثير من هذه الآيات المحكمة ، المنصوص فيها على عصمة قوله من الهجر (صلى الله عليه وآله وسلم) على أن العقل يستقل بذلك ، ويحكم جازماً به كما لا يخفى على أولي الألباب ، لكن القوم علموا أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، يريد توثيق العهد الى علي بالخلافة ، وتأكيد النص بها عليه خاصة ، وعلى الأئمة من عترته عامة ، إحتياطا على أمته ، ومبالغة في النصح لها ، واهتماما في شأن خلفائه ، بتسجيل عهده اليهم بالخلافة خطا ، بعد أن أعانه قولا وفعلا ، فصدوه عن هذه المهمة بكلمتهم هذه ، كما اعترف به الخليفة الثاني في كلام دار بينه وبين ابن عباس[1] — وأنت (هداك الله) إذا تأملت في قوله (ص) ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ، وقوله في حديث الثقلين إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، تعلم أن المرمى في الحديثين واحد ، وأنه (ص) ، إنما أراد في مرضه (بأبي وأمي) أن يكتب لهم تفصيل ما اوجبه عليهم في حديث الثقلين = وإنما عدل عن ذلك لأن كلمتهم التي فاجأوه

(١) راجع الجزء ١٢ من شرح النهج الحديدي تجد ذلك في السطر ٢٧ من صفحة ١١٤ من المجلد ٣ طبع مصر .

بها ، اضطرته الى العدول ، إذ لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب ، سوى اختلاف الأمة من بعده في أنه هجر فيما كتبه فيه (والعياذ بالله) أولم يهجر ، كما اختلفوا في ذلك ، فاختصموا واكثروا اللغو واللغط نصب عينيه ، فلم يتسنَّ له يومئذٍ اكثر من طردهم من مجلسه ، فقال قوموا عني كما سمعت — ولو اصرَّ فكتب الكتاب ، للجوا في قولهم هجر ، ولأوغل اشياعهم في إثبات هجره (والعياذ بالله) فسطروا به اساطيرهم ، وملأوا منه طواميرهم ، رداً على عليّ وشيعته إذا احتجوا بذلك الكتاب .

لهذا اقتضت حكمته البالغة ، أن يضرب صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك الكتاب صفحا ، لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم باباً الى الطعن في نبوته (نستجير بالله) وقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم ، أن أولياء عليّ خاضعون لخلافته ، كتب ذلك الكتاب أولم يكتب ، وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبره لو كتب ، فالحكمة والحال هذه توجب تركه إذ لا أثر له ، بعد تلك المعارضة سوى وقوع الفتنة كما لا يخفى — ومن تأمل احوالهم زمن النبي (ص) فضلاً عن ايام خلافتهم ، علم أنهم كانوا كما نبهناك اليه .

الا تراهم ، يوم تبوك كيف انكروا إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يومئذٍ) بنحر إبلهم ، وأكل لحومها ، إذ أملقوا في تلك الغزوة وجاعوا ، فانكر عمر (رضي الله عنه) ذلك ، وقال ما بقاؤكم بعد إبلكم والقضية ثابتة معروفة ، اخرجها البخاري في باب حمل الزاد في الغزو من كتاب الجهاد والسير ، من الجزء الأول من صحيحه ، ورواها سائر المحدثين

وانكروا عليه صلح الحديبية ، بتلك العبارات المزعجة ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم مأمورا به ، والحكمة كانت فيه بالغة ، إذ دخل

بسببه في الدين اضعاف ما دخل فيه قبل ذلك ، فكان في الواقع فتحاً مبيناً[١] ونصرا عزيزا ، بيد ان ابا حفص (رضي الله عنه) لم يدرك يومئذ حكمته ، واعتقده خطة خسف ، فأنكره جهرة ، وصادر به علانية ، والقضية مشهورة ، وحسبك منها ما اخرجه مسلم ، في باب صلح الحديبية من الجزء الأول من صحيحه ، ان عمر بن الخطاب قال يومئذ ، ألسنا على حق وهم على باطل ، قال رسول الله (ص) بلى ، قال أليس قتلانا في الجنة ، وقتلاهم في النار ، قال بلى ، قال ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال (ص) يا ابن الخطاب ، إني رسول الله ، ولن يضيعني الله ابدا قال فانطلق عمر (رض) فلم يصبر متغيضا ، فأتى ابا بكر (رضي الله عنه) فقال يا ابا بكر ألسنا على حق وهم على باطل ، قال بلى ، قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ، قال بلى ، قال فعلى مَ نعطي الدنية في ديننا ، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ، فقال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ، ولن يضيعه الله ابدا : الحديث ، واخرجه غير واحد من المحدثين بلهجة أشد مما سمعت — وأخرج البخاري في آخر كتاب الشروط [٢] من صحيحه ، حديثاً جاء فيه أن عمر (رض) قال فقلت ألست نبي الله حقا ، قال بلى ، قلت ألسنا على الحق ، وعدونا على الباطل ، قال بلى قلت فلمَ نعطي الدنية في ديننا اذن قال (ص) إني رسول الله ، ولست

---

(١) وفيه انزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحاً مبينا عن الشعبي وغيره كما في الكشاف وغيره — وعن موسى بن عقبة (كما في الكشاف ايضا) اقبل رسول الله (ص) من الحديبية راجعاً فقال رجل من اصحابه ، ما هذا بفتح ، لقد صدونا ، عن البيت وصُدَّ هدينا ، فبلغ النبي (ص) ذلك ، فقال بئس الكلام هـذا : بل هو اعظم الفتوح الحديث

(٢) في صفحة ٨١ من جزئه الثاني

أعصيه ، وهو ناصري ، قلت ُ اوليس كنتَ تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ، قال بلى ، أفأخبرتك انا نأتيه العام ، قلت لا ، قال فإنك آتيه ومطّوف به ، قال فأتيت ابا بكر ، فقلت يا ابا بكر ، أليس هذا نبي الله حقا ، قال بلى ، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ، قال بلى ، قلت فلمَ نعطيَ الدنية في ديننا إذن ، قال ايها الرجل إنه لرسول الله ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه[1] فوالله إنه على الحق ، فقلت أليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به ، قال بلى ، افأخبرك أنك تأتيه العامَ ، قلت لا ، قال فإنك آتيه ومطوّف به ، (قال) عمر (رض) فعملت لذلك اعمالا[2] قال فلما فرغ (رسول الله «ص») مــن قضية الكتاب (الذي كتبه يومئذ في الصلح) قال صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه ، قوموا فانحروا ، ثم احلقوا ، قال فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات : الحديث — واخرجه الامام احمد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسنده[3] — وذكر الحلبي في غزوة الحديبية من سيرته[4] أن عمر (رض) جعل يردُّ على رسول الله (ص) الكلامَ ، فقال له ابو عبيدة بن الجراح ، الا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله (ص) يقول مايقول ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال الحلبي ، وقال رسول الله (ص)

(١) الغرز ركاب من جلد يضع الراكب رجله فيه ، فيكون المعنى اعتلق به ، وأمسكه واتبع قوله وفعله ، ولا تخالفه ، فاستعار له الغرز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره — وفي القاموس غرز كسمع اطاع السلطان بعد عصيان ، وعلى هذا فلفظ غرْزِه هنا مصدر غرزَ فيكون المعنى استمسك بطاعته بعد العصيان

(٢) لاتخفى دلالة كلمته هذه على أن أعماله كانت عظيمة وبسببها لم يمتثلوا أمره اياهم بالنحر حتى أمرهم بذلك ثلاثا كما ستسمعه في الأصل

(٣) راجع آخر الصفحة ٣٣٠ من جزئه الرابع (٤) في الصفحة ١٩ من الجزء ٣

يومئذ ' يا عمر إني رضيتُ وتأبى – ونقل الحلبي وغيره أن عمر (رض) كان بعد ذلك يقول ' مازلت اصوم واتصدق واصلي واعتق ' مخافة كلامي الذي تكلمت به الى آخر ماهو مأثور عنه في هذه القضية .

وانكر رضي الله عنه يوم بدر ' اخذ الفداء من الأسرى واطلاق سراحهم وكان من رأيه ' أن يعمد حمزة الى اخيه العباس فيقتله ' ويأخذ علي أخاه عقيلا فيقتله ' وهكذا كل مسلم له قرابة في أسرى المشركين يقتله بيده ' حتى لا يبقى منهم احد ' فأعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الرأي ' تعبدا بالوحي الموافق للرحمة وللحكمة (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى) لكن الجاهلين بعصمته وحكمته (لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما) كان الحق في هذه الواقعة مع عمر (رض)' معتمدين في ذلك على أحاديث اختلقها بعض المنافقين ' من اعداء الله ورسوله (ما أنزل الله بها من سلطان)(فما قدروا الله حق قدره) وقد أمعنوا في التيه' وأوغلوا في الجهل ' وتسكعوا في تفسير قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) حيث اشتبهت عليهم في هذه الآية معالم القصد ' وعميت لديهم فيها وجوه الرشد' فقالوا بنزولها في التنديد برسول الله (ص) واصحابه' حيث آثروا (بزعم هؤلاء الجهلاء) عرض الدنيا على الآخرة ' فاتخذوا الاسرى واخذوا منهم الفداء ' قبل ان يثخنوا في الارض ' وزعموا انه لم يسلم يومئذ من الخطيئة الا عمر رضي الله عنه' وأنه لو نزل العذاب' لم يفلت منه الا ابن الخطاب ' ورووا في ذلك من الروايات الموضوعة ماشاء جهلهم' واقتضاه

نفاق الواضعين ، وعداوتهم .

وكذب من زعم أنه(ص) اتخذ الأسرى ، واخذ منهم الفداء، قبل أن يثخن في الارض، فإنه(بأبي وأمي) إنما فعل ذلك ، بعد أن أثخن في الارض ، وقتل صناديد قريش وطواغيتها ، كأبي جهل ، وعتبة ،وشيبة والوليد ، وحنظلة ، الى سبعين من روس الكفر، وزعماء الضلال ، كماهو معلوم بالضرورة الأولية ، فكيف يمكن بعد هذا أن يتناوله (صلى الله عليه وآله وسلم) اللوم المذكور في الآيـة ، (تعالى الله عمـا يقول الظالمون علوا كبيرا) .

والصواب أن الآية إنما نزلت في التنديد بالذين كانوا يودون العير واصحابه ، على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله في هذه الواقعة عز من قائل (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد استشار اصحابه ، فقال لهم[1] إن القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول ، فما تقولون -- العير أحب اليكم ، أم النفير ، قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو ، وقال بعضهم حين رآه (ص) مصراً على القتال ، هلا ذكرت لنـا القتال لنتأهب له ، إنا خرجنا للعير لا للقتال ، فتغير وجه رسول الله(ص) فأنزل الله تعالى (كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون)وحيث اراد الله عز وجل أن يقنعهم بمعذرة النبي (ص) ،في اصراره على القتال وعدم مبالاته بالعير وأصحابه ،قال

(١) كما في السيرتين الحلبية والدحلانية وغيرهما من الكتب المشتملة على ذكر هذه الواقعة .

عز من قائل (ما كان لنبي) من الأنبياء المرسلين قبل نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) فنبيكم لا يكون له اسرى ، حتى يثخن في الارض ، على سنن غيره من الأنبياء (عليهم السلام) ، ولذلك لم يبال إذ فاته اسرابي سفيان واصحابه ، حين هربوا بعيرهم الى مكة ، لكنكم انتم (تريدون) اذ تودون اخذ العير ، واسر اصحابه (عرض الدنيا والله يريد الآخرة) باستئصال ذات الشوكة من اعدائه (والله عزيز حكيم) والعزة والحكمة تقتضيان يومئذ اجتثاث عز العدو واطفاء جمرته ، ثم قال تنديداً بهم ، وتهديداً لهم (لولا كتاب من الله سبق) في علمه الأزلي بأن يمنعكم من اخذ العير واسر اصحابه ، لأسرتم القوم ، واخذتم عيرهم ، ولو فعلتم ذلك (لمسكم فيما اخذتم) قبل أن تثخنوا في الارض (عذاب عظيم) هذا معنى الآية الكريمة[1] وحاشا لله ان يريد منها ما ذكره أولئك الجهلاء .

بقي هنا امر ننبهك اليه ، لتكون على يقين بمعذرة المتأولين ، وهو ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لأصحابه[2] (يوم التقى الجمعان في بدر) قد عرفتُ رجالا من بني هاشم وغيرهم ، أُخرجوا إكراها ، فمن لقي منكم احدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه أخرج كرها — نهى عن قتل بني هاشم عموما ، وعن قتل العباس منهم بالخصوص ، حين كانوا في ساحة القتال ، لكونهم مكرهين

١ ويجوز ان يكون المعنى ﴿ لولا كتاب من الله سبق ﴾ في علمه الأزلي بأن لا يعذبكم والنبي فيكم كما صرحت بــه محكمات الفرقان ﴿ لمسكم فيما اخذتم ﴾ به من الرأي والعزم في شأن العير واصحابه ﴿ عذاب عظيم ﴾

٢ كما في تاريخي ابن جرير وابن الأثير وسيرتي الدحلاني والحلبي وغيرها

على ذلك ، فالعجب ممن اقترح بعدهـا عليه (بأبي هو وأمي) ان يقتل العباس وعقيلا ، بيدي اخويهما حمزة وعلي ، فهل هـذا من مظاهر رفقه بالنبي واهل بيته(ص)، او من موارد تعبده بنصوصه المقدسة ، كلا بل هو من الشواهد على أنه كان يؤثر رأيه على التعبد بها ، كما لا يخفى .

وقد استاء ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من نهي النبي (ص) ، عن قتل العباس ، وسائر بني هاشم ، حتى قال (كما في تاريخي ابن الأثير وابن جرير وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها) أنقتل آباءنا وابناءنا واخواننـا ، ونترك العباس ، والله لئن لقيته لألجمنه بالسيف ، فبلغ النبي ذلك ، فقال لعمر رضي الله عنه ، يا ابا حفص ، اما تسمع قول ابي حذيفة ، أيضرَب وجه عم رسول الله بالسيف – فانظر كيف استنجده للدفاع عن عمه ، واعجب من اقتراحه بعد ذلك عليه قتله – وقد ذكر المؤرخون كافة ، أنه لما امسى العباس مأسورا ، بات رسول الله (بأبي هو وأمي) ساهرا ، فقال له اصحابه يارسول الله ، مالك لاتنام ، فقال سمعت تضور العباس في وثاقه فمنع مني النوم ، فقاموا اليه فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – بأبي رحمته (ص) للعالمين ، ورأفته بالمؤمنين ، واشفاقه عـلى عشيرته الاقربين ، وخصوصا على ابي الفضل صنو أبيه ، والبقية من اهليه لماهو غني عن البيان ، ومن ذا يجهل حرصه يومئذ على سلامتهم ، ورغبته التامة في بقائهم ، ليفوزوا بعد ذلك بخدمته ، وكانوا في الواقع مؤمنين ، لكنهم لم يتمكنوا من الهجرة اليه ، فأكرهوا عـلى الخروج كما نص عليه النبي (ص) فاقتراح قتلهم ، والحال هذه اكبر شاهد عـلى أنهم كانوا يؤثرون إراداتهم في مثل هذا المقام على التعبد بإرادته وأوامره ، عليه وآله الصلاة والسلام .

ولهم في احد حالات تشهد بما قلناه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم ، قد استقبل المدينة في هذه الغزوة ، وترك احدا خلف ظهره ، وجعل الرماة وراءه ، وكانوا خمسين رجلا ، امر عليهم عبد الله بن جبير رحمه الله ، وقال له (فيما نص عليه المحدثون والمؤرخون كافة) إنضح عنا الخيل بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، واثبت[١] مكانك ، إن كانت لنا او علينا ، وحضهم على ذلك بما لا مزيد عليه ، وشدد عليهم الأمر في طاعة أميرهم عبدالله — لكنهم (وا أسفاه) لم يتعبدوا يومئذ بأوامره ونواهيه (ص)، ترجيحاً لآرائهم عليها ، وذلك حيث حمي الوطيس ، واشتد بأس المسلمين ، بسطوة حيدرة الكرار ، على فيالق المشركين ، وصولته على اصحاب لوائهم ، وهم ثمانية من بني عبد الدار ، كانوا أسود الوقائع ، واحلاس الخيل ، وتاسعهم عبدهم صواب ، كان من طينتهم ، وعلى شاكلتهم ، فقتلهم امير المؤمنين[٢] واحدا بعد واحد ، وبقي لواؤهم مطروحاً على الارض ، لا يدنو منه احد ، فانكشف الكفار حينئذ عن المسلمين ، هاربين على غير انتظام ، ودخل المسلمون عسكرهم ، ينهبون ما تركوه من اسلحة وامتعة وذخائر ومؤن ، فلما نظر الرماة الى المسلمين وقد اكبوا على الغنائم ، دفعهم الطمع في النهب الى مفارقة محلهم[٣] الذي أمروا أن لا يفارقوه ، فنهاهم اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ، فلم ينتهوا ، وقالوا امقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون ، فقال عبد الله[٤] والله لا أجاوز

(١) راجع تاريخي الطبري وابن الأثير وغيرهما تجد قوله — ص — هذ ابعينه وكل من أرخ وقعة أحد ذكره او أشار اليه .

(٢) نص ابن الأثير في غزوة أحد من كامله ، على أن الذي قتل اصحاب اللواء يومئذ علي بن أبي طالب ، وصرح بذلك غير واحد من المؤرخين والمحدثين

(٣) كما في غزوة أحد من تاريخ ابن الأثير وغيره من سائر كتب السير والأخبار .

(٤) كما في تاريخ ابن الأثير وغيره

امر رسول الله (ص)، وثبت مكانه مع اقل من عشرة، فنظر خالد بن الوليد المخزومي الى قلة من في الجبل من الرماة، فكر بالخيل عليهم[1] ومعه عكرمة بن ابي جهل، فقتلوهم ومثلوا بعبد الله بن جبير، فأخرجوا حشوة بطنه، وهجموا على المسلمين وهم غافلون، وتنادوا بشعارهم، يا للعزى يا لهبل، ووضعوا السيوف في المسلمين، وهم آمنون، فكان البلاء، وقتل حمزة سيد الشهداء، وسبعون من صناديد المهاجرين والانصار واصيب النبي (بأبي وأمي) بجروح يقرح القلوب ذكرها، ويهيج الأحزان بيانها، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وإنما كان هذا البلاء كله بعدم تعبدهم بأوامره ونواهيه المقدسة، عفا الله تعالى عنهم .

ولهم ثمة ولقمة ثانية، قدموا فيها رأيهم ايضا، وهي اعظم من الأولى وذلك أنه لما اشتد البلاء بهجوم خالد على المسلمين، تركوا سيد الأنبياء بين أولئك الاعداء، واسلموه لأحقادهم البدرية، وضغائنهم الكفرية، وفروا مصعدين، لا يلوون على احد، والرسول يدعوهم في أخراهم، فلا يُلبونه كما حكاه الله عز وجل حيث يقول[2] (إذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم) ولم يثبت معه إلا نفر يسير، لا يزيدون على اربعة عشر رجلا[3] يحمل لواءهم علي بن ابي طالب[4] وله ثمة مواقف شكرها الله له ورسوله وجبريل والمؤمنون،

١ صرح بهذا كل من أرخ غزوة أحد فراجع ماشئت من كتب السير والأخبار

٢ أجمع المفسرون والمحدثون والمؤرخون على نزول هذه الآية في هذه الواقعة

٣ كما في تاريخ ابن الأثير وغيره

٤ لا كلام في أن حامل لواء المسلمين يوم أحد إنما كان أولاً مصعب بن عمير فلما استشهد رحمه الله حمله علي باتفاق اهل الاخبار ولم يزل يومئذ حاملاً له حتى انتهى القتال .

حيث قام في نصرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ساقه ، وشد لها حيازيمه ، فحمل على جموع الاعداء ، حملته العظيمة ، فكشفهم عن النبي وقد اثخن (بأبي وأمي) فجعل تارة يدافع عنه الأعداء ، وأخرى ينقل له الماء من المهراس في درقته ، فيغسل جرحه[1] وجعل صلى الله عليه وآله وسلم ، كلما أبصر جماعة من الأعداء يقول اكفنيهم يا علي[2] فيشد عليهم بسيفه ، فلا يرجع حتى يفرق شملهم ، ويمزق جمعهم ، وقد عجبت بذلك ملائكة السماء من مواساته ، فقال جبرائيل عليه السلام[3] يا رسول الله هذه المواساة ، فقال (ص) إنه مني وانا منه ، فقال جبرائيل عليه السلام وانا منكما ، وسمعوا حينئذ مناديا ينادي لا سيف إلا ذو الفقار[4] ولا فتى إلا علي ، — شط بنا القلم عن المقصود ، فلنعد إليه ، فنقول : إن القوم اسلموا رسول الله (ص) واوغلوا في الهرب ، حتى قال المحدثون والمؤرخون ، واللفظ لابن الأثير في كامله ، قد انتهت الهزيمة بجماعة المسلمين ، وفيهم عثمان بن عفان وغيره الى الاحوص ، فأقاموا به ثلاثاً ، ثم أتوا النبي (ص) ، فقال لهم حين رآهم ، لقد ذهبتم فيها عريضة — هذا مع ما سمعوه من النواهي الصريحة في تحريم ذلك ، وحسبك منها قوله تعالى (يا ايها الذين آمنو اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار) الآية

---

١ كل من أرخ غزوة احد من الأولين والآخرين ذكر نقل علي الماء من المهراس بدرقته الى رسول الله = ص = فراجع

٢ راجع غزوة أحد من تاريخ ابن الاثير وغيره

٣ كما في تاريخ ابن الاثير وابن جرير وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها

٤ راجع غزوة أحد من تاريخي ابن جرير وابن الاثير والسيرة الحلبية وغيرها تجد هذا النداء.

وهناك نص آخر ، عدل البعض عن العمل به ايضا ، وذلك انه لما اشتد البلاء ، وعظم الخطب بفرار المسلمين ، ارهف المشركون لقتل رسول الله (ص) غرار عزمهم ، وارصدوا لذلك جميع إهبهم ، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك ، كانوا كالفدائية في هذا السبيل ، وهم عبد الله بن شهاب الزهري ، وعتبة بن ابي وقاص ، وابن قمأة الليثي ، وأبي بن خلف وعبد الله بن حميد الاسدي القرشي ، لعنهم الله واخزاهم ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميمونة ، واما عتبة فرماه (تبت يداه) بأربعة أحجار ، فكسر رباعيته وشق شفته ، واما ابن قمأة (قاتله الله) فكلّم وجنته ، ودخل من حلق المغفر فيها ، وعلاه بالسيف (شلت يداه) فلم يطق أن يقطع ، فسقط (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الارض ، واما أبي بن خلف فشد عليه بحربته فأخذها رسول الله منه وقتله بها ، وأما عبد الله بن حميد فقتله أبو دجانة الانصاري ، شكر الله سعيه واعلا في الجنان مقامه ، فإنه ممن أبلى يومئذ بلاء حسنا ، ثم حمل ابن قمأة على مصعب بن عمير ، وهو يظنه رسول الله (ص) فقتله ، ورجع الى قريش يبشرهم بقتل محمد ، فجعل الناس يقولون قتل محمد قتل محمد ، فانخلعت قلوب المسلمين جزعاً ، وكادت نفوسهم أن تزهق هلعا ، واوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين ، لا يرتابون في قتل رسول الله (ص) وقد سقط في ايديهم ، وكان اول من عرف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حي ، كعب بن مالك ، قال[1] فناديت يا معشر المسلمين ، ابشروا هذا رسول الله حي لم يقتل ، فأشار اليه النبي (ص) أن انصت مخافة ان يسمعه العدو فيثب عليه ، فسكت الرجل ، ثم اشرف ابو سفيان على المسلمين ، فقال أفي القوم محمد ، فقال

(١) كما في غزوة احد من تاريخ ابن الاثير وغيره

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجيبوه[١] مخافة أن يعرف أنه حي فيشد عليه بمن معه من اعداء الله ورسوله ، ثم نادى أنشدك الله يا عمر ، اقتلنا محمدا ، فقال عمر[٢] اللهم لا ، وإنه والله ليسمع كلامك ، فقال ابو سفيان انت اصدق من ابن قمأة — وانت تراه قد أجاب ابا سفيان مع نهيه (ص) اياهم عن جوابه ، وما ذاك إلا لكونه متأولا ، وحسبك بهذا دليلا على معذرة المتأولين .

وانكر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يوم مات المنافق ابن ابي ، حيث جاء ابنه فقال يا رسول الله ، أعطني قميصك ، اكفنه فيه ، وصل عليه ، واستغفر له ، فأعطاه قميصه ، وقال إذا فرغت منه فآذنا ، ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم ، حينئذ قد نهي عن الصلاة على المنافقين[٣] وكانت الحكمة فيما فعله (ص) بالغة ، وقد قيل له (ص)[٤] لمَ وجهت قميصك اليه يكفن فيه ، فقال إن قميصي لن تغني عنه من الله شيئا ، واني أؤمل أن يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير ، فروي أنه أسلم بهذا السبب الف من الخزرج[٥] ولكن عمر رضي الله عنه ، لم يدرك الحكمة

---

(١) كما في غزوة احد من تاريخي ابن الاثير وابن جرير ومن طبقات ابن سعد ومن السيرتين الحلبية والدحلانية وسائر الكتب المشتملة على هذه الغزوة

(٢) فيما رواه عنه كل من أرخ غزوة أحد ، كابن سعد في طبقاته ، وابن جرير وابن الأثير وسائر اهل السير والأخبار .

(٣) فيما رواه اصحابنا عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) ونقله صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وجابر وقتاده .

(٤) في رواية ذكرها صاحب مجمع البيان في تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ﴾ من سورة التوبة .

(٥) نقل الإمام الطبرسي هذه الرواية في تفسير الآية من مجمع البيان عن الزجاج

فيما فعله رسول الله(ص)، فانكر عليه فعله، حتى جذبه بردائه، وهو واقف للصلاة عليه، والقضية ثابتة، اخرجها البخاري في الصفحة الثانية من كتاب اللباس من صحيحه[1]، ورواها كافة محدثي السنة ومؤرخيهم وقد بلغت القحة هنا ببعض الجاهلين، مبلغاً لا يليق بذي دين، والاولى بفصولنا الاعراض عن فضولهم.

وانكر عليه أمره صلى الله عليه وآله وسلم، ابا هريرة، أن يبشر بالجنة، كل من لقيه من اهل التوحيد، حيث اقتضت الحكمة يومئذ تنشيط الموحدين، وتشويق الناس الى التوحيد، وترغيبهم في الإسلام، بتسهيل الأمر عليهم، وكانت الحاجة في تلك الأوقات الى ذلك شديدة، فأنكر عمر ذلك، وضرب ابا هريرة (وهو رسول النبي «ص» ردعاً له اداء ما أمره به رسول الله ص)، ضربة خر بها الى الارض والقضية ثابتة، فراجعها في صحيح مسلم[2].

وترك ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قتل رجل أمرهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله، واخبرهم أنه لو قتل ما اختلف بعده اثنان، في قضية مستفيضة، أخرجها المحدثون بأسانيدهم المعتبرة، ونقلها اهل السير والأخبار — وحسبك منها ما اخرجه الامام احمد بن حنبل في صفحة ١٥ من الجزء الثالث من مسنده، من حديث ابي سعيد الخدري، قال ان ابا بكر جاء الى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، فقال يا رسول الله إني مررت بوادي كذا وكذا، فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي

«١» في اول صفحة ١٨ من جزئه الرابع

«٢» في باب من لقي الله بالايمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار وهو في أوائل الجزء الأول من الصحيح

فقال له النبي (ص) اذهب اليه فاقتله ، قال فذهب اليه ابو بكر ، فلما رآه على تلك الحال ، كره أن يقتله ، فرجع الى رسول الله (ص) قال فقال النبي (ص) لعمر اذهب فاقتله ، فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه ابو بكر ، قال فكره أن يقتله ، قال فرجع ، فقال يا رسول الله ، إني رأيته يصلي متخشعاً ، فكرهت أن اقتله ، قال يا علي اذهب فاقتله ، قال فذهب علي فلم يره ، فرجع علي فقال يا رسول الله إنه لم يُرَهُ ، قال فقال النبي (ص) ان هذا واصحابه يقرأون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه ، فاقتلوهم : هم شر البريه اه .

واخرج ابو يعلى في مسنده (كما في ترجمة ذي الثدية من اصابة ابن حجر) عن أنس قال كان في عهد رسول الله رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمه ، فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته ، فلم يعرفه ، فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل ، قلنا هو هذا ، قال إنكم لتخبروني عن رجل إن في وجهه لسفعة من الشيطان ، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنشدك الله ، هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد افضل مني ، او خير مني ، قال اللهم نعم ، ثم دخل يصلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من يقتل الرجل ، فقال ابو بكر انا ، فدخل عليه فوجده يصلي ، فقال سبحان الله ، اقتل رجلا يصلي ، فخرج فقال رسول الله (ص) ما فعلت ، قال كرهت أن اقتله وهو يصلي ، وانت قد نهيت عن قتل المصلين ، قال من يقتل الرجل ، قال عمر انا ، فدخل فوجده واضعاً جبهته فقال عمر — ابو بكر افضل مني ، فخرج فقال له النبي صلى

الله عليه وآله وسلم مهيم ، قال وجدته واضعا جبهته لله ، فكرهت أن اقتله فقال من يقتل الرجل ، فقال علي انا ، فقال (ص) انت إن ادركته ، فدخل عليه فوجده قد خرج ، فرجع الى رسول الله (ص) فقال مهيم ، قال وجدته قد خرج ، قال لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان ، الحديث ، واخرجه الحافظ محمد بن موسى الشيرازي ، في كتابه الذي استخرجه من تفاسير يعقوب بن سفيان ، ومقاتل بن سليمان ، ويوسف القطان ، والقاسم بن سلام ، ومقاتل بن حيان ، وعلي بن حرب ، والسدي ، ومجاهد ، وقتادة ، ووكيع ، وابن جريح – وارسله ارسال المسلمات ، جماعة من الأثبات ، كابن عبد ربه الاندلسي ، عند انتهائه الى القول في اصحاب الاهواء من الجزء الأول من عقده الفريد ، وقد جاء في آخر ما حكاه في هذه القضية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال إن هذا لأول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان ، إن بني اسرائيل افترقت اثنين وسبعين فرقة ، وإن هذه الأمة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة ، كلها في النار ، إلا فرقة[1] واحدة اه .

وقريب من هذه القضية ما أخرجه الإمام احمد ، من حديث علي (في صفحة ١٥٥ من مسنده) قال جاء النبي (ص) ، أناسٌ من قريش فقالوا يا محمد ، إنا جيرانك وحلفاؤك ، وإن ناسا من عبيدنا قد أتوك ، ليس بهم رغبة في الدين ، ولا رغبة في الفقه ، إنما فروا من ضياعنا واموالنا ، فارددهم إلينا ، فقال لأبي بكر ما تقول ، قال صدقوا إنهم جيرانك ، قال فتغير وجه النبي (ص) ثم قال لعمر ما تقول ، قال صدقوا إنهم لجيرانك وحلفاؤك

«١» فرقة وشيعة لفظان (بحساب الجمل) مترادفان لأن كلا منهما ٣٨٥ وهذا مما تتفأل به تلك الفرقة

فتغير وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان بعضهم يلمزه في الصدقات، قال الله تعالى (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون)

واخرج البخاري[١] عن عبد الله بن مسعود، قال قسم النبي (ص) قسمة، كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار، والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت أما أنا لأقولن للنبي (ص)، فأتيته وهو في اصحابه، فساررته فشق ذلك على النبي (ص) وتغير وجهه، وغضب حتى وددت اني لم أكن اخبرته، ثم قال قد أوذي موسى (ع) باكثر من ذلك فصبر اه .

واخرج البخاري ايضا[٢] عن عبد الله، قال لما كان يوم حنين آثر النبي (ص) أناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل، واعطى عيينة مثل ذلك، واعطى أناسا من اشراف العرب، فآثرهم في القسمة (تأليفاً لقلوبهم وقلوب عشائرهم وترغيباً لهم في الإسلام) فقال رجل، والله إن هذه القسمة ما عدل بها، فقلت والله لأخبرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته فأخبرته، فقال فمن يعدل، اذا لم يعدل الله[٣] ورسوله، رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر اه .

---

١ في باب الصبر على الأذى من كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه

٢ في اواخر كتاب الجهاد والسير في صفحة ١٣٢ من الجزء الثاني من صحيحه وهناك عدة احاديث بهذا المعنى

٣ قوله إذا لم يعدل الله ورسوله نص بأنه =بأبي وامي= كان مأمورا من الله تعالى بتلك القسمة التي انكرها المنافقون الجاهلون بحكمته البالغة =ان هو الا وحي يوحى=

واخرج الإمام احمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من الجزء الأول من مسنده، عن الأعمش عن شقيق عن سلمان بن ربيعة، قال سمعت عمر يقول، قسم رسول الله قسمة، فقلت يا رسول الله، لغير هؤلاء احق منهم، أهل الصفة، قال فقال رسول الله إنكم تسألوني بالفحش الحديث.

وكان بعضهم يتنزه عن الشيء، يرخص فيه رسول الله ويفعله صلى الله عليه وآله وسلم، — اخرج البخاري (١) عن عائشة، قالت صنع النبي (ص) شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي (ص) فخطب فحمد الله، ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه، فوالله إني لأعلمهم بالله، واشدهم له خشية اه.

وسأل رسول الله (ص)، حاطب بن بلتعة، حين ارسل صحيفته الى المشركين، فقال له ما حملك على ما صنعت، قال أردت أن يكون لي عند القوم يد، يُدفع بها عن اهلي ومالي، وليس من اصحابك احد إلا له هناك من قومه من يدفع الله به عن اهله وماله، فقال رسول الله (ص) صدق، لا تقولوا له إلا خيرا، فقال عمر قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فلأضرب عنقه: الحديث اخرجه البخاري في آخر كتاب استتابة المرتدين من الجزء الرابع من صحيحه، وفي مواضع أُخر من الصحيح، ولا يخفى ما فيه من الدلالة على ما قلناه — ولو اردنا استيفاء ما كان من هذا القبيل من موارد تأولهم في مقابل الدليل، لطال الباب، وخرجنا عن خطة الكتاب، فسالك تقنع بعد هذا بمعذرة المتأولين، وتقلع عما ابتدعه طغام المرجفين.

وإن اردت المزيد، وابتغيت التأكيد، فخذ مني مضافاً الى ماتلوناه

(١) في كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه

وعلاوة على ما اسلفناه ، دليلاً قاطعا ، وبرهانا ساطعا ، لا ترتاب بعده في معذرة المتأولين ولا تشك في نجاتهم يوم الدين ، وحاصله أن الجمهور اجمعوا على خلافة عثمان ، منذ بويع حتى قتل ، مع ما كان في ايامه من الاحداث التي لولا حمله فيها على التأول لبطلت امامته وسقط عن اريكة الخلافة ، وحسبك من تلك الاحداث ما هو معلوم بالتواتر وضرورة التاريخ ، وسأتلو عليك يسيراً منها ، نقلا من كتاب الملل والنحل للشهرستاني بعين لفظه : قال[١] منها رده الحكم بن أمية الى المدينة بعد ان طرده النبي عليه السلام ، وكان يسمى طريد رسول الله ، وبعد أن تشفع الى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ايام خلافتيهما فما اجاباه الى ذلك ونفاه عمر من مقامه اربعين فرسخا (قال) ومنها نفيه ابا ذر الى الربذة ، وتزويجه مروان بن الحكم بنته ، وتسليمه خمس غنائم افريقية له ، وقد بلغت مئتي الف دينار (قال) ومنها ايواؤه عبد الله بن سعيد بن أبي سرح ، بعد أن اهدر النبي عليه السلام دمه ، وتوليته اياه مصر بأعمالها ، وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى احدث ما احدث ، الى غير ذلك مما نقموا عليه اه .

قلت كإحراقه المصاحف جمعا للناس على قراءة واحدة ، كما هو مقرر معلوم ، وقد نص عليه المؤرخون . وارسله ابن الأثير في كامله ارسال المسلمات[٢] وكحماية الحمى ، واعطائه المقاتلة من مال الصدقة ، وايثاره اهل بيته بالأموال ، وضربه عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ، وعدم

«١» في اثناء الخلاف التاسع من الاختلافات التي اوردها في المقدمة الرابعة من المقدمات الخمس التي جعلها في اول كتابه (الملل والنحل) فراجع

«٢» وذلك حيث ذكر غزوة حذيفة الباب وأمر المصاحف في صفحة ٢٠ من الجزء ٣

اقامته الحدّ على عبيد الله بن عمر ، قاتل الهرمزان ، وكتابه الى اهل مصر بقتل محمد بن ابي بكر ، وجماعة آخرين من فضلاء المسلمين .

ومن موارد تأوله أنه كان إذا خرج من مكة الى عرفات يتم فيها وفي منى صلاة الظهرين والعشاء ، مع أن النبي (ص) وابا بكر وعمر كانوا اذا خرجوا اليها يقصرون صلاتهم فيها ، بل كان عثمان اول امارته يقصر ايضا روى ذلك البخاري في باب الصلاة بمنى من كتاب الحج من صحيحه(١)

وانت تعلم أن عذره في كل هذه الأمور كونه متأولا مجتهدا ، وبهذا حفظت عندهم عدالته وإمامته فمن بعدها لا يقول بمعذرة المتأولين .

والأبلغ من هذا كله في معذرة المتأولين ، اجماعهم على عدالة كثير من المجلبين عليه ، كعائشة وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وعمرو بن العاص وغيرهم ، ضرورة أنه لا يتسنى لهم الحكم بإمامة المقتول ، وعدالة من أمر بقتله ، ونبزه باسم اليهود (فقال اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا اقتلوا نعثلا فقد كفر) – إلا بناء على ما قلناه .

وان أردت المزيد ، فاعتق رقبتك من رق التقليد ، وانظر فيما كان من عائشة وطلحة ايام عثمان من تأليب الناس عليه ، وما كان منهما بعد قتله ، وانعقاد البيعة لأمير المؤمنين ، من الذهاب إلى البصرة طلبا بثار عثمان ، فهم غير مصيبين في احدى الحالين ، أو في كليهما قطعا ، لكن الجمهور عذروهم اولا وآخرا ، وذلك ليس إلا لما قلناه ، وبه يتم ما اردناه

وإن اوجست في نفسك ريبة فيما نقول ، فانظر إلى ما كان من طلحة

---

١ وأخرجه مسلم في باب قصر الصلاة بمنى من كتاب صلاة المسافر من الجزء الأول من صحيحه بأسانيد متعددة وطرق مختلفة

والزبير وعائشة في البصرة ، مع عثمان بن حنيف الانصاري ، وحكيم بن جبلة العبدي ، وغيرهما من شيعة علي عليه السلام مما لا يخلو منه كتاب من كتب الأخبار ، وقد اشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار ، من القتل الذريع ، والنهب الفظيع ، والمثلة بعثمان بن حنيف حيا[1] هذا كله قبل مجيء أمير المؤمنين عليه السلام الى البصرة ثم جاء :

فكان ما كان مما لست اذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

فهل تجد وجها للجزم بعدالة هؤلاء ، والقطع بمعذرتهم ، الا ما يذكره الجمهور من تأولهم في كل ما فعلوه ، وبه يتجلى لك عذر المتأولين .

دع كل ما ذكرناه ، وعرج على رأي الجمهور في معاوية تجد هناك معذرة المتأولين قالبا حسيا ، وتلقها امامك شخصا مرئيا ، فإنه لما كان متأولا على زعمهم ، لم يقدح في عدالته عندهم الحاقه زيادا بأبيه (ابي سفيان) بدعوى أنه عاهر سمية وهي على فراش عبيد ، مستندا في ذلك إلى شهادة ابي مريم القواد الخمار ، مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، الولد للفراش وللعاهر الحجر[2] وقوله من حديث[3] ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا

---

(١) ان أردت التفصيل فعليك بتاريخ ابن جرير أو كامل ابن الأثير اوماشئت من كتب الأخبار

(٢) هذا الحديث متواتر قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، حين ترافع اليه سعد بن ابي وقاص ، وعبد بن زمعه ، في غلام عهد عتبة بن أبي وقاص الى أخيه سعد أنه ابنه بسفاح الجاهلية ، فقال سعد يا رسول الله انه ابن اخي ، وقد عهد به إليّ ، وعليه شَبَهُهُ وقال عبد بن زمعه إنه أخي وابن أبي ، ولد على فراشه من جاريته ، فنظر النبي —ص— الى الغلام ، فرأى عليه شَبَهَ عتبة بيناً ولم يلحقه مع ذلك به وإنما ألحقه بزمعة ، وقال الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، أخرج البخاري هذه القضية بهذه الكيفية في ثلاثة مواضع من كتاب البيوع في اول الجزء الثاني من صحيحه — واخرجه مسلم بطرق مختلفة في باب الولد للفراش من كتاب الرضاع من صحيحه

(٣) اخرجه البخاري في باب النجش من كتاب البيوع في صفحة ١٢ من الجزء الثاني من صحيحه

فهو رد ، وقوله تعالى (أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) وكان فعله هذا أول عمل جاهلي عمل به في الإسلام علانية ، فلم يقدح مع ذلك عند الجمهور في عدالته ، ولم يمنع محمد بن اسماعيل البخاري عن الاحتجاج به في صحيحه[1] .

وايضا لم يخدش في وثاقته عندهم عهده بالخلافة إلى ابنه يزيد ، وهو صبي يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ، ولا يعرف من الدين موطئ قدمه ، مع معرفته بليله ونهاره ، واعلانه واسراره ، وعلمه بمنزلة الحسين عليه السلام من الله عز وجل ، ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومحله في نفوس المؤمنين ، على أنه كان يومئذ في المهاجرين والأنصار ، وبقية البدريين ، واهل بيعة الرضوان جم غفير ، وعدد كثير ، كلهم قارئ للقرآن ، عالم بمواقع الأحكام ، خبير بالسياسة ، حقيق على رأي الجمهور بالخلافة والرياسة ، فلم يراع سابقتهم في الإسلام ، ولا عناءهم في تأييد الدين ، وأمّر عليهم شرّيره المتهتك ، وسكّيره المفضوح ، فكان منه في طف كربلاء مع سيد شباب اهل الجنة ، وخامس اصحاب الكساء ، ما اثكل النبيين ، وأبكى الصخر الأصم دما ، ورمى المدينة الطيبة بمجرم ابن عقبة وكان ابوه معاوية قد عهد[2] بذلك اليه كما نص عليه

---

١ جميع المحدثين من اهل السنة يحتجون بمعاوية ويعتمدون عليه في مسانيدهم وصحاحهم ، أما البخاري فقد احتج به في كتاب الجهاد والسير في باب قوله تعالى فإن لله خمسه وللرسول من صحيحه ، واحتج به ايضا ، في اول باب وصل الشعر من كتاب اللباس ، وفي مواضع أخر لا تخفى على المتتبع

٢ غير مبال بدعاء النبي صلى الله عليه وآله على من اخاف اهل المدينة ولا مكترث بقوله —ص— من اخاف اهل المدينة اخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا — اخرجه احمد من حديث السائب بن خلاد بطريقين في صفحة ٥٦ من الجزء ٤ من مسنده

جماعة[١] فكانت امور تكاد السماوات يتفطرن منها ، وحسبك انهم اباحوا المدينة المنورة ثلاثة ايام ، حتى افتض فيها الف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار ، كما نص عليه السيوطي في تاريخ الخلفاء ، وعلمه جميع الناس[٢] وقتل يومئذ من المهاجرين والأنصار وأبنائهم وسائر المسلمين اللائذين بضريح سيد النبيين صلى الله عليه وآله ١٠٧٨٠ رجلا ، ولم يبق بعدها بدري[٣] وقتل من النساء والصبيان عدد كثير ، وكان الجندي يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من أمه ، ويضرب به الحائط ، فينتثر دماغه على الارض ، وأمه تنظر اليه[٤] ثم أمروا بالبيعة ليزيد ، على أنهم خول وعبيد ، إن شاء استرق وإن شاء اعتق ، فبايعوه على ذلك ، واموالهم مسلوبة ، ورحالهم منهوبة ودماؤهم مسفوكة ، ونساؤهم مهتوكة ، وبعث مجرم بن عقبة برؤوس

١ منهم الإمام ابن جرير الطبري في الصفحة الأخيرة من حوادث سنة ٦٣ في اوائل الجزء ٧ من تاريخه وابن عبد ربه المالكي حيث ذكر وقعة الحرة في الجزء الثاني من العقد الفريد

٢ حتى قال ابن الطقطقي في صفحة ١٠٧ من تاريخه المعروف بالفخري ما هذا لفظه : فقيل ان الرجل من اهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلها افتضت في وقعة الحرة اه وقال الفاضل الشبراوي في صفحة ٦٦ من كتابه الاتحاف وافتض فيها نحو الف بكر وحمل فيها من النساء اللاتي لا أزواج لهن نحو من الف امرأة وقال ابن خلكان وقد ذكر الحرة في ترجمة يزيد بن القعقاع القارئ المدني من وفياته ما هذا لفظه : كان يزيد بن معاوية في مدة ولايته قد سير الى المدينة جيشا مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها واخرج اهلها الى هذه الحرة فكانت الوقعة بها وجرى فيها ما يطول شرحه وهو مسطور في التواريخ حتى قيل انه بعد وقعة الحرة ولدت اكثر من الف بكر من أهل المدينة بسبب ما جرى فيها من الفجور

٣ نص على ذلك ابن قتيبة في كتاب الإمامة والسياسة وغير واحد من اهل الأخبار

٤ راجع صفحة ٢٠٠ من كتاب الإمامة والسياسة للإمام ابن قتيبة الدينوري

اهل المدينة الى يزيد ، فلما القيت بين يديه ، قال ليت اشياخي ببدر شهدوا :
الأبيات[1] ثم توجه مجرم لقتال ابن الزبير فهلك في الطريق ، وتأمر بعده
الحصين بن نمير بعهد من يزيد ، فأقبل حتى نزل على مكة المعظمة ونصب
عليها العرادات والمجانيق[2] وفرض على اصحابه عشرة آلاف صخرة
في كل يوم يرمونها بها ، فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهري ربيع ،
يغدون على القتال ويروحون ، حتى جاءهم موت يزيد ، وكانت المجانيق
اصابت جانب البيت فهدمته مع الحريق الذي اصابه .

وفظائع يزيد من أول عمره ، إلى انتهاء أمره ، أكثر من أن تحويها
الدفاتر ، أو تحصيها الأقلام والمحابر ، قد شوّهت وجه التاريخ ، وقبّحت
صحائف السير ، وكان ابوه يرى كلابه وقروده ، وصقوره وفهوده ، ويطلع
على خموره وفجوره ، ويشاهد الفظائع من كل أموره ، ويعاين لعبه مع
الغواني ، ويعرف خبثه بكل المعاني ، ويعلم أنه ممن لا يؤتمن على نقير ،
ولا يولّى أمر قطمير ، فكيف رفعه والحال هذه الى أوج الخلافة ، وأحله
عرش الملك والإمامة ، وملكه رقاب المسلمين ، وسلطه على احكام الدنيا
والدين ، فغش بذلك أمته ، ولم ينصح رعيته ، وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ، فيما اخرجه البخاري في الورقة الأولى من كتاب
الأحكام من صحيحه[3] ما من وال يلي رعيّة من المسلمين فيموت وهو

١ ارسال رؤوس أهل المدينة الى يزيد وانشاده ابيات ابن الزبعرى مشهور مستفيض وقد ذكره ابن عبد ربه في أواخر وقعة الحرة من العقد الفريد ونقل هناك اعتراف يزيد بارتداده عن الإسلام

٢ ذكر ذلك ابن قتيبة في صفحة ٢١٤ من كتابه الإمامة والسياسة

٣ في صفحة ٢٥٠ من جزئه الرابع

غاش لهم الا حرم الله عليه الجنة وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما اخرجه احمد من حديث ابي بكر في صفحة ٦ من الجزء الأول من مسنده: من ولي من أمور المسلمين شيئاً فأمّر عليهم احدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما اخرجه البخاري في تلك الورقة ايضا : ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة والجمهور يعذرونه في ذلك بناء على اجتهاده كما عذر بعضهم في وقعتي الطف والحرّة اكفر اولاده«١» .

وعذروه ايضا في قتله عباد الله الصالحين ، كعمرو بن الحمق الخزاعي وكان بحيث ابلته العبادة ، ورأسه أول رأس حمل في الإسلام ، قتله

---

١ بل اعتقد قوم من الجمهور أن يزيد كان من أولياء الله ، وأن من توقف فيه وقفه الله على نار جهنم ، فراجع ما حكاه ابن تيمية عنهم في الرسالة ٧ من مجموعة الرسائل الكبرى ، في صفحة ٣٠٠ من جزئها الأول ، ونقل القسطلاني في باب ما قيل في قتال الروم من كتاب الجهاد من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري في صفحة ٢٣٠ من جزئه السادس من المهلب انه كان يقول بثبوت خلافة يزيد ، وانه من اهل الجنة ، ونقل ابن خلدون في صفحة ٢٤١ أثناء الفصل الذي عقده في مقدمته لولاية العهد ، عن القاضي ابي بكر بن العربي المالكي ، أنه قال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ، ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده «ص» وذكر ابن الأثير في عدة حوادث سنة ٥٨٣ في آخر ورقة من الجزء ١١ من كامله أن في تلك السنة مات عبد المغيث بن زهير ببغداد ، قال وكان من اعيان الحنابلة ، قد سمع الحديث الكثير ، وصنف كتابا في فضائل يزيد بن معاوية ، أتى فيه بالعجائب ، وقد ردّ عليه ابو الفرج ابن الجوزي وكان بينهما عداوة اه – قلت والذين عذروا يزيد من اوليائه واعتذروا عنه كثيرون ، منهم ابن تيمية فيما تقدمت اليه الإشارة من رسالته السابعة ، والغزالي في الآفة الثامنة من كتاب آفات اللسان من احياء العلوم في صفحة ١١٢ من جزئه الثالث

(وهو من خيار الصحابة) بحبــه عليا عليه السلام ، وكحجر بن عدي الكندي ، وكان من فضلاء الصحابة ايضا ، قتله واصحابه البررة الأتقياء إذ لم يلعنوا له عليا عليه السلام ، — ومعاوية هو الذي قتل الحسن سلام الله عليه ، بسم دسه اليه ، فسقته إياه بنت الأشعث عليها اللعنة — علم بذلك كافة اهل البيت وشيعتهم ، واعترف به جماعة من غيرهم ، قال ابو الحسن المدائني (كمــا في أوائل الجزء ١٦ من شرح النهج لابن ابي الحديد في الصفحة ٤ مــن المجلد ٤ طبع مصر) كانت وفاة الحسن سنة ٤٩ وكان مريضا ٤٠ يوما وكان سنه ٤٧ سنة ، دس اليه معاوية سما على يدجعدة بنت الأشعث ، وقال لها ان قتلتِهِ بالسم فلك مائة الف ، وازوجك يزيد ، فلما مات وفى لهــا بالمال ، ولم يزوجها من يزيد ، وقال أخشى ان تصنعي بابني مــا صنعت بابن رسول الله (ص) اه — ونقل المدائني عن الحصين بن المنذر الرقاشي (كما في صفحة ٧ من المجلد الرابع من شرح النهج طبع مصر ايضا) أنه كان يقول والله ما وفى معاوية للحسن بشيء مما أعطاه ، قتل حجراً واصحابه ، وبايع لابنه يزيد ، وسم الحسن اه — وقال ابو الفرج الاصفهاني المرواني في كتابه ﴿ مقاتل الطالبيين ﴾ حيث ذكر السبب في وفاة الحسن عليه السلام ما هذا لفظه: واراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فلم يكن شيء اثقل عليه من أمر الحسن بن علي ، وسعد بن ابي وقاص ، فدس اليهما سما فماتا منه الخ — وفي صفحة ١٧ من المجلد ٤ من شرح ابن ابي الحديد طبــع مصر ما يلفت الأنظار في هــذا المقام ، فراجعه لتعلم ما قلناه ، وروى ابن عبد البر في ترجمة الحسن من استيعابه عن قتادة وابي بكر بن حفص ، أن بنت الأشعث سقت الحسن بن علي السم ، ثم قال وقالت طائفة كان ذلك منها بتدسيس معاوية اليها ، ومــا

بذل لها في ذلك اه – والأخبار في ذلك لا تحتملها هذه العجالة .

ولو أردنا أن نستوفي من قتلهم معاوية من المصلحين واولياء الله[١] صبرا ، وابادهم غدرا ، واستأصلهم عتوا ، وطحنهم حربا ، وسمل اعينهم ظلما ، وقطع أيديهم وأرجلهم بغيا ، واستل السنة لهم تنطق بالحق عنادا ، واسقط شهاداتهم زورا ، وتقوّل عليهم افتراء ، وطلّق حلائلهم مكرا ، واخذ اموالهم سلبا ، وصاح في حجراتهم نهبا ، وهدم دورهم عيثا ، واقصاهم نفيا ، واوسمهم ذلا ، وضيق عليهم حبسا ، ودفنهم احياء ، ولعنهم على المنابر امواتا – لأفنينا المحابر ، واستغرقنا الصحف والدفاتر ، ثم لم نبلغ غايتنا المقصودة ، ولم نظفر بضالتنا المنشودة ، وكذلك لو أردنا ان نتصدى للأحكام التي بدّلها ، والحدود التي عطلها ، والبوائق التي ارتكبها ، والفواقر التي احتقبها ، والدواهي التي حدثت في زمانه ، والغاشمين الذين اشركهم في سلطانه ، كابن شعبة وابن العاص وابن سعيد وابن ارطاة وابن جندب ومروان وابن السمط وزياد وابن مرجانة والوليد ، الذين فعلوا الأفاعيل ، وقهروا الأمة بالأباطيل ، وساموا عباد الله سوء العذاب ، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، وحسبك ما اجمع اهل الأخبار على نقله ، واتفق أهل العلم على صدوره ، من بعثه بسرا سنة اربعين لاستئصال من في اليمن من عباد الله الصالحين ، فراجع ما شئت من كتب الأخبار ، ولاحظ ما يحضرك مما يشتمل على احداث تلك السنة من كتب

(١) لم يقتصر معاوية على قتل اولياء الله في سبيل سياسته ، حتى قتل في ذلك اخص اوليائه به ، وأشدهم ملازمة له ، عبد الرحمن بن خالد بن الوليد حارب معه في صفين ، وحالفه على عداوة امير المؤمنين ، ثم بعدما باعه بالتافه الزهيد ، وقتله مخافة ان ترغب الناس به عن يزيد ، وقصته مشهورة عند أهل الأخبار ، مستفيضة بين أهل السير والآثار ، فراجع ترجمة عبد الرحمن من الاستيعاب تجد التفصيل .

الآثار ، لتعلم فظاعة هذه الواقعة ، وتعرف كنه ما كان يوم هذه الفاجعة ، من قتل الشيوخ الركّع ، وذبح الاطفال الرضّع ، ونهب الأموال ، وسبي العيال ، وما يُنسَ فلا ينس ما فعله يومئذ بنساء همدان ، إذ سباهن فأقيمن (كما في ترجمة بسر من الاستيعاب) في السوق . وكشف عن سوقهن فأيتهن كانت اعظم ساقا ، اشتريت على عظم ساقها ، قال في الاستيعاب فكنّ اول مسلمات سبين في الإسلام ، وما ادري هذه افظع وأوجع ، أم ما فعله بطفلي عبيد الله بن العباس ، وكان عبيد الله يومئذ عاملا لأمير المؤمنين على اليمن ، فهرب اليه من بسر ، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، وكان جد الطفلين لأمهما ، فقتله بسر فيمن قتلهم يومئذ من الألوف المؤلفة من خيار الناس ، وقتل ابنه ، وبحث عن الطفلين فوجدهما عند رجل من كنانة في البادية ، فلما أراد بسر قتلهما قال له الكناني (كذا في تاريخ ابن الأثير) لم تقتلهما وهما طفلان لاذنب لهما ، فإن كنت قاتلهما فاقتلني معهما ، فقتله ثم ذبحهما بين يدي أمهما[1] فهامت على وجهها جنونا مما نالها ، وكانت تأتي الموسم تنشدهما فتقول :

يامن احسّ بإبنيّ اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يامن احس بإبنيّ اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

يامن احس بإبنيّ اللذين هما ... قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف

من دلّ والهة حيرى مدلّهة[2] ... على صبيين ذلاّ إذ غدا السلف

نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا ... من إفكهم ومن الإثم الذي اقترفوا

احنى[3] على ودجي ابني مرهفة ... مشحوذة وكذاك الإثم يقترف

(١) كذا في ترجمة بسر من الاستيعاب

(٢) الذاهبة العقل (٣) كذا في رواية ابن الأثير وفي رواية الاستيعاب وابي الفداء انحى

وقالت له امرأة من كنانة لما ذبحهما (كما في تاريخ ابن الأثير) يا هـذا قتلت الرجال ، فلِمَ تقتل هذين ؟ ! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والإسلام ، والله يا ابن ابي ارطاة إن سلطانا لا يقوم إلا بقتل الصبي الصغير ، والشيخ الكبير ، ونزع الرحمة ، وعقوق الأرحام ، لسلطان سوء ، قال ابن الأثير فلما سمع امير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديدا ، ودعا على بسر ، فقال اللهم اسلبه دينه وعقله ، قال فأصابه ذلك فكان يهذي بالسيف فيؤتى بسيف من خشب ، ويجعل بين يديه زق منفوخ ، فلا يزال يضربه ، ولم يزل كذلك حتى مات اه — الى غير ذلك من بوائق معاوية واعوانه ، وجرائم وزرائه ومقوّية سلطانه ، كان احدهم يقتل الألوف من افاضل الرجال ، ويعمل الاعمال التي يهتز منها عرش العظمة والجلال ، ثم لا يستعظم ما احتقب ، ولا يتأثم مما ارتكب .

اخرج الإمام الطبري في احداث سنة خمسين من تاريخه[1] بالإسناد الى محمد بن سليم ، قال سألت أنس بن سيرين ، هل كان سمرة قتل احدا ، قال وهل يحصى من قتلهم سمرة بن جندب ، استخلفه زياد على البصرة (ستة اشهر حين كان واليا عليها وعلى الكوفة من قبل معاوية) وأتى الكوفة فجاء ، وقد قتل ثمانية آلاف من الناس ، فقال له (زياد) هل تخاف أن تكون قتلت احدا بريئا ، قال لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت اه .

واخرج هنالك ايضا بالإسناد الى ابي سوار العدوي ، قال قتل سمرة من قومي في غداةٍ سبعة واربعين رجلا قد جمع القرآن اه — واخرج هنالك ايضا بإسناده عن عوف ، قال اقبل سمرة من المدينة ، فلما كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقتهم ففاجأ اول الخيل فحمل عليه رجل

(١) في صفحة ١٢٢ من جزئه السادس

من القوم فأوجره الحربة (عبثا وعتوّا) قال ثم مضت الخيل فأتى عليه سمرة بن جندب وهو متشحط بدمه ، فقال ما هذا ، قيل اصابته اوائل خيل الأمير ، قال (عتوا واستكبارا) اذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا اسنتنا اه — وهذه القضايا من المتفق على صدورها من سمرة ، نقلها كل من ارخ حوادث سنة الحسين ، كابن جرير وابن الأثير وامثالهما ، — واذا كانت هذه أعمال سمرة في ستة أشهر وهو ثقة البخاري ، ودليله على دين الباري ، قد احتج به في الورقة الثالثة من كتاب بدء الخلق من صحيحه[1] وجزم بعدالته[2] في ظاهر القول وصريحه ، فما ظنك بأعمال زياد بن سمية الخبيث الفاسق بإجماع البرية ، وقد ولاه معاوية (كما نص عليه الطبري[3] في احداث سنة خمسين من تاريخه) اعمال الكوفة والبصرة والمشرق كله ، وسجستان وفارس والسند والهند ، فكم

«١» في آخر صفحة ١٣٨ من جزئه الثاني قبل باب ما جاء في صفة الجنة بأربعة احاديث ، واحتج به في موارد كثيرة يعرفها المتتبع ، ونص الإمام محمد بن القيسراني في كتابه (الجمع بين كتابي ابي نصر الكلاباذي وابي بكر الأصفهاني) على احتجاج البخاري ومسلم كليهما في سمرة بن جندب ، مع ماله من الأعمال فراجع احواله في الجزء الرابع من شرح النهج للعلامة ابن ابي الحديد في السطر الأول من صفحة ٣٦٣ من المجلد الأول طبع مصر ، لتعلم الحقيقة ، ولو سبرت من قبل تلك الصفحة الى ما بعدها بوريقات لعلمت احوال جملة من رجال البخاري ، كابن العاص والمغيرة ومروان ، وابي هريرة وغيرهم من عمال معاوية واوليائه

«٢» مع ما ثبت عنه من المساوي التي من جملتها بيع الخمر على عهد عمر فيما رواه المحدثون واخرجه احمد بن حنبل من حديث عمر بن الخطاب في صفحة ٢٥ من الجزء الأول من مسنده قال ذكر لعمر أن سمرة باع خمرا ، فقال قاتل الله سمرة إن رسول الله قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها

«٣» في صفحة ١٣٤ من جزئه السادس .

حرة في تلك الولاية هتكت ، وكم حرمة لله انتهكت ، وكم دماء زكية سفكت ، وكم شرعة اندرست ، وكم بدعة أسست ، وكم أعين سملت ، وايد وارجل قطعت و . و . و . الى ما لا يحصى من الأعمال البربرية ، والفظائع الأموية ، التي تقشعر لها الجلود البرية ، ويتصدع بها قلب الانسانية

لكن الجمهور لما بنوا على اجتهاد معاوية عذروه في اعمال عماله ، ولم يخدش في عدالته عندهم بوائقه ولا بوائق رجاله .

وعذروه ايضا في حربه عليا عليه السلام ، وهو اخو النبي ووصيه ، ونفسه في آية المباهلة ووليه ، بعد انعقاد البيعة له ، حتى قتل من المسلمين ألوف مؤلفة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، (فيما أخرجه البخاري[1] ومسلم في صحيحيهما) سباب المسلم فسق ، وقتاله كفر[2] وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوم جلل عليا وفاطمة والحسن والحسين

«١» راجع من صحيح البخاري باب قول النبي (ص) لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض من كتاب الفتن في الجزء الرابع وراجع من صحيح مسلم كتاب الايمان

«٢» فإن قلت كيف قاتل علي عليه السلام كلا من اهل الشام والبصرة والنهروان وهم مسلمون — قلت إنما قاتلهم عملا بقوله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، ولا ريب ببغي معاوية واصحابه بدليل قتلهم عمارا ، على ان بغيهم اوضح من النهار ، وايضا اخرج مسلم في باب حكم من فرق امر المسلمين وهو مجتمع من كتاب الإمارة من صحيحه عن عرفجة ، قال سمعت رسول الله (ص) يقول من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد ، يريد ان يشق عصاكم ، ويفرق جماعتكم ، فاقتلوه ا ه — وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من الاستيعاب ما هذا لفظه وروي من حديث علي ومن حديث ابن مسعود ومن حديث ابي ايوب الانصاري انه (يعني عليا) أمر بقتال الناكثين (يوم الجمل) والقاسطين (يوم صفين) والمارقين (يوم النهروان) قال وروي عنه انه قال ما وجدت الا القتال او الكفر بما انزل الله ا ه

بالكساء فيما ذكره ابن حجر في صواعقه[1] وابو بكر بن شهاب الدين في رشفته من جملة حديث انا حرب لمن حاربهم ، وسلم لمن سالمهم ، وعدوّ لمن عاداهم[2] ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم ، حرب علي حربي وسلمه ، سلمي الى غير ذلك من الصحاح التي لا حاجة الى إيرادها ، لتواترها بين المسلمين .

وعدّوه ايضا في لعنه بقنوت الصلاة ، رجالا اذهب عنهم الرجس محكم التنزيل ، وهبط بتطهيرهم جبرائيل ، وباهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر ربه الجليل ، أولئك الذين فرض الله مودتهم ، واوجب الرسول ولايتهم ، وهم احد الثقلين ، اللذين لا يضل من تمسك بهما ، ولا يهتدي الى الله من ضل عنهما ، الا وهم امير المؤمنين اخو الرسول ووليه ، وصاحب العناء بتأسيس دينه ووصيه ، ومن شهد الرسول بأنه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى ، وولداه سبطا رسول الله وريحانتاه الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة — ولعن معهم عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة ، مع ما علم من وجوب تعظيمهم بحكم الضرورة من دين الإسلام ، وما ثبت بالعيان من شرف مقامهم لدى سيد الأنام ، وكيف لا يكونون كذلك وهم اهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي ، ومعدن الرحمة ، وما اكتفى بذلك حتى امر بلعن امير المؤمنين عليه السلام في كل كورة ،

(١) في الآية الاولى من الآيات التي اوردها في الفصل الاول من الباب الحادي عشر

(٢) واخرج احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده ان رسول الله (ص) نظر الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال انا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم

وترك ذلك سنة على اعوادها في كل عيد وجمعة ، وما زالت الخطباء في جميع الانحاء ، تعد تلك البدعة المكفرة جزء من الخطبة ، الى سنة ٩٩ فازالها خير بني مروان ، عمر بن عبد العزيز ، وهذا كله معلوم بالضرورة ، مقطوع فيه بحكم البداهة ، قد اجمع اهل العلم على صدوره ، واتفقت كلمة اهل السير على نقله ، فراجع مـا شئت من كتب الاخبار ، لتعلم ان المسألة كضوء النهار ، وكان الحسن قد شرط على معاوية إذ اصطلحا شروطا منها ان لا يشتم اباه ، فلم يجبه الى هذه ، واجابه الى ما سواها ، فطلب الحسن ان لا يشتم عليا وهو يسمع (قال ابن الاثير وابن جرير وابو الفداء وابن الشحنة و كل من ذكر صلح معاوية والحسن) فاجابه الى ذلك ، ثم لم يف له به اهـ — بل شتم عليا والحسن ، على منبر الكوفة ، فقام الحسين ليرد عليه فأجلسه الحسن عليهما السلام ، ثم قام (بأبي وأمي) ففضح معاوية والقمه حجرا ، وهذه القضية ذكرها ابو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ، وكثير من اهل السير والأخبـار ، ولم يزل معاوية يلعن أمير المؤمنين امام البر والفاجر ، ويحمل عليها الأصاغر والأكابر حتى أمر سعد بن أبي وقاص فيما اخرجـه مسلم في باب فضائل علي من صحيحه ، بالاسناد إلى عامر بن سعد ، قال أمر معاوية بن ابي سفيان سعد ابن ابي وقاص ، فقال ما منعك أن تسب ابا تراب ، فقال أماً ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلن أسبّه ، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم ، الحديث(١) وأمر الأحنف بن قيس فقال له (كما نص عليه جماعة منهم ابو الفداء في احداث سنة ٦٧

(١) واخرجه النسائي في الصفحة الثانية من الخصائص العلوية وهو منقول عن الترمذي ومن الجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة

من تاريخه) والله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعا أو كرهـا ، فكان بينهما كلام أفضى الى خوف معاوية من الفضيحة اذا استوى الأحنف على المنبر فأعفاه من ذلك ، وقد علم الناس كافة أن معاوية لم يقتل حجرا واصحابه الأبدال، إلا لامتناعهم عن لعن أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، ولو أجابوه الى لعنه لحقنت دماؤهم ، فراجع مقتل حجر في اول الجزء ١٦ من كتاب الأغاني لأبي الفرج المرواني ، وفي احداث سنة ٥١ من تاريخ ابن جرير وابن الأثير وغيرهما ، لتعلم الحقيقة ، وتعرف أن عبد الرحمن بن حسان العنزي لما أبى وامتنع من لعن علي عليه السلام في مجلس معاوية ، أرسله إلى زياد ، وأمره أن يقتله شر قتلة ، فدفنه حيا ، وما زال يلعن عليا عـلى رؤوس الاشهاد ، ويحمل على لعنه بالترهيب والترغيب كافة العباد ، في كافة البلاد ، هذا مع ما صح من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من سب عليا فقد سبني ، أخرجه الحاكم وصححه وهو عندنا من المتواترات ، وأخرج النسائي في صفحة ١٧ من الخصائص العلوية ، وابن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده ، من حديث أم سلمة عن عبد الله او أبي عبد الله الجدلي ، قال دخلت على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول الله فيكم ، قلت معاذ الله او سبحان الله ، أو كلمة نحوها ، قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من سب عليا فقد سبني »[1] اهـ

وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من استيعابه ما هذا لفظه : وقال صلى الله عليه (وآله) وسلم ، من أحب عليا فقد أحبني ، ومـن أبغض عليا فقد أبغضني ، ومن آذى عليا فقد آذاني ، ومـن آذاني فقد آذى الله

(١) هذه الفضيلة من خصائص امير المؤمنين ولذلك اوردها النسائي في خصائصه وبها وبامثالها نكفر الخوارج واشباههم

اه«١»– وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الطبراني وغيره ما بال أقوام يبغضون عليا ، ومن ابغض عليا فقد أبغضني ، ومن فارق عليا فقد فارقني ، إن عليا مني وأنا منه ، خلق من طينتي ، وخلقت من طينة ابراهيم ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، يا بريده أما علمت أن لعلي ، أفضل من الجارية التي اخذ ، وهو وليكم بعدي – وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما (كما في الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق) عن عمران بن حصين أن رسول الله قال ما تريدون من علي ، ماتريدون من علي ، ماتريدون من علي ، إن عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي .

وفي ترجمة علي من الاستيعاب ما هذا نصه : وروى طائفة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال لعلي رضي الله عنه لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق ، قال وكان علي رضي الله عنه يقول والله إنه لعهد النبي الأمي أنه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق اه -- قلت وأخرجهُ مسلم في كتاب الايمان من صحيحهِ وقد تواتر قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، من كنت مولاه فعلي مولاه«٢» اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار اه .

ومقامنا لايسع استقصاء ما جاء في وجوب موالاته ولايفي باستيفاء

(١) واخرج ابن خالويه في كتاب الآل من ابن عباس وابو يعلى والبزاز عن سعد بن ابي وقاص والطبراني عن ام سلمة نحوه

(٢) قد اعترف صاحب الفتاوى الحامدية بتواتره وعده من المتواترات في رسالته المختصرة الموسومة بالصلاة الفاخرة بالاحاديث المتواترة وكذلك الحافظ السيوطي وغيره

ما دل على كفر معاداته ، فنلفت الراغب في ذلك من اخواننا المسلمين ، الى ما أودعناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، فإنه متكفل بالتفصيل ، متعهد بإقامة البرهان والدليل ، على أن هذا المقدار ، كاف لأولي الأبصار ، وإذا صح اجتهاد معاوية في مقابل هذه الأحاديث الصحيحة ، وجاز تأوله في عرض تلك النصوص الصريحة ، فتأول من يستفرغ وسعه في التعبد بالأدلة ، ويستغرق جهده في العمل بقواعد الملة ، أولى بالصحة ، وأحق بالجواز ، على أن أفعاله لم تكن إلا لطلب الملك[1] وانتزاعه من اهله ، وعداوته لعلي إنما هي ناشئة عن الأحقاد البدرية ، والضغائن الجاهلية ، وأما المتأولة من فقراء المسلمين ، ومساكين اهل الدين ، فإنه لاطمع لهم بملك ، ولا أمل لهم بسلطان ، ولا ثار لهم يطلبونه ، ولا غرض لهم سوى الحق يقصدونه ، قد اقتفوا أثر البرهان ، واتبعوا أدلة أهل الإيمان ، فإن اصابوا فمأجورون ، وإن أخطأوا فمعذورون ، وهذا آخر ما أردناه في هذا الفصل ، فاحكموا ايها المنصفون بالعدل ، والسلام على من اتبع الهدى ، وخشي عواقب الردى ، ورحمة الله وبركاته .



(١) وقد صرح معاوية به يوم النخيلة حيث قال من جملة خطبة خطبها يومئذ والله أني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد اعطاني الله ذلك وانتم كارهون رواه الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد ابن سويد ونقله اهل الاخبار وكان عبد الرحمن بن شريك اذا حدث بذلك يقول هذا والله التهتك فراجع صفحة ١٦ من المجلد ٤ من شرح النهج الحديدي المطبوع في مصر

« فصل »

٩

فيمن أفتى بكفر الشيعة وتفصيل ما استدل به على ذلك ، والغرض استئصال بذور الشقاق ، بإيضاح خطأه ، واجتثاث ارومة الافتراق ببيان اشتباهه ، حرصا على أن لا يكال بصاعه ، واتقاء من تصديقه واتباعه ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما وجدناه في باب الردة والتعزير من الفتاوى الحامدية وتنقيحها ، بإمضاء الشيخ نوح الحنفي ، لاشتهار هذين الكتابين ، ورجوع من بأيديهم منصب الفتوى في المملكة المحروسة اليهما .

قال في جواب من سأله عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم

إعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة ، والبغاة الفجرة ، جمعوا بين أصناف الكفر والبغي والعناد ، وأنواع الفسق والزندقة والإلحاد ، ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم ، فهو كافر مثلهم ، (قال) وسبب وجوب قتالهم وجواز قتلهم البغي والكفر معا ، أمّا البغي فإنهم خرجوا عن طاعة الإمام خلد الله تعالى ملكه إلى يوم القيامة وقد قال الله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، والأمر للوجوب ، فينبغي للمسلمين إذا دعاهم الإمام إلى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيد المرسلين ، أن لا يتأخروا عنه ، بل يجب عليهم أن يعينوه ويقاتلوهم معه ، (قال) وأما الكفر فمن وجوه ، منها أنهم يستخفون بالدين ، ويستهزئون بالشرع المبين ، ومنها أنهم يهينون العلم والعلماء ، ومنها أنهم يستحلون المحرّمات ، ويرتكبون الحرمات ، ومنها أنهم ينكرون خلافة الشيخين ، ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين ،

ومنها أنهم يطوّلون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها ، ويتكلمون في حقها مالا يليق بشأنها (من أمر الإفك) مع أن الله تعالى أنزل عدة آيات في براءتها (قال والله يعلم أنه كاذب فيما قال) فهم كافرون بتكذيب القرآن العظيم ، وسابون النبي ضمنا بنسبتهم الى اهل بيته هذا الأمر العظيم ، ومنها أنهم يسبون الشيخين ، سوّد الله وجوههم في الدارين ، إلى أن قال فيجب قتل هؤلاء الأشرار الكفار ، تابوا أولم يتوبوا ، ثم حكم باسترقاق نسائهم وذراريهم اه .

قلت هذا الذي لاتبرك الإبل على مثله ، هذا الذي لا تقوم السماء والارض بحمله ، هذا الذي لا يتسنى للغيور أن يقيم في أرض ينشر فيه ، هذا الذي لايستطيع الحمي أن يستظل بسماء تشرق شمسها على معتقديه ، هذا الذي ما أنزل الله به من سلطان ، هذا الذي يأباه الله ورسوله و كل ذي وجدان ، هذا هو الاختلاف ، الذي ليس بعده ائتلاف ، هذا هو الافتراق ، الذي ليس بعده اتفاق ، هذا هو المحاربة ، التي ليس بعدها مصاحبة ، هذا والله الإفك والبهتان ، هذا والله الظلم والعدوان .

بجدك قل لي هل درى صاحب الفتوى أي دماء من اهل الشهادتين سفكها ، وأي حرائر قانتات هتكها ، وأي حرمات لله عز وجل انتهكها ، وأي صبية من بني الإسلام سلبها ، وأي اموال مزكيات نهبها ، وأي ديار معمورة بالصلاة وتلاوة القرآن خربها ، وأي كبد لرسول الله بذلك فراها وأي عين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفتواه أقذاها ، وأي فتنة بين المسلمين أججها ، وأي حرب بينهم أججها واسرجها ، وأي شوكة لهم بذلك كسرها ، وأي دولة لأعدائهم أعزها ونصرها ، وأي مخالفة لحكم الله ارتكبها ، وأي أوزار بتكفيره للمسلمين احتقبها (ومن لم يحكم بما أنزل

الله فأولئك هم الكافرون) ولو درى الى أي غاية بلغ الشيعة في المحافظة على قوانين الدين ونواميس الشريعة ، أو علم الى أي أوج ارتقوا في الإحتياط بالأحكام ، أو الى أي حد انتهوا في التمسك بثقلي سيد الأنام ، أو الى أي مرتبة اخذوا بالسنة السنية ، أو الى أي مقدار اقتدوا بالعترة الطاهرة الزكية ، لدعا بالويل والثبور ، وتمنى أن يكون قبل هذه البائقة من اهل القبور .

ظن الرجل أنه قضى على الشيعة بعدوانه ، وزعم أنه اسقطهم بإفكه وبهتانه ، فطاش سهمه ، وضلت مطيته ، بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه .

أجل والله ما قضى إلا على مروءته ، ولا أسقط بأكاذيبه غير أمانته وقد افتضح بين علماء العالم ، واتضح تحامله بالزور لدى فضلاء بني آدم ، وكان كمبغضي الأنبياء إذ سطروا الأساطير افتراء عليهم ، وأعداء الأوصياء إذ ملأوا الطوامير في نسبة الأباطيل اليهم ، فما أثر ذلك فيهم الا رفعة ولا ازدادت شرائعهم إلا عزاً ومنعة ، (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) كان العزم على أن نربأ عن مناقشته ، ولا نلوث اليراع بمحاسبته ، لوضوح افترائه ، وظهور ظلمه واعتدائه ، لكن اقتدينا بالكتاب الكريم ، والذكر الحكيم ، إذ تصدى للرد على كل أفاك أثيم ، فقال جل وعلا (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) الى غير ذلك مما كان في التنزيل من هذا القبيل — ذكر الرجل لوجوب قتال الشيعة وجواز قتلهم سببين (البغي والكفر) وقد علم الله ورسوله وأولو الفضل من عباده أنه ظلم الشيعة بذلك وبغى عليهم كما افك اعداء الأنبياء إذ نسبوا السحر

والجنون اليهم ، ونحن نناشدكم الله ، أيها الناس متى كانت الشيعة غير خاضعة للسلطان ، وفي اي جهة من مملكته المحروسة كان ذلك منهم ، وبما بنوا عليه ، أرأيتموهم تأخروا في اداء الخراج ، أو توقفوا في دفع الضرائب والأعشار والإعانات ، او تخلفوا عن جهاد عدوه ، او قصروا عن طليعة عساكره ، او تقهقروا عن مقدمة جنوده ، او خانوه في خدمة ، او كفروا له نعمة ، كلا والله ما كان ذلك منهم ، ولا هو جائز عندهم ، والناصب الكاذب يعلم براءتهم منه[1] ويقطع بأنهم في غاية البعد عنه ، وإنما اراد اغراء السلطان بهم ، وحمله على الوقيعة فيهم ، حرصاً على استئصالهم ، ومبالغة في ابادتهم واحتياطاً على أن لا يكون لهم نصيب من مراحم الدولة ، ولا حصة من عدل القانون ، ولا سهم من انصاف الولاة ، ولا حظ من معاشرة العامة (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) .

وأما قوله بكفرهم ، فإنه قول من لا يخاف من الله سطوة ، ولا يخشى منه نقمة ، قولٌ لم يرجع فيه الى دين ، ولا عمل فيه بما تواتر عن سيد النبيين والمرسلين ، صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالإسلام ، على كل من اقام الصلاة وآتى الزكاة وصام الشهر وحج البيت من اهل الشهادتين والايمان باليوم الآخر — وقد افردنا في أوائل هذه الرسالة فصلا لبيان معنى الإسلام والايمان ، وهو الفصل الثاني منها واوردنا فيه وفي الفصول الثلاثة التي بعده طائفة من الصحاح الحاكمة بما قلناه ، وتكلمنا

---

(١) يعلم الناصب وغيره أن الشيعة والسنة في الخضوع للسلطان وعدمه على حد سواء ، لأن من كان منهما في مملكته فهو مطيع بحكم الوجدان والعيان ، ومن كان من كلا الطائفتين في ممالك الأجانب فهو ممنوع عن طاعته ، وأما شيعة إيران فكأهل السنة في مراكش وأفغان ، فأي فرق بين الشيعة والسنة في هذا الأمر يا مسلمون

هناك بما يجدر بالباحث المدقق أن يقف عليه ، فالمرجو ممن وقف على هذا الفصل مراجعة تلك الفصول ، ليعلم أن قواعد الشريعة ، تحكم بإيمان الشيعة ، ويعرف أن الصحاح المتواترة تقضي باحترامهم في الدنيا ، ونجاتهم في الآخرة .

وأما الوجوه التي اعتمد الناصب عليها في التكفير ، فإنها من أوضح افراد الافك ، وافضح انواع التزوير .

إفك لا يكون من صبي يرجى فلاحه ، وزور لا تأتي به أمة وكماء إلا أن تكون مدخولة العقل ، ونحن نذكر تلك الوجوه (وهي ستة) ونتكلم في كل منها بما يوجبه العلم ، وتقضي به الأمانة .

الوجه الأول

زعم أن الشيعة تستخف بالدين ، وتهزء بالشرع المبين ، وهذا قول لا يخفى زوره ، وإفك لا يعطل ظهوره ، فإن الشيعة أحوط الناس على الدين ، وأعظمهم تقديسا للشرع المبين ، وتلك كتبهم في الأصول والفروع والتفسير والحديث تشهد (وقد ملأت ما بين الخافقين) لهم بذلك ، على أن هذا الأمر غني عن البرهان ، بعد أن كان شاهده الحس والوجدان

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وليته دلنا على الموارد التي استخف بها الشيعة من معالم الدين ، أو اخبرنا عن المقامات التي استهزأوا فيها بالشرع المبين ، أتراهم استخفوا بالخالق تبارك وتعالى ، فشبهوه بخلقه تارة ، وجوزوا عليه القبيح أخرى ، أم استخفوا بالأنبياء والأوصياء ، فنسبوا اليهم صلوات الله عليهم ما يليق بالأشقياء ، أم استخفوا بمقام سيد البشر ، فقالوا إنه (والعياذ بالله) هجر

كلا والله انهم لأعظم تقديساً لله ، واكبر تنزيها لأنبيائه ، واكثر تعظيما لخلفائه ، واحكم قواعدا في الاصول ، وأشد احتياطا في الفروع ، واكثر تثبتا في قبول الحديث ، واحرز للواقع في كل ما يرجع للدين ، واننا ألفت الباحث إلى أصول الإمامية وفروعهم ، ليعلم الحقيقة - على أن من ساح في بلادهم ، وجاس خلال ديارهم ، يرَ مواظبتهم على الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وسائر الواجبات في جميع الاحوال ، رجالاً ونساء ، كبارا وصغارا ، أحرارا ومماليك ، بحيث لا يتسامح في ذلك منهم ، إلا من سرى اليه الداء من معاشرة غيرهم ، ومن ترك فريضة من الصلوات الخمس ، أو افطر يوماً من شهر رمضان بلا عذر ، يُعزَّر عندهم بخمس وعشرين سوطا ، فإن اعاد عُزر ثانياً ، فإن اعاد قتِل ، والاحوط تأخير إعدامه الى المرة الرابعة ، ولا يؤخر الى الخامسة (لو لم تكن الحدود معطلة) بإجماعهم ، هذا في غير المنكر ، أما المنكِر لوجوب الصلاة اوالصوم او الزكاة او الخمس او الحج ، او غيرها من الضروريات ، كحرمة الزنى واللواط ، والسرقة وشرب الخمر ، والغيبة والفساد في الارض واشباهها او الشاك في شيء من ذلك ، فإنه يقتل بمجرد الإنكار او الشك ، وقد امتازوا بالاستنابة عن الميت في الصلاة والصوم كما يستنيبون عنه في الحج ، واوجبوا على وليه قضاء ما فاته من الصلاة والصوم في الجملة ، ولو علموا أن في ذمته زكاة او خمساً اومظالم أخرجوها من أصل ماله ، وإن لم يوص بها كسائر الديون ، وهكذا احتياطهم في جميع العبادات والمعاملات والإيقاعات وسائر الشرعيات ، فكيف يتسنى للناصب بعد هذا أن يرميهم بالاستخفاف بالدين ، والاستهزاء بالشرع المبين ، نعوذ بالله من سبات العقل ، وقبح الزلل ، وبه نستجير من بوائق العثرة وسوء الخطل ، إنه ارحم الراحمين.

الوجه الثاني

أنهم يهينون العلم والعلماء ، سألتكم أيها المنصفون ، بالحقيقة التي ضيعها المرجفون ، هل سمعتم أوحش من هذا العدوان ، أو بلغكم أفحش من هذا البهتان ، أو رأيتم أحمق من هذا الدليل ، أو حدثتم بأسخف من هذا الوجه الساقط الرذيل ، ألشيعة يقال ذلك ، وهم الذين أسسوا العلوم ومهدوها ، وأحكموا المعارف وشيدوها ، وسبقوا بالتأليف فلم يلحقوا وعرجوا الى أوج الفضل فحلقوا ، فما من علم من العلوم الدينية الاوهم اصله وفرعه ، وما من فن من الفنون الإسلامية الا وهم معدنه ونبعه[١] وما أدري بأي شيء اهانوا العلم والمعارف ، أبا لمدارس التي عمروها ، أم بالأوطان التي رغبة في العلم هجروها ، أم بالأعمار التي على التعلم قصروها ، أم بالأفكار التي في خدمة العلم حصروها ، أم بالأموال التي في سبيله اتلفوها ، أم بالقرى التي على طلابه وقفوها ، أم بالقواعد التي احكموها ، والأصول التي ابرموها ، والأحكام التي اقاموا دليلها ، والغاية التي اوضحوا للعالمين سبيلها ، وما ادري كيف رماهم بإهانة العلماء ، مع شهادة البر والفاجر بأنهم اشد الناس للعلماء تعظيما، وأعظم

---

(١) من ابتغى تفصيل هذه الجملة والوقوف على حقيقتها فعليه بكتاب (تأسيس الشيعة) لمؤلفه شيخ المسلمين ومن انتهت اليه النوبة في الاستواء على دست آبائه الطيبين الطاهرين الإمام الشريف آية الله أبي محمد الحسن من آل شرف الدين المشهور بالسيد حسن الصدر الموسوي العاملي الكاظمي فإنه متع الله المسلمين بشريف وجوده تتبع العلوم الدينية ذكرا واستقصى الفنون الإسلامية سبرا واستوفى البحث عن مؤسسيها واستقرأ الكلام في طبقات المصنفين فيها فأثبت بذلك للعيان واظهر بالحس والوجدان سبق الإمامية الى جميع الفنون الاسلامية وقد اختصر هذا السفر الثمين في كتاب وسمه بكتاب الشيعة وفنون الإسلام وهو من الكتب المنتشرة بفضل مطبعة العرفان

العالمين لهم تبجيلا ، لا يرجعون في الحوادث الا اليهم ، ولا يعولون في امور الدنيا والدين الا عليهم .

نعم هنالك من قضاة الرشوة ، وشيوخ الزور ، وعلماء السوء والمرجفين في المسلمين ، والناصبين للمؤمنين ، من لا يسع المؤمن تعظيمه ولا تباح له موالاته ، فإهانته بالإعراض عنه ، وعدم اخذ الدين منه واجبة بإجماع المسلمين ، وحكم الضرورة من الدين ، على أنا ننقض على الناصب بنفسه إذ اهان بهذه الفتوى جميع علماء الشيعة ، وكافة حفاظ الشريعة ، بل أهان بقوله (ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم) جميع من توقف في هذه المسألة من اهل السنة ، وجميع من حكم من علمائهم بإسلام الشيعة ممن سمعت كلامهم في الفصل المختص بما افتى به علماء السنة كما لا يخفى ، ومن وقف على حكم هذا الرجل بكفر من توقف في تكفير الشيعة بعد مراجعة ذلك الفصل وهو الفصل ٦ من الفصول المتقدمة علم أنه قد كفّر إماميه اباحنيفة ، والاشعري وكفّر الإمام الشافعي ، وسفيان الثوري ، وابن ابي ليلى ، وداود بن علي ، والحسن البصري ، وسعيد بن المسيب ، وابن عيينة ، وابن سيرين ، والزهري ، واباطاهر القزويني ، والإمام السبكي ، وابا المحاسن الروياني ، والقدماء من علماء بغداد قاطبة ، وكفّر ابن حزم الظاهري ، والشيخ الكبير ابن العربي ، والعارف الشعراني ، وصاحب فتح القدير ، والملا علي الحنفي ، وابن تيمية ، وابن عابدين ، والمعاصر النبهاني وغيرهم ، إذ حكموا جميعا بإسلام كافة اهل الأركان الخمسة من الشيعة وغيرهم ، فإن كانت اهانة العلماء كفرا فالناصب من اكفر العالمين ، إذ اهان بهذه الفتوى جميع أئمة المسلمين ، وكافة علماء الموحدين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الوجه الثالث

انهم يستحلون المحرمات، ويرتكبون الحرمات، بالله عليك، هل يكون في صفاقة الوجه، وصلابة الخد، وعدم الحياء، والجرأة على الإفك، اكثر من هذا، نعوذ بالله من الخذلان، وبه نستجير من سوء عواقب الظلم والعدوان، سلوا (ايها المسلمون) كتب الإمامية، متونها وشروحها، قديمها وحديثها، تخبركم (وصاحب البيت أدرى بالذي فيه) أنهم أبعد الناس عن المحرمات، واحوط العالمين على الحرمات، ألم يحكم فقههم بالجلد والرجم معا على كل من المحصن إذا زنى ببالغة عاقلة، والمحصنة إذا زنى بها البالغ وإن لم يكن عاقلا، ألم يقض بالقتل على مطلق من زنى بالمرأة مكرها لها، وعلى كل من زنى بمحارمه النسبية، وعلى الذمي إذا زنى بالمسلمة مطلقا، ألم يوجب مائة جلدة للمحصن إذا زنى بطفلة اومجنونة وللزانية إذا لم تكن محصنة، او كانت محصنة لكن الزاني بها طفل، ألم يعلن فقههم باقامة الحد على الذكر الحر غير المحصن إذا زنى بضربه مائة جلدة، وجز رأسه ونفيه سنة كاملة، ألم يصرح بضرب المملوك والمملوكة البالغين العاقلين خمسين جلدة إذا زنى احدهما مطلقا، ألم يبعضوا في حد من تحرر بعضه فاوجبوا له من حد الأحرار بقدر ما فيه من الحرية ومن حد العبيد بقدر العبودية، ألم يوجبوا لمن زنى في زمان معظم او مكان شريف عقوبة زائدة على الحد، لهتكه حرمة الزمان او المكان، ألم يحكموا على مطلق الحر البالغ إذا لاط، بالقتل بالسيف او بالرجم او بالقائه من شاهق، او بهدم جدار عليه وهل عرفت انه يجوز احراقه عندهم، وهل بلغك أن هذا الحكم ثابت للمحصن وغيره، ألم يحكموا

بالقتل كذلك على المفعول به إن كان بالغا عاقلا مختارا ، ألم يوجبوا تعزير الصبي فاعلا او قابلا ، وتأديب المجنون فاعلا او مفعولا ، ألم يعلنوا بالحكم بمائة جلدة على كل من الفاعل ، والقابل مع البلوغ والعقل والاختيار اذا حصل منهما مجرد التفخيذ اوبين الاليتين دون الايقاب (١)

الم يصرحوا بالحكم بمائة جلدة على كل واحدة من المساحقتين ، الم يحكموا بخمس وسبعين جلدة على القيادة ، وثمانين على كل من القذف وتناول المسكر ولو حشيشة ، الم يحكموا على السارق اول مرة بقطع الأربع من اصابع يده اليمنى ، فلو سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ، وفي الثالثة يحبس ابدا ، وفي الرابعة يقتل ، الى غير ذلك مما لا يسع المقام تفصيله ، من جزاء المفسد في الارض والمرتد عن الإسلام ، وبقية الحدود ، وسائر التعزيرات ، ومن اراد التفصيل فعليه بابوابها من فقه الإمامية وحديثهم ، وقد انتشر منها ببركة الطبع في ايران وفضل المطابع في الهند الوف ومئات ، مختصرات ومطولات ، فراجعها لتعلم حال الشيعة في انكار المنكرات ، واستعظام المحرمات ، ولهم في اهل الكبائر حكم قد امتازوا به ، وذلك أن صاحب الكبيرة مطلقا اذا اقاموا عليه الحد مرتين قتلوه في الثالثة ، وربما احتاطوا بتأخيره الى الرابعة ، ولا قائل منهم بتأخيره الى الخامسة هذا في غير المستحل .

اما المستحل فيقتل عندهم بمجرد الاستحلال .

ناشدتكم الله رب العالمين ، هل يجوز دينا ، ام يسوغ مروءة ، ان ترمى الشيعة بعد هذا كله باستحلال المحرمات ، وهتك الحرمات ، وليت الظالم دلنا على محرم اباحوه ، او ارشدنا الى حرمة من حرمات الدين هتكوها

(١) من غير فرق بين المحصن وغيره وقيل يرجم المحصن

هيهات هيهات – إنهم أبرأ من أن يكون ذلك منهم، وأجل من أن يؤثر شيء مما هو دونه عنهم، وإنما وصفهم الناصب بصفاته، والزمهم بذنوبه وموبقاته، إذ استحل بهذه الفتوى انواعا من المحرمات، واستباح اقساما من الحرمات، استحل الكذب والبهتان، استحل الظلم والعدوان، استحل تكفير المؤمنين، استحل ايقاد الحرب بين المسلمين، استحل قتل الشيعة وهم ركن الإسلام، استحل نهب مالهم وهو الحرام، استحل سبي المسلمات القانتات، استحل اطفال المسلمين وهتك الحرمات، وقد اباد بهذه الفتوى من مؤمني حلب اربعين الفا ويزيدون، وانتهبت اموالهم، واخرج الباقون منهم من ديارهم، الى نبّل، والنغاولة، وام العمد، والدلبوز، والفوعة وقراها، وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر (بسبب هذه الفتوى) جبل عامل سنة ١١٤٧ فانتهك الحرمات، واستباح المحرمات، (يوم وقعة انصار) وقتل وسلب، وخرب ونهب، واسر الفا واربعمائة من المؤمنين فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف ببيروت، الى غير ذلك مما كان بسبب هذه الفتوى من الفظائع والفجائع، على أنها في ذاتها بائقة الدهر، وفاقرة الظهر، الحكم لله والمصير اليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الوجه الرابع

انهم ينكرون خلافة الشيخين، ويريدون ان يوقعوا في الدين الشين[1]

والجواب انه لا ينكر استخلاف الشيخين رضي الله عنهما ذو شعور،

(١) لم يأت بهذه الفقرة (اعني قوله ويريدون ان يوقعوا في الدين الشين) الا لمجرد السجع والا فقد عرفت انهم احوط الناس على الدين

ولا يرتاب فيه ذو وجدان ، وقد امتدت إمارتها من سنة ١١ الى سنة ٢٣ وفتحت بها الفتوحات ، وضرب الدين فيها بجرانه ، على ان خلافتهما من الشؤون السياسية التي خرجت بانقضائها وتصرمها عن محـل الابتلاء ، فأي وجه لتنافر المسلمين اليوم بسببها ، واي ثمرة عملية تترتب فعلا عـلى الاعتقاد بها .

فهلموا ياقومنا للنظر في سياستنا الحاضرة ، وعرجوا عما كان من شؤون السياسة الغابرة ، فإن الاحوال حرجة والمـآزق ضيقة لا يناسبها نبش الدفائن ، ولا يليق بها اثارة الضغائن ، وقد آن للمسلمين ان يلتفتوا الى ما حل بهم ، من هذه المنابذات والمشاغبات ، التي غادرتهم طعمة الوحوش وفرائس الحشرات .

واي وجه لتكفير المسلمين بانكار سياسة خالية ، وخلافة ماضية ، قد اجمع اهل القبلة على انها ليست من اصول الدين ، وتصافقوا على انها ليست مما بني الإسلام عليه ، ونحن نظرنا فيما صح عند اهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من تفسير معنى الاسلام والإيمان ، فلم نجده (١) مقيدا بها ، وتتبعنا الامور التي جعلها صلى الله عليه وآله وسلم سببا في احترام الدماء والأعراض والاموال فلم تكن (٢) من جملتها ، واستقرأنا من نصوصه شرائط دخول الجنة فلم نجدها (٣) في زمرتها ، فأي مانع بعد هذا من جريان الاجتهاد فيها ، وأي دليل على كفر المتأولين من منكريها فإن القوم لم تكن بينهم وبين الحق عداوة ، وإنما قادتهم الأدلة الشرعية

(١) راجع الفصل ٢ المعقود لبيان معنى الاسلام من هذه الرسالة

(٢) راجع الفصل ٣ المختص باحترام الموحدين من هذه الرسالة

(٣) راجع الفصل ٥ المتعلق بنجاة الموحدين من هذه الرسالة

إلى القطع باشتراط أمور في القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله والمستوي على مرقاة الخلافة عنه ، كعدم سبق الكفر منه على الايمان ، وكعصمته والعهد اليه ، وعدم كونه مفضولا ، واستدلوا على هذه الشروط بأدلة (من الكتاب والسنة والعقل) كثيرة ، لايسع المقام بيانها ، وقد استقصيناها في كتابنا ﴿ سبيل المؤمنين ﴾ وهبها شبها (كما تقول) لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه لأنها من الكتاب والسنة ، وقد الجأته الى القطع بما صار اليه ، فإن كان مصيبا والا فقد اجمع المسلمون على معذرة من تأول (في غير أصول الدين) وإن أخطأ كما سمعته في فصل المتأولين .

على أنه لا وجه للتكفير بانكارها ، حتى لو فرضنا أنها من اصول الدين عندهم لأنها ليست من الضروريات التي يرجع انكارها إلى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا هي في نظر منكريها من الأمور التي قد انعقد الاجماع عليها .

وقد سبقوا بشبهة من الكتاب والسنة تمنعهم من الاعتقاد بها ، ألا ترى أن الشيعة لم تكفر أهل السنة بإنكارها إمامة الأئمة من اهل البيت عليهم السلام مع أن إمامتهم من اصول الدين على رأي الشيعة ، وكذلك العدلية (من الشيعة والمعتزلة) لم تكفر طائفة الأشاعرة بانكارها العدل مع أنه من الأصول عندهم ايضا ، وقد تأول في إنكار هذه الخلافة سعد بن عبادة ، وحباب ابن المنذر الأنصاريان ، وتخلف عنها جماعة واكره عليها آخرون ، كما ذكرناه في فصل المتأولين فلم يكفر احد من أولئك بما كان منه ، ولا فسق بما تواتر من القول والفعل عنه ، فكيف يكفر هؤلاء وحكم الله واحد ، يا ايها المنصفون ، على أن الأحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، والصحاح الوافرة من طريق اهل السنة ، ألجأت هؤلاء الى

القطع بعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى علي من بعده ، فدانوا بما رأوا أنه الحق من دين الاسلام ، فهم معذورون بل مأجورون ، إن اصابوا بذلك وإن اخطأوا بالاجماع ، قال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من الجزء الثالث من فصله ما هذا نصه : وذهبت طائفة إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا ، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال ، إن أصاب فأجران ، وإن اخطأ فأجر واحد (قال) وهذا قول ابن ابي ليلى ، وابي حنيفة ، والشافعي ، وسفيان الثوري ، وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافا في ذلك اصلا — قلت إجماع الصحابة وهؤلاء الأئمة يقطع دابر المشاغبين ، وينقض اساس المجازفين ، ضرورة أن القائلين بخلافة علي ، والمنكرين لغيره لم يقولوا هذا القول ، ولم يعتقدوا هذا الأمر ، إلا بعد الاجتهاد التام ، واستفراغ الوسع والطاقة ، وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة ، ولقد عزّ عليهم فراق اخوانهم من اهل السنة في هذه المسألة ، وقاسوا في سبيلها من انواع البلايا واقسام المحن ، والرزايا ماقد علمه جميع الناس ، ولكنهم لايصنعون فيما يرونه الحق ، ويقطعون بأنه عين الصواب ، وقد صرح بمعذرتهم وكونهم مأجورين جماعة من افاضل المعاصرين ، كالعلامة القاسمي الدمشقي حيث قال في ميزان الجرح والتعديل ، بعد ذكر الشيعة واحتجاج مسلم بهم في صحيحه ، ماهذا لفظه : لأن مجتهدي كل فرقة من فرق الاسلام مأجورون ، أصابوا أم اخطأوا بنص الحديث النبوي اه — قلت ومن راجع من هذه الرسالة الفصل المشتمل على فتاوى علماء السنة يجدهم مجمعين على ذلك ، ومن سبر فصل المتأولين لايرتاب فيه والحمد لله رب العالمين

الوجه الخامس

أنهم يطولون السنتهم على عائشة الصديقة رضي الله عنها ، ويتكلمون في حقهـا (مـن امر الإفك والعياذ بالله) مالا يليق بشأنها ، إلى آخر إفكه وبهتانه .

والجواب أنها عند الإمامية وفي نفس الأمر والواقع أنقى جيبا ، واطهر ثوبا ، وأعلى نفسا ، واغلى عرضا ، وأمنع صونا ، وأرفع جنابا ، وأعز خدرا ، واسمى مقاما ، من أن يجوز عليها غير النزاهة ، أو يمكن في حقها إلا العفة والصيانة ، وكتب الإمامية قديمها وحديثها شاهد عدل بما اقول ، على أن اصولهم في عصمة الأنبياء تحيل ما بهتها به اهل الإفك بتاتا ، وقواعدهم تمنع وقوعـه عقلا ، ولذا صرح فقيه الطائفة وثقتها إستاذنا المقدس الشيخ محمد طه النجفي اعلا الله مقامه ، وهو على منبر الدرس بوجوب عصمتها من مضمون الإفك ، عملا بما يستقل بحكمه العقل ، من وجوب نزاهة الأنبياء عن اقل عائبة ، ولزوم طهارة اعراضهم عن أدنى وصمة ، فنحن والله لا نحتاج في براءتها الى دليل ، ولا نجوز عليها ولا على غيرها من ازواج الأنبياء والأوصياء كل ما كان من هذا القبيل — قال سيدنا الامام الشريف المرتضى علم الهدى ، في المجلس ٣٨ من الجزء الثاني من أماليه ، رداً على من نسب الخنا إلى امرأة نوح ، مـا هذا لفظه : إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، يجب (عقلا) ان ينزهوا عن مثل هذه الحال ، لأنها تعر وتشين وتغض من القدر ، وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام ، ما هو دون ذلك ، تعظيما لهـم وتوقيرا ، ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم ، إلى آخر كلامه الدال على وجوب نزاهة

امرأة نوح وامرأة لوط من الخنا، وعلى ذلك اجماع مفسري الشيعة ومتكلميهم وسائر علمائهم — نعم ننتقد من أفعال أم المؤمنين خروجها من بيتها بعد قوله تعالى وقرن في بيوتكن وركوبها الجمل بعد تحذيرها من ذلك ومجيئها إلى البصرة تقود جيشاً عرمرماً (تطالب على زعمها بدم عثمان وهي التي امالت حرفه وألبت عليه وقالت فيه ماقالت) ونلومها على أفعالها في البصرة (يوم الجمل الأصغر) مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ونستنكر أعمالها يوم الجمل الأكبر مع امير المؤمنين ويوم البغل حيث ظنت أن بني هاشم يريدون دفن الحسن المجتبى عند جده (ص) فكان ماكان منها ومن مروان بل نعتب عليها في سائر سيرتها، مع سائر اهل البيت عليهم السلام، والناصب الكاذب بلغ في عداوة الشيعة الى حد لايبلغه مسلم، وتجشم في بغضائهم مسلكا لايسلكه موحد، إذ وصم الإسلام واهله (بما افتراه في هذا الوجه على الشيعة وهم نصف المسلمين) وصمة اقرّ بها عيون الكافرين، وفرى بها مرائر الموحدين، وظلم بها أم المؤمنين، وجميع المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوجه السادس

أنهم يسبون الشيخين رضي الله تعالى عنهما.

والجواب أن البحث يقع هنا في كل من صغرى هذا الوجه وكبراه، وبعبارة أخرى هي اوضح يقع البحث في مقامين.

﴿ المقام الأول ﴾ في أنهم هل يسبون اولا يسبون.

﴿ والثاني ﴾ في أنه هل يكفر الساب (والعياذ بالله) اولا يكفر وقد رأيت البحث في المقام الأول عبثا صرفاً، ولغواً محضا، إذ لا يمكن إذعان الخصم ببراءة الشيعة من هذا الأمر، ولو حلفنا له برب الكعبة، بل لايلتفت الى نفيه عنهم، ولو جئناه بكل آية، والامامية طالما اذنت

فلم يسمع اذانها ، وشدّ ما اعلنت فلم يصغ لإعلانها ، فسد هذا الباب، اقرب إلى الصواب ، وأولى بأولي الألباب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

واما المقام الثاني فالحق فيه عدم الكفر ، ولنا على ذلك أدلة قاطعة، وبراهين ساطعة ، نذكر منها ستة ثم نوكل الحكم بعدها لرأي المنصفين .

﴿ الأول ﴾ الأصل مع عدم ما يدل على الكفر ، من عقل، او نقل او إجماع .

﴿ الثاني ﴾ انا تتبعنا سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما رأيناه يكفّر احداً بشتم واحد من اصحابه رضي الله عنهم ، وكان الصحابة يتنازعون ويتشاتمون على عهده ، فلم يؤثر عنه تكفير احد منهم بسبب ذلك ، حتى تشاتموا مرة امامه وتضاربوا بالنعال (كما رواه البخاري عنهم في اول كتاب الصلح من صحيحه ، واخرجه مسلم في آخر باب دعاء النبي (ص) إلى الله من كتاب الجهاد من صحيحه) وتقاتل الاوس والخزرج مرة على عهده صلى الله عليه وآله وسلم واخذوا السلاح واصطفوا للقتال كما في آخر صفحة ١٠٧ من الجزء الثاني من السيرة الحلبية وكذا في السيرة الدحلانية وغيرها فأصلح بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يكفّر بذلك احداً منهم ، وموارد اختلافهم وتشاتمهم بل تقاتلهم وتحاربهم مسطورة في كتب الحديث والأخبار ، فهل بلغكم تكفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأحدهم بهذا السبب ، أم هل سمعتم ذلك عن احد الصحابة رضي الله عنهم ، وإذا كان القوم لم يثبتوا لأنفسهم هذه المنزلة ، فكيف أثبتها لهم المجازفون .

﴿ الثالث ﴾ ما سمعته (في الفصول الثلاثة المنعقدة لبيان معنى الإيمان واحترام الموحدين ونجاتهم) من الأحاديث الصحيحة ، والنصوص

المتواترة الصريحة، فراجعها لتعلم حكمها على مطلق اهل الأركان الخمسة بالإيمان والاحترام ودخول الجنة ، ولا يخفى على كل من لحظها بطرفه ، او رمقها ببصره ، او سمع بيانها ، او عرف لسانها ، امتناع تقييدها ، واستحالة تخصيصها ، ولذا أجمع المسلمون على عدم تخصيصها ، بما اخرجه مسلم في اوائل صحيحه من الأحاديث الظاهرة بكفر التارك للصلاة من المسلمين ، والمقاتل منهم للمسلم والعبد الآبق ، والنائحة على الميت ، والطاعن في النسب ، بل قالوا أن الغرض من هذه الصحاح وأمثالها إنما هو تغليظ الحرمة ، وتفظيع المعصية ، لا الكفر الحقيقي ، فلتكن الأخبار المتعلقة في السب مثلا ، على فرض صحتها ، نظير هذه الصحاح ، ويوضح لك ما نقول اجماع الخلف والسلف من اهل السنة على أن من مات موحدا دخل الجنة ، ولو عمل من المعاصي ما عمل ، كما ستسمعه عن الفاضل النووي قريباً إن شاء الله تعالى .

﴿ الرابع ﴾ ما اورده القاضي عياض في الباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفا ، أن رجلا من المسلمين سب ابا بكر بحضر منه رضي الله عنه فقال ابو برزة الأسلمي يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه ، فقال اجلس ليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اه — واخرجه الإمام احمد من حديث ابي بكر في صفحة ٩ من الجزء الأول من مسنده .

بالله عليك إذا كان هذا حكم الصديق في من واجهه بالسب ، وهذه فتواه فيمن تسور على مقامه بالشتم ، فمن اين نحكم بعده بالتكفير ، وكيف نقضي بوجوب القتل او نفتي بجواز التعزير ، أنحن أعرف منه بالأحكام أم أحرص على إقامة الحدود ، كلا : بل لو ارتد ذلك الساب لأقام

عليه حد المرتدين ، ولو كفر بهـا لرتب عليه آثار الكافرين ، وحاشا ابا بكر من تعطيل حدود الله ، او تبديل احكامه عز وجل .

وقد اقتدى به في ذلك الصالحون ، ونسج على منواله المتورعون ، كعمر بن عبد العزيز حيث كتب اليه عامله بالكوفة يستشيره في قتل رجل سب عمر بن الخطاب (رض) فكتب اليه (كما في الباب المتقدم ذكره من الشفا) لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس ، إلا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه واخرج محمد بن سعد في احوال عمر بن عبد العزيز في صفحة ٢٧٩ من الجزء الخامس من طبقاته بسنده الى سهيل بن ابي صالح قال إن عمر بن عبد العزيز قال لا يقتل احد في سب احد الا في سب نبي . — واخرج احمد من حديث ابي هريرة في صفحة ٤٣٦ من الجزء الثاني من مسنده ان رجلا شتم ابا بكر — والنبي (ص) جالس فجعل النبي (ص) يعجب ويتبسم الحديث

﴿ الخامس ﴾ اجماع فقهائهم على ان مجرد السب لا يوجب الكفر ، وقد نقله من علماء السنة خلق كثير ، فمنهم فقيه الحنفية في عصره ، (الامين) ابن عابدين ، حيث جزم (في كتابيه رد المحتار وتنبيه الولاة) بعدم كفر المتأولين في هذه المسألة ، وصرح في كليهما بأن القول بكفرهم مخالف لإجماع الفقهاء ، مناقض لما في متونهم وشروحهم ، فراجع من رد المحتار صفحة ٣٠٢ من جزئها الثالث في باب المرتد لتعلم الحقيقة

ومنهم صاحب الاختيار ، حيث قال (كما نص عليه ابن عابدين فيما اشرنا اليه من رد المحتار) اتفق الائمة على تضليل اهل البدع اجمع وتخطئتهم ، وسب احد من الصحابة وبغضه لايكون كفرا لكن يضلل اه

ومنهم ابن المنذر ، حيث صرح (كما في رد المحتار ايضا) بما يقتضي

نقل إجماع الفقهاء على عدم تكفير الخوارج، وإن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم، وكفروا الصحابة رضي الله عنهم[١]

ومنهم صاحب فتح القدير، حيث قطع بعدم كفر احد من اهل البدع، وان خالف ببدعته دليلا قطعياً، كالخوارج الذين يكفرون الصحابة، ويسبونهم مثلا، وذكر أن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون، وإنما هو من كلام غيرهم، قال ولا عبرة بغير الفقهاء، والمنقول عن الفقهاء ما ذكرناه ا ه

ومنهم ابن حجر، حيث قال كما في خاتمة الصواعق، فمذهبنا (فيمن يسب) أنه لا يكفر بذلك ا ه

ومنهم الشيخ ابو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول، حيث نقل القول بعدم كفر أحد من اهل الأركان الخمسة، من الروافض وغيرهم عن جمهور العلماء والخلفاء، من ايام الصحابة الى زمنه، فراجع ما نقلناه عنه، في الفصل المعقود لفتاوى علماء السنة، ومنهم العارف الشعراني، حيث قال في آخر المبحث ٥٨ من يواقيته ما هذا لفظه فقد علمت يا أخي أن جميع العلماء المتدينين امسكوا عن القول بالتكفير لأحد من اهل القبلة ا ه

وقد أرسل ابن حزم عدم الكفر ارسال المسلمات، فقال في صفحة ٢٥٧ من اواخر الجزء الثالث من فصله، ما هذا لفظه: وأما من سب احدا من الصحابة فإن كان جاهلا فمعذور، وإن قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق، كمن زنى او سرق، وإن عاند الله تعالى ورسوله في ذلك فهو

(١) اذا كان هاؤلاء مسلمين، وقد مرقوا من الدين، واستحلوا ما حرم الله من دماء المسلمين، فالامر في غيرهم سهل يسير، وهذا الإجماع دال على ما هو أعم من المطلوب، مثبت لما هو اعظم من المقصود كما لا يخفى

كافر (قال) وقدقال عمر بحضرة النبي (ص) عن حاطب «وحاطب مهاجري بدري »دعني اضرب عنق هذا المنافق، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً، بل كان مخطئاً متأولا اه

قلت وحسبك في عدم كفر الموحدين بمجرد هذا ما هو معلوم بحكم البداهة الأولية، من اجماع اهل السنة على ان مطلق الموحدين يدخلون الجنة على كل حال، قال الفاضل النووي (في باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا من شرح الصحيح)واعلم ان مذهب اهل السنة وما عليه اهل الحق من الخلف والسلف، أن من مات موحدا دخل الجنة قطعا، الى أن قال فلا يخلد في النار احد مات على التوحيد، ولو عمل من المعاصي ما عمل اه

﴿ السادس ﴾ انه لا يفتى بالتكفير عندهم إلاّ ان يكون الموجب للكفر مجمعاً على ايجابه، لذالك قال في شرح تنوير الأبصار، واعلم أنه لايفتى بكفر مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره خلاف، ولو كان ذلك رواية ضعيفة اه—وقال الخير الرملي (كذا في صفحة ٣٩٨ من الجزء الثالث من رد المحتار)ولو كانت (تلك الرواية) لغير اهل مذهبنا، واستدل على ذلك باشتراط كون ما يوجب الكفر مجمعاً على إيجابه لذالك— قلت اذا كان التكفير مشروطاً بهذا، فكيف يفتى بالكفر في مسألتنا مع ما سمعت من انعقاد الإجماع على عدم الكفر فيها، ولوانكر الخصم ذلك الإجماع، فحسبه وجود القائل بعدم التكفير، فإنه مما لايمكن انكاره كما لا يخفى، وقد أغرب الناصب اذ حكم بعدم قبول توبته، مع

اجماعهم على قبول توبة من يسب الله عز وجل [١]

فهل هذا إلا تحامل قبيح ، وظلم صريح ، وجرأة على الله عز وجل في تبديل احكامه ، واستخفاف فيما شرع الله سبحانه من حلاله وحرامه ، وما أراه الا مدفوعاً على هذه الفتوى من ملوك الجور تحسيناً لأفعالهم أو مستأجراً عليها من ولاة الجنف تصحيحاً لأعمالهم

ولا غرو فإن علماء السوء ، وقضاة الرشوة يبدلون احكام الله بالتافه ويبيعون الأمة بالنزر القليل .

فقاتل الله الحرص على الدنيا ، وقبح الله التهالك على الحسائس ، ما أشد ضررهما ، وما افظع خطرهما ، نبذ اولئك الدجالون حكم الله وراء ظهورهم طمعاً في الوظائف ، وحكموا بما تقتضيه سياسة ملوكهم رغبة في المناصب ، وأرجفوا في المؤمنين ، وفرقوا كلمة المسلمين ، ولولاهم لتعارفت الأرواح ، وائتلفت القلوب ، وامتزجت النفوس ، واتحدت العزائم ، فلم يطمع بالمسلمين طامع ، ولم يرمقهم من النواظر إلا بصر خاشع ، ولكن والأسفاه استحوذ عليهم اولئك المفسدون ، الذين ينحرون دين الله في سبيل الوظائف ويضحون عباده في طلب القضاء والإفتاء ، فتناكرت بفتاويهم وجوه المسلمين وتباينت بأراجيفهم رغائب الموحدين ، حتى كان من تفرق آرائهم ، وتضارب اهوائهم ، ما تصاعدت به الزفرات ، وفاضت منه العبرات ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

---

(١) نسجوا في هذه الفتوى على منوال اليهود ، إذ اجمعت احبارهم على ان من شتم الله تعالى يؤدب ، ومن شتم الأحبار يقتل ، وقد أنكر ذلك عليهم ابن حزم إذ نقله عنهم في صفحة ٢٢١ من الجزء الأول من فصله قبل انتهاء الجزء بورقتين ، ثم قال فاعجبوا لهذا واعلموا أنهم ملحدون لا دين لهم اه — قلت وهب ان الرافضي كافر فقد نشأ على مذهبه وتدين به من قبل البلوغ فلم لا تقبل توبته كما تقبل توبة المجوس والصابئة يا منصفون

« فصل »

١٠

في الاشارة الى يسير مما نسبه الكذابون الى الشيعة، وبيان براءتهم منه، والغرض من ذلك استئصال شأفة التنافر، واقتلاع بذرة التدابر، وازالة كل عثرة في طريق الاجتماع، ودك كل عقبة في سبيل الوئام، وقبل الشروع في المقصود نقدم جملة لاتتم بدونها الفائدة، حاصلها أن في أهل السنة من رمى الإمامية بدواهي وفواقر، قد عُلم اليوم (بفضل المطابع وبركة انتشار الكتب وتقلص العصبيات وبزوغ الحقائق أنهم في غاية البعد عنها وتمام التقدس منها، والرامون لهم بها على اربعة اقسام ﴿القسم الأول﴾ طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد التزلف الى ملوك بني امية وسلاطين بني العباس، إذ كانت الشيعة (بعد صفين والطف) اعداء السياسة الأموية واضداد الدولة العبشمية، يجتهدون في رفضها، ويعملون على نقضها، ففتكت بهم الحكام، وقتلتهم تحت كل حجر ومدر، ووازرهم على ذلك القرآء المراؤون، والعلماء الدجالون، فبلغوا في تسويد صحائف الشيعة كل مبلغ، وألصقوا بهم كل عائبة، تهجينا لمذهبهم، وتقبيحاً لمشربهم، وتصحيحاً لما كان يرتكبه بنو امية من تقتيل أبنائهم، واستحياء نسائهم، وكانوا ينتظرون الفرج بسقوط الدولة الأموية، فلما ملك بنو العباس نسجوا معهم على ذلك المنوال، وعملوا مع أئمة اهل البيت افظع الأعمال، حتى قضى (الكاظم) في سجونهم، وتجرع (الرضا) كاس السم من يد مأمونهم، وكربوا قبر الحسين عليه السلام، وأبادوا نسل محمد صلى الله عليه وآله

فعاد على شيعة اهل البيت ذلك البلاء ، وحلت بهم من ولاة الدولة العباسية وعلمائها تلك اللأواء ، الولاة تفنيهم بسهامها ، وعلماء التزلف ترميهم بأقلامها — بيد أن ظلم السيف لم يبق وظلم القلم مسجل مابقيت كتب الضلال ، فالعاقل المتثبت لا يصدق في حق الشيعة علماء تلك الدولتين ، ولا يعتني بما كان في ايامهما من الأراجيف ، فإنهـا أكاذيب أوجبتها سياسة الملك ، واقتضتها قواعد الظالمين .

﴿ القسم الثاني ﴾ طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد الخوف من ميل الناس إلى الشيعة ، ومحض الحذر من اتباع سائر المسلمين لطريقتهم ، وكأنهم قد استباحوا بذلك تنفير الناس عنهم بكل طريق ، فقالوا ما قالوا ، ونالوا ما نالوا ، على علم منهم بأن الإمامية متزهون عما افتروه عليهم ، مقدسون عما نسبوه اليهم ، إلا في مسألة واحدة تتعلق بمباحث الإمامة والسياسة ، لا نتحاشى منها ، وهي على قواعد الخصم لا توجب اهتماما زائدا لو أنصفوا ، لأنها ليست من الأصول عندهم كما لا يخفى .

﴿ القسم الثالث ﴾ طائفة قد التبس الأمر عليهم ، لأن اسم الشيعة غير خاص بالإمامية ، بل مشترك بينها وبين فرق كثيرة ، كالإسماعيلية والكيسانية ، والناووسية ، والخطابية والفطحية ، والواقفية وغيرها ، فربما وجدوا اقوالا منكرة ، ومذاهب مكفرة ، لإحدى تلك الفرق الضالة ، التي يطلق عليها لفظ الشيعة ، فظنوا أنه مذهب الجميع ، فأرسلوه عنهم إرسال المسلمات ، وأعانهم على ذلك وغر في صدورهم ، وغيظ في نفوسهم ، يمنعانهم عن التثبت في النقل .

ولله ورع الإمامية وتثبتهم ، إذ يرون الكرامية (وهم طائفة

من اهل السنة) يذهبون إلى أن الله سبحانه وتعالى مستقر على العرش ، استقرارك على الارض ، ويجدون آخرين يقولون بأنه تعالى بكى على طوفان نوح ، حتى رمدت عيناه ، وعادته الملائكة ، ويلفون الخائطية والحدثية (وهما فرقتان من المعتزلة) يقولون بحلول الله عز وجل في بعض الأنبياء ، مقالة النصارى في ابن مريم عليهما السلام نص على ذلك الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) ومع ذلك لم ينسبوا القولين الأولين إلى مطلق أهل السنة ، ولا ألحقوا المقالة الأخيرة بمطلق المعتزلة ، وإنما نسبوا تلك الأقوال إلى أربابها ، وقصروها على اصحابها ، فلمَ ينسب غيرهم مقالة الخطابية والناووسية مثلا إلى مطلق الشيعة يا منصفون .

﴿ القسم الرابع ﴾ جماعة قد اعتمدوا في نقل تلك الدواهي والطامات عن الشيعة ، على من تقدمهم من علماء سلفهم ، إذ رأوهم ينقلون شيئا فنقلوه ، ووجدوا أثراً فاتبعوه ، ولو رجعوا في معرفة اقوال الإمامية إلى علمائهم ، وأخذوا مذهبهم في الأصول والفروع من مؤلفاتهم ، لكان أقرب إلى التثبت والورع – وما أدري كيف نبذوا في هذا المقام كتب الإمامية على كثرتها وانتشارها ، واعتمدوا على نقل اعدائهم المرجفين ، وخصمائهم المجازفين ، الذين تحكموا في تضليلهم ، وسلقوهم بالسنة الافتراء ، وهذا عصر لا يصغى فيه إلى من يرسل نقله ارسال الكذابين ، أو يطلق كلامه إطلاق المموهين ، حتى يرشدنا إلى المأخذ ، ويدلنا على المستند ، وقد طبع في اماكن من فارس والهند ، ألوف من مصنفات أصحابنا في الفقه ، والحديث ، والكلام ، والعقائد ، والتفسير والأصول ، والأوراد ، والاذكار ، والسلوك ، والأخلاق ، فليطلبها من اراد الاستبصار ، ولا يعول على كتب المهولين ، الذين بثوا روح البغضاء في جسم المسلمين ،

ونقلوا عن الشيعة كل إفك مبين ، واليك منه ما عقد الفصل لذكره .

قال ابن حزم الظاهري في صفحة ١٨٢ من الجزء الرابع من الفصل ما هذا نصه : ومن الإمامية من يجيز نكاح تسع نسوة ، ومنهم من يحرم الكرنب (وهو نوع من السلق يشبه القنبيط) لأنه إنما نبت على دم الحسين[1] ولم يكن قبل ذلك — قلت أما نكاح ما زاد على الأربع ، فإجماع الإمامية قاطبة نصا وفتوى على حرمته ، وهذا الحكم من ضروريات مذهبهم ، بحيث لا يشتبه فيه احد منهم ، وأما الكرنب فليس له في كلام الإمامية عنوان مخصوص ، وحكمه عندهم حكم الخس والفجل واللفت وأشباهها ، وأنا أنشدكم ايها الباحثون بعزة الحقيقة ، وناموس العدل ، وشرف الإنصاف ، أن تستقصوا فقه الإمامية وأصولهم ، وتستقرئوا حديثهم وتفسيرهم ، وتتصفحوا قديم كتبهم وحديثها ، مختصرها ومطولها متونها وشروحها ، فإن وجدتم أثرا لما قال فالشيعة ليست على شيء من الحق ، وإلا فابن حزم وامثاله من اكذب الخلق ، وقد أرجف بالإمامية في غير هذا المقام من فصله إرجافا لا يصدر من ذي دين ، وكذب عليهم أكاذيب لا تكون من ذي يقين ، وظلمهم ظلما لا يقدم عليه مؤمن بالمعاد ، وبهتهم بهتان من لا يخشى الله ولا يستحي من العباد ، ونحن بسبب انتشار كتب الإمامية في غنى عن التصدي لتزييف أقاويله ، وتكذيب أباطيله ، على أن الرجل لم يقتصر في ظلمه على الشيعة خاصة ، بل ظلم أئمة اهل السنة ، وبهت علماء المعتزلة ، وكفر كثيراً من السلف ، ولم يكد أحد يسلم من لسانه ، حتى قال ابن العريف (كما في ترجمة علي بن احمد بن حزم من الوفيات)

[1] الإمامية أجل من أن تعول في احكام الله على الخرافات الباردة ، والترهات السخيفة كهذه الحكاية وامثالها

كان لسان ابن حزم وسيف الحجـاج شقيقين — وحسبك ما نقـله في شنع المرجئة عن الإمام الأشعري واصحابه ، من أن إعلان الكفر باللسان ، وعبادة الأصنام والأوثان ، بلا تقية ولا عذر ، لا ينافيان مقام الولاية لله عزوجل ، فراجع صفحة ٢٠٤ من الجزء ٤ من الفِصَل ، ونقل في الصفحة الأولى من الجزء ٤ ايضا عن الباقلاني القول بجواز كل فسق وكفر على الأنبياء ، حاشا الكذب في البلاغ ، ونقل في صفحة ٢٠٥ من الجزء ٤ ايضا عن بعض الأشاعرة القول بجواز الكذب في البلاغ عـلى الأنبياء ، ونقل عن السمناني وهو من أئمة الأشاعرة في صفحة ٢٢٤ من الجزء الرابع تجويز الكفر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ونسب إلى محمد بن الحسن بن فورك ، وسليمان بن خلف الباجي وهما من أئمـة الأشعرية ، أمورا عظيمـة يطول المقام بتعدادها ، والغرض أن الرجل لا يستحيي من الكذب ، ولا يتأثم من البهتان ، وقد أجمع فقهاء عصره (كما في ترجمته من الوفيات) على تضليله — وذكره ابن خلدون في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة فكان ممـا قال فيه ونقم الناس عليه ، واوسعوا مذاهبه استهجانا وانكارا ، وتلقوا كتبه بالإغفال والترك ، حتى انه ليحظر بيعها في الأسواق ، وربما تمزق في بعض الاحيان اه

فلا يغتر احد بما ينقله عن الإمامية وغيرهم (يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا عـلى ما فعلتم نادمين) . على أن الرجل من موالي يزيد بن معاوية ، فلاحظ نسبه في الوفيات ، ولذا فضل أم حبيبة بنت ابي سفيان على ابي بكر وعمر وعثمان حيث تكلم في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة ، واختار تفضيل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، على جميع من عدا الأنبياء من سائر الناس

واعتمد في ذلك على خزعبلات مسخنة، وترهات باردة، وتشبث بسفاسف فاضحة، وتمويهات واضحه، فليراجعها كل مغرور بابن حزم في صفحة ١١٢ وما بعدها إلى صفحة ١٣٤ من الجزء الرابع من الفصل وليعجب، وقد ظهر منه في تلك المقامات وما بعدها نصب عظيم لأمير المؤمنين، وعداوة لأهل البيت بالغة، حتى فضل صهيباً (في صفحة ١٥٢ من الجزء الرابع) على العباس وبنيه، وعلى عقيل وبنيه، وعلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام، وانكر كل فضيله لأهل البيت فراجع.

ونسج على منواله في بهت الإمامية جماعة كثيرون، منهم الشهرستاني في الملل والنحل، إذ ألحق بهم كل مستهجن، والصق فيهم كل قبيح — ذكر أنهم افترقوا بعد الإمام ابي محمد الحسن العسكري احدى عشر فرقة، والله يعلم أنهم لم يفترقوا في أصول الدين، أو شيء من العقائد، وإنما أراد بتفريقهم اطفاء نورهم، وليته أسند شيئاً من الأقاويل التي نقلها عن تلك الفرق إلى كتاب يتلى، أو شخص خلقه الله تعالى، وليته أخبرنا عن بلاد واحدة من تلك الفرق، أو زمانها، أو اسمها، فإنه قال وليس لهم القاب مشهورة، ولكنا نذكر اقاويلهم — بالله عليك هل سمعت بفرق متخاصمة ونحل آراؤها متعاركة، لا يعرف لهم في الاحياء والأموات رجل، ولا إمرأة، ولا يوجد في الخارج لهم مسمى ولا اسم.

وقد نقل عن زرارة بن اعين وهشام بن الحكم[1] ومؤمن الطاق محمد ابن النعمان، وهشام بن سالم، أموراً ترتعد منها الفرائص، وتقشعر الجلود،

(١) قد استوفينا الرد في هذه المسألة على الشهرستاني في كتابنا مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الإسلام فراجع ما نشر منه في صفحة ١٨٩ وفي صفحة ٢٣١ من المجلد الثاني من العرفان

فلم يقدح ذلك في سمو مقامهم ، وعظيم خطرهم عند الله ورسوله والمؤمنين وما أدري كيف اختص الشهرستاني واصحابه بالإطلاع على اقوال هؤلاء الاعلام دوننا ، مع أنهم سلفنا وفرطنا ، قد بحثنا عن رأيهم ، وأخذنا من الدين بهديهم ، فنحن أعرف الناس بمذاهبهم ، وصحاحنا مشحونة من حديثهم ، واسفارنا مملوءة من اقوالهم في الكلام والتفسير والفقه واصوله ، وفي ايدينا جملة احوالهم ، وتفاصيل اخبارهم ، فلا يجوز أن يخفى علينا من احوالهم ماظهر لغيرنا ، مع بعده عنهم في المشرب ، ومخالفته لهم في المذهب ، وكونهم ليسوا محلا لابتلائه في شيء من أمور الدنيا والدين ، ولو رأيناهم يذهبون إلى ما عزاه الشهرستاني اليهم لبرأنا منهم ، كما هي سنتنا فيمن نراه معوجا عن الحق ، أو منتهجا نهج الضلال ، وقد أعرضنا عن بعض اولاد أئمتنا (مع شدة اخلاصنا لهذا البيت الطاهر) وكفّرنا جماعة ممن صحبهم ، وفسقنا آخرين ، وضعفنا قوما ، وامسكنا عن قوم آخرين ، كما يشهد به الخبير بطريقتنا ، فلو كان هؤلاء كما ذكره الشهرستاني لم يعظم علينا تكفيرهم ، ولألحقناهم بأبي الخطاب (محمد بن مقلاص الاجدع) وبالمغيرة بن سعيد ، وعبد الله بن سبا ، والمختار بن ابي عبيد وامثالهم ، لكن اعداء اهل البيت عمدوا إلى اكابر اصحابهم ، فرموهم بهذه الطامات كي يسقطوهم من أعين الناس ، حسداً منهم وبغيا ، ثم جاء الشهرستاني فرأى أثرا فاتبعه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد بلغت القحة ببعض المتعصبين إلى رمي المتاولة (وهم الإمامية في عرف سوريا) بإنكار الصوم ، والصلاة ، والحج ، والزكاة ، وسائر الواجبات ، حتى نقل ذلك عنهم جودت باشا كما في صفحة ٣٦٦ من الجزء

الأول من ترجمة كتابه المطبوع في بيروت سنة ١٣٠٨ (١) فاعجبوا لهذه الاكاذيب ، الدالة على حمق الكاذب وقلة حيائه ، نعوذ بالله من الخذلان

وربما أفك بعض المخرفين ، فنسب إلى الشيعة أنهم لا يأكلون لحوم الإبل ، هذا مع ما ينحر من الجزر كل يوم في مشاهد الأئمة عليهم السلام وغيرها من بلاد الإمامية ، ولاسيما في النجف الأشرف ، وهي عاصمة فقهائهم ، على أن من راجع من فقههم باب الاطعمة والاشربة لا يجدهم يفتون بكراهة الإبل ، كما يفتون بكراهة الخيل والبغال والحمير ، بل يذكرون الإبل في غير المكروه ، قبل البقر والغنم والمعز ، وفي باب الذباحة يصرحون بأن تذكية الإبل بنحرها في وهدة اللبة ، وهذا أمر من الضروريات لا يجهله احد منهم أصلا .

وأعجب من هذا ، نسبة بعض الآفكين إلى الشيعة عدم إيجاب العدة على النساء ، مع أنهم أحوط في هذه المسألة من غيرهم ، ضرورة أن المتوفى عنها زوجها تعتد بأربعة اشهر وعشر ليال ، مبدؤها عندهم علمها بوفاته ، وعند غيرهم مبدؤها نفس وفاته ، وتظهر الثمرة فيما لو علمت اليوم أنه مات منذ اربعة اشهر وعشر ليال او اكثر ، فإنها لا تتزوج على رأيهم حتى تتربص المدة ، وعند غيرهم تتزوج في تلك الساعة — وأيضا إذا مات عنها وهي حامل تتربص عندهم بابعد الأجلين ، من وضع الحمل ومضي المدة ، فلو مضت المدة قبل وضع الحمل لا تتزوج عندهم ، حتى تضع حملها ، وكذا لو وضعت قبل مضي المدة — وإن أردت التفصيل ،

(١) ذكرنا في كتاب مؤلفي الشيعة كلام جودت واستوفينا القدام في رده فراجع ما نشر منه في صفحة ١٩٠ من المجلد الثاني من العرفان وقد سمعت في الفصل السابق حال الإمامية في إيجاب الواجبات وتحريم المحرمات فلا وجه للإعادة

فعليك بفقه الإمامية وحديثهم وتفاسيرهم ، وقد ملأت انحاء الهند ، وارجاء فارس ، وانتشرت في العراقين وسوريا ، وسائر بلاد الإسلام ، وأنا ارشدك إلى أسماء بعض ما هو مطبوع منها ، إكمالا للفائدة ، وخدمة للعلم ، فمن الكتب الفقهية ، شرائع الإسلام ، وجواهر الكلام ، ومسالك الافهام ، ومدارك الاحكام ، وكشف اللثام ، ومفتاح الكرامة ، وتذكرة العلامة والبرهان القاطع ، والمختصر النافع ، والروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، وجامع المقاصد في شرح القواعد ، إلى مالا يحصى من الكتب المطولة ، فضلا عن المختصرة ، وحسبك من حديثهم وسائل الشيعة ، إلى احكام الشريعة ، ومن تفاسيرهم ، مجمع البيان ، في تفسير القرآن ، فراجعها لتعلم الحقيقة والله المستعان على ما تصفون .

« فصل[1] »

١١

كنا نظن العصبية العمياء تقلصت ، وأيامها الوحشية تصرمت ، وأن المسلمين أحسوا اليوم بما حل بهم من المنابذات والمشاغبات ، التي تركتهم طعمة الوحوش والحشرات ، وكنا نقول بزغت الحقائق بفضل المطابع ، وانتشار كتب الشيعة ، فلا افاك ولا بهات ، ولا رامي لهم بعدها بهنات ، لكن النواصب أبوا إلا إيقاظ الفتنة النائمة ، وإيقاد الحرب العوان (تفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا

---

(١) انما عقدنا هذا الفصل وزدناه فيما زدناه في هذه الطبعة (اعني الطبعة الثانية) تأثرا من هؤلاء النواصب الكذبة وائن لم ينتهوا انعذرن الى الله عزوجل بهم

إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون)

قام في سوريا من حثالة الأمويين طغام دأبهم العهر والخمر، يدعون إلى سلفهم الفاجر، يريدون ليعيدوها أموية يزيدية، هياماً في مجاهل ضلالهم، وتسكعاً في مفاوز محالهم — ركبوا في ذلك رؤسهم، وارخوا فيه أعنة اقلامهم، فألحقوا بالشيعة كل مستهجن وبهتوهم بكل عائبة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون)

خط قرد يزيد في خطته وفي مجلة الأمويين قوارص، ترتعد منها الفرائص، لكن فتيان المؤمنين خصموه فخطموه وقدعوه فقمعوه، لا شلت أيمانهم

ونشب النشاشيبي منشب سوء، فلم ينشب أن أبكم فأفحم، واتكبح فافتضح، والحمد لله رب العالمين.

وصوّب النصولي نصوله على الإمام، فنصل بذلك من دين الإسلام وقد طاش سهمه، وسفه رأيه، وخولط في عقله، فهو (في كتابه) أحمق دالع[1] ومن شك فليراجع

ومع ذلك فقد كال الكيالي بصاعه، وانتظم في سلك أتباعه، فثار ثائر هوجه، وهبت عواصف رعنه، فبرهن بما كتب على اطفاء شعلة ذهنه، وفلول شباة عقله (وخسر هنالك المبطلون) (ومن يضلل الله فماله من هاد)

ما لهؤلاء السفهاء والتطوع في هذا الجيش الوهمي وما كان اغناهم عن ذلك الإرجاف والإجحاف، وماهذا الهوس الحزبي الذي أماتته السنون، يبعثه هؤلاء العادون، ليشقوا عصا المسلمين، ويلقوا بأسهم بينهم

وإن من عصب برأسه العار، وخطم أنفه بالشنار، وعاقر المدام، وعانق الغلام، وأضاع الصلاة، واتبع الشهوات، لجدير بالموبقات،

(١) وهو الذي لا يزال دالع اللسان وذلك غاية الحمق

وحقيق بالمنديات المخزيات :

ولو أني بليت بهاشمي خوّلته بنو عبد المدان
لهان عليّ ما القى ولكن تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

ولقد أسرف منار الخوارج بما ارجف واجحف ، وبغى وطغى ، وبهت الشيعة بهتانا عظيما (ومن يكسب خطيئة او إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) شنها (في مجلده التاسع والعشرين) غارة ملحاحا اوسعت قلب الدين واهله جراحا ، إيقاداً للفتنة ، وتمسكاً بقرن الشيطان ، وتزلفاً لخوارج القرن الرابع عشر ، وابتغاء لعرض الدنيا (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) .

وتباً وترحاً لمن يتلون كالحرباء ، ويدين بالسياسة كيف تشاء .

فيوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبالعذيب يوماً ويوماً بالخليصاء

نشر المنار[١] دعايته إلى التعصب والخرافات ، والتفريق بين المسلمين بالتمويه والترهات ، وادرج لذلك الناصب الكاذب رسالة خالية الوطاب إلاّ من الإفك والسباب ، فأين النهضة التي يزعم المنار قيامه بها على أساس الوحدة الإسلامية ، وأين ما يدعيه من مجاهدة البدع والخرافات ، هيهات هيهات (لقدحن قدح ليس منها ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها) ربنا لا تؤآخذنا بما فعل السفهاء منا ، ونعوذ بك من طغوى نفوسهم ، وسفه احلامهم ، وعمه بصائرهم ، وبغي طغامهم ، ونبرأ اليك من نعرتهم الممقوتة وعصبيتهم الملعونة ، فقد شقوا بها عصا المسلمين ، وكان بسببها من الفشل وذهاب ريح الإسلام ، ما يفري المرائر ، ويمزق لفائف القلوب .

(١) في الجزء ٦ وما بعده من المجلد ٢٩ تباعاً

وهناك افاضل نحملهم على الصحة في سوء ظنهم بالشيعي، ونبزهم إياه بالرفض، ونسبتهم الأباطيل اليه، حيث أنسوا بناحية من تقدمهم، ممن رأوه ينبز الشيعة ويلمزهم، فنحوا نحوه، وتلوا في ذلك تلوه، إخلادا اليه بثقتهم، واعتمادا عليه في كل ما يقول، فلا تثريب إذن على الوحيد الرافعي، إذا قال[1] إن الرافضة شكوا في نص القرآن، وقالوا انه وقع فيه نقص وزيادة، وتغيير وتبديل اهـ.

ولا جناح علينا إذا سألناه فقلنا له من تعني هنا بالرافضة، أتعني الإمامية امغيرهم، فإن عنيتهم فقد كذبك من أغراك بهم، وكل من نسب اليهم تحريف القرآن فإنه مفتر عليهم، ظالم لهم، لأن قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الإسلامي، ومذهبهم الإمامي، ومن شك فيها من المسلمين فهو مرتد بإجماع الإمامية، فإذا ثبت عليه ذلك قتل، ثم لا يغسل، ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين — وظواهر القرآن (فضلا عن نصوصه) من أبلغ حجج الله تعالى، وأقوى أدلة اهل الحق، بحكم البداهة الأولية من مذهب الإمامية، ولذلك تراهم يضربون بظواهر الأحاديث المخالفة للقرآن عرض الجدار، ولا يأبهون بها، وإن كانت صحيحة — وتلك كتبهم في الحديث والفقه والأصول، صريحة بما نقول.

والقرآن الحكيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هو ما بين الدفتين، وهو ما في ايدي الناس، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة، ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل، تواتراً قطعياً الى عهد الوحي والنبوة،

---

1 في صفحة ١٦١ من كتابه (تحت راية القرآن)

وكان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس مؤلفا على ما هو عليه الآن ، وكان جبرائيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن في كل عام مرة ، وقد عارضه به عام وفاته مرتين .

والصحابة كانوا يعرضونه ويتلونه على النبي حتى ختموه عليه صلى الله عليه وآله وسلم مرارا عديدة ، وهذا كله من الأمور المعلومة الضرورية لدى المحققين من علماء الإمامية ، ولا عبرة بالحشوية فإنهم لا يفقهون

والباحثون من اهل السنة يعلمون أن شأن القرآن العزيز عند الإمامية ليس إلا ما ذكرناه والمنصفون منهم يصرحون بذلك .

قال الإمام الهمام الباحث المتتبع رحمة الله الهندي (رضي الله عنه) في صفحة ٨٩ من النصف الثاني من كتابه النفيس (اظهار الحق) ماهذا لفظه : القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل ، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم (قال) قال الشيخ الصدوق ابو جعفر محمد ابن علي بن بابويه الذي هو من اعظم علماء الإمامية الاثني عشرية في رسالته[1] الاعتقادية (اعتقادنا في القرآن أن القرآن الذي انزل الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين وهو ما في ايدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سوره عند الناس مائة واربعة عشر سوره ، وعندنا والضحى والم نشرح سورة واحدة ، ولإيلاف والم تر سورة واحدة . ومن نسب الينا أنا نقول أنه اكثر من ذلك فهو كاذب) انتهى .

(قال الإمام الهندي) وفي تفسير مجمع البيان[2] الذي هو تفسير معتبر عند الشيعة ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد ابو القاسم

«١» المطبوعة المنتشرة «٢» المطبوع مرارا في ايران

علي بن الحسين الموسوي (أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجموعاً مؤلفا على ما هو الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان ، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب وغيرهما ، ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث (قال الهندي) وذكر أن من خالف من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف مضاف إلى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته) انتهى

(قال الإمام الهندي) وقال السيد المرتضى ايضا (إن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث الكبار ، والوقائع العظام المشهورة ، واشعار العرب المسطورة ، فإن العناية اشتدت ، والدواعي توفرت على نقله ، وبلغت إلى حد لم تبلغ اليه فيما ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية ، والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية ، حتى عرفوا كل شيء فيه ، من اعرابه وقراءته ، وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيراً او منقوصاً مع العناية الصادقة ، والضبط الشديد) انتهى .

(قال الإمام الهندي) وقال القاضي نور الله الشوستري الذي هو من علمائهم المشهورين في كتابه المسمى بمصائب النواصب (ما نسب إلى الشيعة الإمامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الإمامية إنما قال به شرذمة قليلة منهم لا اعتداد بهم فيما بينهم) انتهى .

(قال الإمام الهندي) وقال الملا صادق في شرح الكليني (يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر ويشهر به) انتهى .

(قال الإمام الهندي) وقال محمد بن الحسن الحر العاملي الذي هو من كبار المحدثين في الفرقة الإمامية في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه (هر كسيكه تتبع اخبار وتفحص تواريخ وآثار نموده بعلم يقيني ميداندكه قرآن درغايه واعلى درجه تواتر بوده وآلاف صحابه حفظ ونقل ميكردند آن راودر عهدرسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم مجموع ومؤلف بود) انتهى

(قال الإمام الهندي) فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الإمامية الاثني عشرية أن القرآن الذي انزله الله على نبيه هو ما بين الدفتين وهو ما في ايدي الناس ليس بأكثر من ذلك وانه كان مجموعاً مؤلفا في عهد رسول الله (ص) وحفظه ونقله ألوف من الصحابة — وجماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات ، ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثاني عشر رضي الله عنه (قال) والشرذمة القليلة التي قالت بوقوع التغيير فقولهم مردود عندهم ، ولااعتداد به فيما بينهم (قال) وبعض الأخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته (قال) وهو حق لأن خبر الواحد اذا اقتضى علما ولم يوجد في الأدلة القاطعة ما يدل عليه وجب رده على ما صرح به ابن المطهر الحلي في كتابه المسمى بمبادي الوصول إلى علم الأصول وقد قال الله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (قال) ففي تفسير الصراط المستقيم الذي هو تفسير معتبر عند علماء الشيعة (اي إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان انتهى .

هذا كلام الإمام الهندي عينا ، وانما اكتفينا بما نقله من كلام اعلام الشيعة الإماميــة المسطور في كتبهم المعتبرة ، لأن الاستقصاء يوجب الخروج عما اخذناه على انفسنا من اجتناب الإطناب الممل .

ومن اراد النقل عن الطوائف والأمم فليقتف اثر هــذا الإمام في الاستناد إلى الكتب المعتبرة عنــد تلك الأمــة او الطائفة ولا يعول (في النقل عنها) على المرجفين من خصمائها ، والألداء من اعدائها .

وانا أكبرُ السفر الجليل (تحت راية القرآن) واقدر قدر مؤلفه (المصطفى الصادق) وأعلم أنه بعيد الغاية ، رزين الحصاة — وكنت اربأ به وبسفره الثمين ، المؤلف لعموم المسلمين ، عن جرح عواطف الشيعة وهم ركن الدين ، وشطر المسلمين ، وفيهم الملوك والأمراء ، والعلماء والأدباء ، والكتبة والشعراء ، والساسة المفكرون ، والدهاة المدبرون ، واهل الحمية الإسلامية والنفوس العبقرية ، والشمم والكرم ، والعزائم والهمم ، وقد انبثوا في الانحاء ، وانتشروا في الارض انتشار الكواكب في السماء ، فليس من الحكمة ولا من العقل أن يستهان بهم ، وهم اهل حول وقوة ، وغنى وثروة ، واموال مبذولة في سبيل الدين ، وانفس تتمنى ان تكون فداء المسلمين

وليس من التثبت أن يعتمد (في مقام النقل عنهم) على إرجاف المرجفين ، واجحاف المجحفين ، (يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .



« فصل »
١٢

نوضح فيه سبب التباعد بين الطائفتين ، ونكشف عن مكنون السر في تنافرهما ، زيادة على ما سمعت في الفصول السابقة ، والغرض تشخيص الداء ، لنصف الناجع فيه من الدواء ، فهنا مقصدان .

(المقصد الأول)

في الأمور التي ينفر منها الشيعي ، ولا يكاد يمتزج بسببها مع السني ، وأهمها شيئان .

﴿ الأول ﴾ ما سمعته في الفصول السابقة[1] من التكفير والتحقير ، والشتم والتزوير .

﴿ الثاني ﴾ اعراض اخواننا اهل السنة عن مذهب الأئمة من اهل البيت ، وعدم الاعتناء بأقوالهم في أصول الدين وفروعه بالمرة ، وعدم الرجوع اليهم في تفسير القرآن العزيز (وهو شقيقهم) إلا دون ما يرجعون فيه الى مقاتل بن سليمان المجسم المرجئ الدجال ، وعدم الاحتجاج بحديثهم إلا دون ما يحتجون بدعاة الخوارج والمشبهة والمرجئة والقدرية ، ولو أحصيت جميع ما في كتبهم من حديث ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، ماكان إلا دون ما اخرجه البخاري وحده عن عكرمة البربري الخارجي المكذب — وانكى من هذا كله عدم احتجاج البخاري في صحيحه بأئمة اهل البيت النبوي ، إذ لم يرو شيئاً عن الصادق

(1) ولاسيما التاسع والعاشر والحادي عشر

والكاظم والرضا والجواد والهادي والزكي العسكري، وكان معاصرا له ولا روى عن الحسن[1] بن الحسن، ولا عن زيد بن علي بن الحسين، ولا عن يحيى بن زيد، ولا عن النفس الزكية محمد بن عبد الله الكامل ابن الحسن الرضا بن الحسن السبط، ولا عن أخيه إبرهيم بن عبد الله، ولا عن الحسين الفخي بن علي ابن الحسن بن الحسن، ولا عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، ولا عن أخيه إدريس بن عبد الله، ولا عن محمد ابن جعفر الصادق، ولا عن محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن المعروف بابن طباطبا، ولا عن أخيه القاسم الرسّي، ولا عن محمد بن محمد بن زيد بن علي، ولا عن محمد بن القاسم بن علي ابن عمر الأشرف ابن زين العابدين صاحب الطالقان المعاصر للبخاري[2] ولا عن غيرهم من اعلام العترة الطاهرة، واغصان الشجرة الزاهرة، كعبد الله بن الحسن وعلي بن جعفر العريضي وغيرهما من ثقل رسول الله، وبقيته في أمته صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أنه لم يرو شيئا من حديث سبطه الأكبر وريحانته من الدنيا أبي محمد الحسن المجتبى سيد شباب اهل الجنة، مع احتجاجه بداعية الخوارج واشدهم عداوة لأهل البيت (عمران بن حطان) القائل في ابن ملجم، وضربته لأمير المؤمنين عليه السلام :

يا ضربة من تقي ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا

---

(١) الحسن بن الحسن هو الامام بعد عمه الحسين السبط على رأي الشيعة الزيدية وبعده زيد ثم من ذكرناهم بعد زيد وترتيبهم في الإمامة على حسب ما رتبناهم في الذكر عليهم السلام .

(٢) قتل في العراق سنة ٢٥٠ قبل وفاة البخاري بست سنوات

أما ورب الكعبة ، وباعث النبيين ، لقد وقفت هنا وقفة المدهوش ، وقت مقام المذعور ، وما كنت احسب أن الأمر يبلغ هذه الغاية ، وقد باح العلامة ابن خلدون ، بسرها المكنون ، حيث قال (في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة بعد ذكر مذاهب اهل السنة) ما هذا لفظه : وشذّ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها ، وفقه انفردوا به ، وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة[1] بالقدح ، وعلى قولهم بعصمة الائمة ، ورفع الخلاف عن اقوالهم ، وهي كلها أصول واهية[2] (قال) وشذ بمثل ذلك الخوارج[3] ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم ، بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح ، فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم[4] ولا نروي كتبهم ، ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم ، فكتب الشيعة في بلادهم ، وحيث

(١) ما أدري كيف يمكن أن تُبنى المذاهب الفقية على تناول بعض الصحابة بالقدح ، وما عرفت كيف تُستنبط الأحكام الشرعية الفرعية من تناول أحد من الناس ، وابن خلدون يعد من الفلاسفة ، فما هذا الهذيان منه يا أولي الألباب

(٢) إن أصحابنا (الإمامية) أثبتوا في كتبهم الكلامية عصمة أئمتهم بالأدلة العقلية والنقلية ، والمقام لا يسع بيانها ، ولو تصدينا لها لخرجنا عن موضوع هذه الرسالة ، وحسبك دليلا على عصمتهم كونهم بمنزلة الكتاب ، الذي لا يأتيه الباطل ، وكونهم أمان هذه الأمة من الإختلاف ، فإذا خالفتهم قبيلة من العرب كانت حزب إبليس ، وكونهم سفينة النجاة ، وباب حطة هذه الأمة ، وكونهم النافين عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

(٣) أنظر كيف جعل اهل البيت (الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) شُذّاذا مارقة كالخوارج نعوذ بالله

(٤) كذّب ابن خلدون نفسه في هذه الكلمة فإنه إذا كان لا يعرف شيئا من مذاهبهم ، ولا يروي كتبهم ، ولا أثر لشيء منها عنده فمن أين عرف انهم شُذّاذ ضُلاّل مبتدعون ومن أين عرف أن أصولهم واهيه (قتل الخراصون) . .

كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن — والخوارج كذلك، ولكل منهم كتب وتآليف وآراء في الفقه غريبة . هذا كلامه فتأمله واعجب

ثم رجع إلى مذاهب اهل السنة فذكر انتشار مذهب ابي حنيفة في العراق، ومذهب مالك في الحجاز، ومذهب احمد في الشام وفي بغداد، ومذهب الشافعي في مصر، وهنا قال ما هذا لفظه: ثم انقرض فقه اهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة، وتداول بها فقه اهل البيت[1] وتلاشى من سواهم، إلى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب، ورجع اليهم فقه الشافعي الخ .

إذا وصف الطائيّ بالبخل مادر   وعير قساً بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس انت ضئيلة   وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارضُ السماء سفاهة   وكاثرت الشهبَ الحصى والجنادل

وقال ابن خلدون وأمثاله أنهم على الهدى والسنة وأن أهل البيت شُذّاذ مبتدعه، وضُلاّل رافضة .

فيا موت زر إن الحياة ذميمة   ويانفس جدي إن سبقك هازل

ولا غرو أن قام المسلم عند سماع هذه الكلمة وقعد، بل لا عجب إن مات أسفاً على الإسلام وأهله، إذ بلغ الأمر هذه الغاية، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أيقول ابن خلدون أن اهل البيت شُذّاذ ضُلاّل مبتدعون، وهم

(1) أنظر كيف اعترف بأن الرافضة يدينون الله بمذهب اهل البيت

لكم ذخركم ان النبي ورهطه   ذخيرتهم ذخري إذا التمس الذخر
جعلت هواي الفاطميين زلفة   إلى خالقي ما دمت او دام لي عمر
وكوفني ديني على أن منصبي   شآم ونجري آية ذكر النجر

الذين أذهب الله عنهم الرجس بنص التنزيل(١) وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم(٢) بأمر ربه الجليل، وقد فرض القرآن مودتهم(٣) واوجب الرحمن ولايتهم(٤) وهم سفينة النجاة(٥) إذا طمت لجج النفاق، وأمان الأمة(٦) إذ عصفت عواصف الشقاق،

١ إشارة إلى قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا، فراجع ماعلقناه على هذه الآية في الفصل الثاني من المطلب الأول من كلمتنا الغراء

٢ إشارة إلى قوله تعالى فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل الآية فراجع ما علقناه عليها في الفصل الأول من الكلمة الغراء ايضا

٣ إشارة إلى قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى فراجع ما علقناه عليها في الفصل الثالث من الكلمة الغراء

٤ إشارة إلى ما اخرجه الديلمي وغيره — كما في الصواعق وغيرها — من أبي سعيد الخدري أن النبي «ص» قال وقفوهم إنهم مسئولون . عن ولاية علي . وقال الإمام الواحدي — كما في تفسير هذه الآية من الصواعق ايضا — أنهم مسئولون من ولاية علي وأهل البيت

٥ قال ابن حجر في صفحة ٩٣ من صواعقه حيث تكلم في تفسير الآية ٧ من الآيات التي اوردها في الباب ١١ من الصواعق ما هذا لفظه : وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضا : إنما مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ﴿وقال﴾ وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق ﴿قال﴾ وفي رواية هلك الخ

٦ إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : النجوم أمان لأهل الارض من الغرق . واهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف ، فإذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس أخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً وصححه على شرط البخاري ومسلم كما في صفحة ٩٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر حيث تكلم في الآية ٧ من الباب ١١ = واخرج ابن ابي شيبة ومسدد في مسنديهما والترمذي في نوادر الأصول وابو يعلى والطبراني والحاكم عن سلمة بن الأكوع قال قال رسول الله (ص) النجوم أمان لأهل السماء واهل بيتي امان لأمتي = وقد نقله الحافظ السيوطي في كتابه احياء الميت بفضائل اهل البيت والنبهاني في اربعينه وغير واحد من العلماء

وباب حطة [١] يأمن من دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها ، وأحد الثقلين [٢] لا يضل من تمسك بها ، ولا يهتدي إلى الله من ضل عن احدهما وقد أمرنا صلى الله عليه وآله وسلم بأن نجعلهم منا مكان الرأس [٣]

١ إشارة إلى قول رسول الله (ص) مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق ومثل باب حطة في بني اسرائيل؛ اخرجه الحاكم عن ابي ذر عليه الرحمة، واخرج الطبراني في الصغير والأوسط عن ابي سعيد قال سمعت النبي (ص) يقول إنما مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له

٢ إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما : أخرجه الترمذي والحاكم كما في احياء الميت للسيوطي وهو من الأحاديث المستفيضة رواه اكثر المحدثين بالفاظ متقاربة ، واسانيدهم فيه صحيحة : قال ابن حجر بعد نقله إياه عن الترمذي وغيره في اثناء تفسيره للآية الرابعة من الباب ١١ من صواعقه ما هذا لفظه : ثم اعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا ﴿ قال ﴾ ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشُّبَه وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم وفي أخرى أنه قاله لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف ﴿ قال ﴾ ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة : الى آخر كلامه فراجعه في صفحة ٩٢ من الصواعق

٣ إشارة إلى ما نقله غير واحد من الأعلام كالعلامة الصبان في الصفحة ١١٠ من اسعافه المطبوع في هامش نور الأبصار حيث قال ما هذا لفظه : وروى جماعة من اهل السنن عن عدة من الصحابة أن النبي — ص — قال مثل اهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك ﴿ قال ﴾ وفي رواية غرق قال وفي رواية أخرى زج في النار ثم قال : وفي أخرى عن أبي ذر زيادة وسمعته يقول اجعلوا اهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس

من الجسد، بل مكان العينين من الرأس، ونهانا عن التقدم عليهم[١] والتقصير عنهم، ونص على أنهم القوامون على الدين، النافون عنه في كل خلف من هذه الأمة[٢] تحريف الضالين، وقد أعلن صلى الله عليه وآله وسلم، بأن معرفتهم براءة من النار[٣] وحبهم جواز على الصراط، والولاية لهم أمان من العذاب — وأن الأعمال الصالحة لا تنفع عامليها إلا بمعرفة حقهم[٤] — ولا تزول يوم القيامة قدما أحد من هذه الأمة[٥] حتى يسأل عن حبهم —

---

١ إشارة إلى قوله = ص = في حديث التمسك بالثقلين فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم اعلم منكم ونقله عن الطبراني غير واحد من العلماء كالإمام ابي بكر العلوي في الباب ٥ من رشفة الصادي وابن حجر حيث تكلم في تفسير الآية الرابعة في الباب ١١ من صواعقه

٢ إشارة إلى ما اخرجه الملا في سيرته بسنده إلى رسول = ص = قال في كل خلف من أمتي عدول من اهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الا وأن ائمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون = وقد نقله ابن حجر في صفحة ٩٢ من صواعقه

٣ اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب : رواه القاضي عياض في الفصل الذي عقده لبيان ان من توقيره وبره (ص) بر آله وذريته من كتابه (الشفاء) فراجع اول صفحة ٤١ من قسمه الثاني طبع الاستانة سنة ١٣٢٨

٤ اشارة الى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزموا مودتنا اهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا — اخرجه الطبراني في الاوسط ونقله السيوطي في احياء الميت بفضائل اهل البيت والنبهاني في اربعينه

٥ اشارة الى قول رسول الله (ص) لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن اربع : عن عمره فيما افناه، وعن جسده فيما ابلاه، وعن ماله فيما انفقه ومن اين اكتسبه، وعن محبتنا اهل البيت، اخرجه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا، ونقله السيوطي في احياء الميت والنبهاني في اربعينه

ولو أن رجلا أفنى عمره قائما وقاعدا وراكعا وساجدا بين الركن والمقام ثم مات غير موال لهم دخل النار(١) .

فهل يحسن من الأمة المسلمة بعد هذا أن تجري إلا على اسلوبهم ، وهل يتسنى لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يستن بغير سنتهم ، فكيف يعدهم ابن خلدون في اهل البدع بكل صراحة ووقاحة من غير خجل ولا وجل

أبهذا أمرته آية القربى ، وآية التطهير ، وآيتا أولي الأمر ، والاعتصام بحبل الله ، أم بهذا أمره الله سبحانه حيث يقول وكونوا مع الصادقين أم به صدع رسول الله (ص) في نصوصه المجمع على صحتها ، وقد استقصيناها بطرقها واسانيدها في كتابنا سبيل المؤمنين ، واستقصتها علماؤنا الأعلام في مؤلفاتهم فراجعها لتعلم حقيقة اهل البيت ومنزلتهم في دين الاسلام.

على أنهم لا ذنب لهم يستوجب الجفاء ، ولا قصور بهم يقتضي هذا الإعراض ، فليت اهل المذاهب الأربعة نقلوا في مقام الاختلاف مذهب اهل البيت كما ينقلون سائر المذاهب التي لا يعملون بها ، ما رأيناهم يعاملون

---

١ اشارة الى قوله (ص) من حديث اخرجه الطبراني والحاكم (كما في احياء الميت واربعين النبهاني وغيرهما) فلو ان رجلا صفن (اي صف قدميه) بين الركن والمقام فصلى وصام وهو مبغض لآل محمد دخل النار اهـ — واخرج الحاكم وابن حبان في صحيحه (كما في احياء الميت واربعين النبهاني وغيرهما) عن ابي سعيد قال قال رسول الله (ص) والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا دخل النار

وأخرج الطبراني (كما في احياء الميت للسيوطي) عن الحسن السبط أنه قال لمعاوية بن خديج اياك وبغضنا فان رسول الله قال لا يبغضنا احد ، ولا يحسدنا احد إلا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من النار اهـ = واخرج الطبراني في الاوسط كما في احياء الميت واربعين النبهاني عن جابر قال خطبنا رسول الله فسمعته وهو يقول ايها الناس من ابغضنا اهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديا اهـ

اهل البيت هذه المعاملة في عصر من الأعصار ، وإنما يعاملونهم معاملة من لم يخلقه الله عز وجل ، أو من لم يؤثر عنه شيء من العلم والحكمة .

نعم ربما تعرضوا لشيعتهم فنبزوهم بالرفض ، وسلقوهم بألسنة الافتراء كما سمعت في الفصول السابقة — وقد ولّى زمن الاعتداء ، واقبل عصر الإخاء ، وآن لجميع المسلمين أن يدخلوا مدينة العلم النبوي من بابها ، ويلجوا من باب حطة ، ويلجأوا إلى أمان اهل الارض بركوب سفينتهم ، ومقاربة شيعتهم فقد زال سوء التفاهم من البين ، واسفر الصبح عن توثق الروابط بين الطائفتين ، والحمد لله رب العالمين .

(المقصد الثاني)

في الأمور التي ينفر منها اهل السنة ، ولا يأتلفون بها مع الشيعة ، وهي أمور مكذوبة بهتنا بها المبطلون ، وقد سمعت في الفصول السابقة جلة منها ، ووقفت على مايشفي صدرك من الأجوبة عنها ، ولم يبق سوى مسألة الصحابة (رض) فإنها المسألة الوحيدة ، والمعضلة الشديدة ، وذلك أن بعض الغلاة من الفرق التي يطلق عليها لفظ الشيعة ، كالكاملية يتحاملون على الصحابة كافة رضي الله عنهم ، وينالون من جميع السلف ، فيظن الجاهل أن ذلك رأي مطلق الشيعة ، ويتوهم أنه مذهب الجميع ، فيرمي الصالح بحجر الطالح ، ويأخذ البريء بذنب المسيء ، كما هو الشأن فيمن يختلط عليه الحابل بالنابل ، ولو عرف رأي الإمامية في هذه المسألة ، ووقف على كلامهم فيها ، لعلم أنه أوسط الآراء ، إذ لم يفرّطوا تفريط الغلاة ، ولا أفرطوا إفراط الجمهور -- وكيف يجوز عليهم ما يقوله الجاهلون ، أو يكن في . . . هم مايتوهمه الغافلون ، بعد اقتدائهم في التشيع بكبراء

الصحابة ، كما يعلمه الخبير بالإستيعاب والإصابة وأسد الغابة ،
واليك (إكمالا للفائدة وإتماما للغرض) بعض ما يحضرني من أسماء الشيعة من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لتعلم أنا بهم اقتدينا ،
وبهديهم اهتدينا ، وسأفرد لهم إن وفق الله كتابا يوضح للناس تشيعهم ، ويحتوي
على تفاصيل شؤونهم ، ولعل بعض اهل النشاط من حملة العلم ، وسدنة
الحقيقة ، يسبقني إلى تأليف ذلك الكتاب ، فيكون لي الشرف إذ
خدمته بذكر اسماء بعضهم في هذا الباب ، وها هي على ترتيب حروف الهجاء

أ

ابو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واسمه أسلم ،
أو إبراهيم ، وقيل هرمز ، وقيل ثابت وقيل غير ذلك ، وله اولاد واحفاد كلهم
خصيصون بأهل البيت ، ومنقطعون اليهم ، أما اولاده فرافع ، والحسن ،
والمغيرة ، وعبيد الله (الذي افرد كتابا فيمن حضر صفين مع علي من
الصحابة ، وقد نقل عنه صاحب الإصابة وغيره)— وعلي الذي الف
كتابا في فنون الفقه على مذهب اهل البيت ، وهو أول كتاب فقهي
عُمل في الإسلام بعد صحيفة علي عليه السلام — وأما احفاد ابي رافع ،
فالحسن ، وصالح ، وعبيد الله أولاد علي بن ابي رافع ، والفضل بن عبيد
الله بن ابي رافع ، ولهم ذرية كلها صالحة ، ولنرجع إلى ما كنا فيه فنقول—
وابو المنذر ابيّ بن كعب سيد القراء[1] — وابان بن سعيد بن العاص
الأموي ، وأنس بن الحرث او ابن الحارث بن نبيه الذي سمع (كما في
ترجمته من الإصابة) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، إن ابني

١ ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف عن بيعة السقيفة مع علي عليه السلام

هذا يعني الحسين عليه السلام يقتل بأرض يقال لها كربلاء ، فمن شهد ذلك منكم فلينصره ﴿قال﴾ فخرج أنس بن حرث إلى كربلاء فقتل بها مع الحسين (عليه السلام) اه — وفي ترجمته من الاستيعاب مثله — واسيد بن ثعلبة الأنصاري البدري — وأسلم بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي ، وهو اخو نوفل — واسلم بن بجرة الساعدي — والأسود بن عبس بن اسماء التيمي — وأعين بن ضبيعة بن ناجية الدارمي التميمي — وانس بن مدرك الخثعمي الاكلبي ، وامرؤ القيس بن عابس الكندي — واويس بن عامر القرني ، وهو من أفضل التابعين ، بشَّر به رسول الله وأسلم على عهده ، ولم يره ، صلى الله عليه وآله وسلم — وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته .

وابو ليلى الغفاري لم أقف له على اسم ، وهو الذي أخرج عنه أبو احمد ، وابن منده وغيرهما (كما في ترجمته من الاصابة) أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، ستكون من بعدي فتنة ، فإذا كان ذلك ، فالزموا علي بن ابي طالب ، فإنه اول من آمن بي ، وأول من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو فاروق هذه الأمة وهو يعسوب المؤمنين ، الحديث — ورواه عنه ابن عبد البر في ترجمته من الاستيعاب ايضا — وابو فضالة الأنصاري ، لم أقف ايضا له على اسم روى صاحب الإستيعاب والإصابة في ترجمته عن ابنه فضالة ، أنه سمع عليا يقول ، إن رسول الله (ص) أخبرني أني لاأموت حتى أؤمَّر ، ثم تخضب هذه من هذه (يعني كريمته من هامته) قال فضالة فصحبه أبي فقتل فيمن قتل في صفين ، وكان بدريا رحمه الله — وابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واخوه من الرضاعة ارضعتهما حليمة السعدية

ب

وبريد الاسلمي احد الذين رثاهم امير المؤمنين عليه السلام بقوله :

جزى الله خيرا عصبة اسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم
بريد وعبد الله منهم ومنقذ وعروة وابنا مالك في الاكارم

وبريدة بن الحصيب الاسلمي — وبلال بن رباح الحبشي — والبراء ابن عازب[١] ابن الحارث الانصاري — والبراء بن مالك وهو أخو أنس ابن مالك الانصاري= وبشير وهو اخو وداعة بن ابي زيد الانصاري ، وقد شهدهو واخوه صفين ، وكانا من خيار المستبصرين واستشهد ابوهما في أحد

ت

وتمام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي عليهم الرحمة

ث

وثابت بن عبيد الانصاري — وثابت بن قيس بن الخطيم الظفري — وثعلبة بن قيظي بن صخر الانصاري .

ج

وجندب بن جنادة ، وهو ابو ذر الغفاري — وجارية بن قدامة السعدي — وجارية بن زيد — وجابر بن عبد الله الانصاري — وجبلة بن عمرو بن أوس الساعدي — وجبير بن الحباب الانصاري — وجعدة بن هبيرة المخزومي ، وأمه ام هاني شقيقة امير المؤمنين (ع) — وجعفر بن ابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي — وجهجاه بن سعيد الغفاري — وجراد

١ ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف مع علي عن بيعة السقيفة

ابن مالك بن نويرة التميمي ، المقتول يوم البطاح مع ابيه ، وقد رثاه عمه متمم —
وجراد بن طهية الوحيدي ، وهو والد شبيب بن جراد الشهيد يوم الطف
مع سيد الشهداء (ع) .

ح

وحجر بن عدي الكندي — وحذيفة بن اليمان العبسي — والحارث
ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمي — وابو الورد ابن قيس ، واسمه (فيما
ذكره ابو عمر) حرب المازني — والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد
المطلب — وابو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدهة الانصاري — والحارث
ابن زهير الازدي — والحارث بن حاطب بن عمرو الانصاري — والحارث
ابن عمرو بن حرام الخزرجي — والحارث بن النعمان بن أمية الاوسي —
وحازم بن ابي حازم الاحمسي — والحجاج بن عمرو بن غزية الانصاري —
وحسان بن خوط بن مسعر الشيباني ، وهو من بيت كلهم صفوة ، شهد
الجمل مع علي عليه السلام ، ومعه ابناه (الحارث ، وبشر) واخوه (بشر
ابن خوط) وحفيده (عنبس بن الحارث بن حسان المذكور) وابن اخيه
(وهيب بن عمرو بن خوط) وابن اخيه الآخر (الاسود بن بشر بن خوط)
وابنا ابن اخيه (وهما الحسين وحذيفة ابنا مخدوج بن بشر بن خوط) وكان
اللواء مع الحسين بن مخدوج بن بشر بن خوط ، فاستشهد ، فأخذه اخوه
حذيفة فاستشهد ، فأخذه عمهما الاسود فاستشهد ، فأخذه عنبس بن الحارث
ابن حسان المذكور فاستشهد ، فأخذه وهيب بن عمرو بن خوط فاستشهد
بخ بخ ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، يا ليتنا
كنا معهم فنفوز فوزا عظيما .

وحنظلة بن النعمان بن عامر الانصاري — وحكيم بن جبلة العبدي

صاحب المقام المشكور يوم الجمل الأصغر، وقد استشهد يومئذ، واستشهد معه ابنه الأشرف، واخوه الرعل بن جبلة في سبعين رجلا من عشيرته، وكانت تلك الوقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ قبل مجيء امير المؤمنين إلى البصرة، ثم جاء عليه السلام، فكان يوم الجمل الأكبر — وحبيب بن مظاهر بن رئاب بن الاشتر بن حجون بن فقعس الشهيد بين يدي الحسين(ع) وهو تابعي، أدرك أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته — والحكم بن المغفل بن عوف الغامدي الشهيد يوم النهروان .

خ

وخالد بن سعيد بن العاص[1] الأموي — وابو أيوب خالد بن زيد الانصاري — وخالد بن ربيعة الجدلي — وخالد بن الوليد الانصاري — وخالد بن المعمر السدوسي — وخويلد بن عمرو الانصاري — وخباب ابن الارت التميمي، ويقال الخزاعي — وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الانصاري — وخرشة بن مالك الاودي — وخليفة بن عدي البياضي .

د

وابو ليلى داود بن بلال والد عبد الرحمن الانصاري وقد اختلف العلماء في اسمه .

ر

وربيعة بن قيس العدواني — ورفاعة بن رافع بن مالك الانصاري — ورافع بن أبي رافع القبطي .

١ ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف يوم السقيفة مع علي ع

ز

وزيد بن أرقم الخزرجي – وزيد بن صوحان العبدي – وزيد بن اسلم البلوي – وزيد بن جارية او ابن حارثة الانصاري – وزيد اويزيد ابن شراحيل الانصاري – وزر بن حبيش الأسدي – وزياد بن مطرف الذي اخرج عنه مطين ، والباوردي ، وابن جرير ، وابن شاهين (كما في ترجمته من الاصابة) أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، من احب أن يحيى حياتي ، ويموت ميتتي ويدخل الجنة ، فليتولّ عليا وذريته من بعده اه – وابو زينب زهير بن الحارث بن عوف – وزيد بن وهب الجهني الحسلي .

س

وابو عبد الله سلمان الخير الفارسي – وسلمان بن ثمامة الجعفي – وسليمان بن صرد الخزاعي المتفاني في الأخذ بثار سيد الشهداء والشهيد في سبيل ذلك – وسليمان بن هاشم المر قال الزهري – وسهل ابن حنيف الانصاري – وسهيل بن عمرو الانصاري – وسلمة بن ابي سلمة ، ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم – وسويد بن غفلة الجعفي = وسماك بن خرشه والظاهر أنه غير ابي دجانة الانصاري = وسنان بن شفعلة الأوسي ، الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال حدثني جبرائيل أن الله عز وجل لما زوج فاطمة عليا ، أمر رضوان فأمر شجرة طوبى فحملت رقاقا بعدد محبي آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم اه = اخرجه عنه ابو موسى كما في ترجمة سنان من الاصابة = وسمنة ابن عريض التيماوي ، الذي دار بينه وبين معاوية كلام في المدينة فيه

ذكر علي(ع) فغض ابن عريض من معاوية ، فقال معاوية ما أراه إلا قد خرف ، فأقيموه ، فقال (كما في ترجمته من الاصابة) ما خرفت ، ولكن أنشدك الله يا معاوية ، أما تذكر لما كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء علي فاستقبله النبي(ص) فقال قاتل الله من يقاتلك ، وعادى من يعاديك (قال) فقطع معاوية حديثه ، واخذ في حديث آخر اه .
وسعيد بن الحارث بن عبد المطلب = وسعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب = وسعيد بن نمران الهمداني = وسعيد بن وهب الخيواني = وسعيد ابن سعد بن عبادة الانصاري = وأما ابوه سعد فقد ذكره صاحب الدرجات الرفيعة ، في طبقات الشيعة ، وفيه نظر = وسعد بن الحارث بن الصمة الانصاري = وسعد بن مسعود الثقفي ، وهو عم المختار — وسعد بن عمرو الانصاري — وسفيان بن هانئ بن جبير الجيشاني .

ش

وشراحيل بن مرة الهمداني ، الذي روى عنه (كما في ترجمته من الاصابة) ابن السكن ، وابن شاهين ، وابن قانع ، والطبراني ، أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي ، ابشر يا علي ، حياتك وموتك معي — وشريح بن هاني بن يزيد الحارثي وهو غير القاضي — وشيبان بن محرث .

ص

وصعصعة = وصيحان ابنا صوحان = وصالح الانصاري السالمي = وصبيح مولى أم سلمة = وصيفي بن ربعي الاوسي .

ض

والضحاك وهو الاحنف بن قيس التميمي ، الذي يضرب المثل بحلمه أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجتمع به ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ط

وطاهر بن ابي هالة التميمي . وطريف بن أبان الانماري

ظ

وأبو الأسود ، ظالم بن عمرو الدؤلي ، ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته ، وهو مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام

ع

وابو اليقظان ، عمار بن ياسر . وعمار بن ابي سلمة الدالاني المستشهد (كما في ترجمته من الاصابة) بين يدي الحسين عليه السلام يوم الطف . والعباس بن عبد المطلب . وعقيل بن ابي طالب . وعمارة بن حمزة بن عبد المطلب . وعون بن جعفر بن ابي طالب . وعتبة بن ابي لهب . وعبدالله بن عباس . وعبد الله بن جعفر . وعبد الله بن حنين بن أسد بن هاشم . وعبدالله ابن الزبير بن عبد المطلب . وعبد الله بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب . وعبد الله بن ابي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . وعبد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب . وعبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبد المطلب . وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب . وعبيد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب . وعبد الله بن يقطر ،

وفي الإصابة إبن يقظة ، وهو رضيع الحسين عليه السلام ، وقداستشهد في سبيل نصرته . وعبد الله بن ذباب المذحجي . وعبد الله بن سلمة الكندي . وعبدالله بن الطفيل العامري . وعبدالله بن بديل الخزاعي . وعبد الله بن مسعود الهذلي . وعبد الله بن خباب بن الارت التميمي . وعبد الله بن عبد المدان الحارثي . وعبد الله بن كعب الحارثي . وعبد الله بن حوالة الازدي المذكور في الجزء الأول من أمل الآمل . وعبد الله بن سهل بن حنيف . وعبد الله بن ورقاء السلولي . وعبيد الله بن سهيل الانصاري النبيتي . وعبيد الله بن ابي رافع . وعبيد بن التيهان ، ويسمى عتيكا الانصاري . وعبيد بن عازب . وعبيدة بن عمرو السلماني . وعمارة بن شهاب الثوري . وعمرو بن ابي سلمة ، ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وعمرو بن الحمق الخزاعي . وعمرو بن أنس الانصاري . وعمرو بن شراحيل . وعمرو بن عميس بن مسعود . وعمرو بن فروة بن عوف الانصاري . وعمرو بن محصن . وعمرو بن هبيرة المخزومي . وعمرو بن سلمة المرادي ، ذكر ابن حجر في ترجمته من الإصابة ، أنه قتل مع حجر ، وفيه نظر لا يخفى على اهل العلم . وعمرو بن عريب الهمداني . وعمرو بن مرة النهدي .

وعبد الرحمن بن عباس بن عبد المطلب . وعبد الرحمن بن بديل الخزاعي . وعبد الرحمن بن ابزي الخزاعي . وعبد الرحمن بن حسل الجمحي . وعبد الرحمن بن خراش الانصاري . وعبد الرحمن بن السائب المخزومي . وعبد الرحمن بن عبد رب الانصاري ، ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاة ، فيمن سمع النص يوم الغدير ، وشهد به في الرحبة لأمير المؤمنين ، كما في الاصابة وغيرها . وعدي بن حاتم الطائي .

وعثمان بن حنيف الانصاري . وعروة بن غران بن الفضفاض بن عمرو ابن قعاس بن عبد يغوث المرادي ثم الطيفي وهو ابوهاني بن عروة الشهيد في سبيل سيد الشهداء دفاعاً عن مسلم بن عقيل . وعروة بن زيد الخيل. وعروة بن شفاف بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام الطائي الذي شهد قتال الخوارج مع امير المؤمنين فقال له لا يفلت منهم عشرة ولا يقتلون مناعشرة فكان الأمر كذلك وكان عروة هذا فيمن قتل يومئذ رحمه الله تعالى وعروة بن مالك السلمي احد الذين رثاهم امير المؤمنين عليه السلام بقوله

بريد وعبد الله منهم ومالك وعروة ابنا مالك في الاكارم

وعطية الذي ذكره الاسماعيلي في الصحابة . وعتبة بن الدغل الثعلبي . وعلباء بن الهيثم بن جرير . وعوف وهو مسطح بن اثاثه المطلبي. وعنترة السلمي الذكواني . والعلاء بن عمرو الانصاري . وعقبة بن عمرو ابن ثعلبة الانصاري . وابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني . وعبادة ابن الصامت بن قيس الانصاري . وعلي بن ابي رافع القبطي .

ف

والفضل بن العباس بن عبد المطلب . وفروة بن عمرو بن ودقة الانصاري والفاكه بن سعد بن جبير الانصاري .

ق

وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري . وقيس بن المكشوح البجلي . وقيس بن خرشة القيسي . وقيس بن ابي قيس . وقثم بن العباس بن عبد المطلب . وقرضة بن كعب الانصاري .

ك

وكعب بن عمرو بن عباد الانصاري المعروف بابي اليسر

م

والمقداد بن عمرو الكندي . والمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب . ومالك ومتمم ابنا نويرة . ومالك بن التيهان . ومهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي . رضع حب الوصي من ابن أمه وكانت من الشيعة وهي بنت أنس بن مدرك بن كعب الذي ذكرناه سابقا في حرف الألف، ومخنف بن سليم وهو جد أبي مخنف الغامدي . ومحمد بن ابي بكر ابن ابي قحافة التيمي . والمسور بن شداد بن عمير القرشي . ومرداس ابن مالك الأسلمي . والمسيب بن نجية بن ربيعة الفزاري الشهيد في طلب ثار سيد الشهداء مع سليمان بن صرد الخزاعي .

ن

ونعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي . ونضلة بن عبيد الاسلمي

ه

وهاشم المرقال ابن عتبة بن ابي وقاص الزهري . وهالة بن ابي هالة. وابنه هند التميميان . وهانئ بن عروة بن الفضفاض بن عمران بن عمرو بن حفص ابن عبد يغوث المرادي، الشهيد في سبيل الدفاع عن مسلم بن عقيل ذكره في القسم الثالث من الإصابة . وهاني ابن نيار حليف الانصار .

و

والوليد بن جابر بن ظالم الطائي . ووداعة بن ابي زيد الأنصاري .

وابو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي .

ي

ويعلى بن حمزة بن عبد المطلب الهاشمي . ويعلى ابن عمير النهدي . ويزيد بن طعمة الانصاري . ويزيد بن نويرة الانصاري . ويزيد بن حوثرة الأنصاري . وآخرون يعرفهم المتتبعون .

على أنا نتولى من الصحابة كل من سبق (في عدم تشيعه) بشبهة اضطرته الى الحياد اوالى مسايرة اهل السلطة بقصد الاحتياط على الدين وهم كثيرون جدا فكيف تُرمى الشيعة بعد هذا ببغض الصحابة كافة (سبحانك هذا بهتان عظيم)

نعم هنالك جماعة نافقوا في صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وظهر نفاقهم بما احدثوه بعده من الأحداث العظيمة، وبما نصبوه لعلي، ولسائر اهل البيت من العداوة والبغضاء، حتى كان ماكان (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم) وقد تواترت الأخبار، عن أئمتنا الأبرار بردتهم، — وحسبك في إثبات ذلك ما اخرجه البخاري في باب الحوض وهو في آخر كتاب الرقاق من الجزء الرابع من صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله (ص) بينا انا قائم (يعني يوم القيامة على الحوض) فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال هلم، فقلت أين، قال إلى النار والله، قلت وما شأنهم، قال إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال هلم، قلت أين، قال إلى النار والله، قلت ماشأنهم، قال إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم اه .

واخرج البخاري في باب الحوض عن ابي هريرة ايضا أنه كان يحدث

أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال يرد عليّ يوم القيامة رهط من اصحابي فيحلأون عن الحوض ، فأقول يارب اصحابي ، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، إنهم ارتدوا على اعقابهم القهقرى اه.

واخرج في الباب المذكور ايضا عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال ليردنّ عليّ ناسٌ من اصحابيَ الحوضَ حتى عرفتهم ، اختلجوا دوني ، فأقول اصحابي ، فيقول لا تدري ما احدثوا بعدك اه .

واخرج في الباب المذكور ايضا عن سهل بن سعد قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إني فرطكم على الحوض ، من مرّ عليّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ ابدا ، وليردنّ عليّ اقوامٌ أعرفهم ويعرفونّي ، ثم يحال بيني وبينهم ، (قال البخاري) قال ابو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل ، فقلت نعم ، فقال أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها : فأقول إنهم مني ، فيقال إنك لا تدري ما احدثوا بعدك ، فأقول سحقا سحقا لمن غيّر بعدي اه .

واخرج في آخر الباب المذكور عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إني على الحوض ، حتى أنظر من يرد عليّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني ، فأقول يارب مني ومن أمتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا يرجعون على اعقابهم (قال البخاري) فكان ابن ابي مليكة يقول اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على اعقابنا ونفتن عن ديننا اه .

واخرج ايضا في باب غزوة الحديبية من الجزء الثالث من صحيحه عن العلاء بن المسيب عن أبيه ، قال لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما ، فقلت طوبى لك صحبت النبي وبايعته تحت الشجرة ، فقال يا ابن أخي

إنك لا تدري ما أحدثنا بعده اه .

واخرج ايضا في اول باب قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا من كتاب بدء الخلق من الجزء الثاني من صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إنكم تحشرون حفاة عراة غُرْلاً[1] ثم قرأ (كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين) واول من يكسى يوم القيامة ابراهيم ، وان اناساً من اصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول أصحابي أصحابي ، فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم) إلى قوله الحكيم .

ومن وقف على ما اخرجه الإمام احمد من حديث ابي الطفيل في آخر الجزء الخامس من مسنده ، يعلم أن فيهم قوماً دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناقته (وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن اغناهم الله ورسوله من فضله) ومن تلا سورة التوبة يعلم بأنهم ابتغوا الفتنة من قبل ، وقلبوا الأمور لرسول الله (ص) حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول

١ قال في لسان العرب وفي الحديث يحشر الناس عراة حفاة غُرلاً بهما أي قلفا والغرل جمع الأغرل (وهو الذي لم يختن)

تمت التعليقة بقلم مؤلفها الأقل الأحقر عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي والحمد لله في البدء وفي الختام ، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وآله الكرام .

الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنــه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) (ولئن سألتهم ليقولُنّ إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصَّدّقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) (الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلاجهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم) (ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك اموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) إلى آخر السورة الدالة على فشوّ النفاق فيهم ، فما أدري كيف صار كل من كانت له صحبة ثقة عدلا بمجرد أن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) الذين شكروا نعمة الرسالة فلم ينقلبوا ، ولم يحدثوا بعد الرسول (ص) حدثا ،

ولم يغيروا ولم يبدلوا واستقاموا على ما أمرهم الله تعالى به ورسوله (وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) وهم في غنى عن مدحة المادحين، وتقريظ الواصفين بما لهم من تأييد الدين، ونشر دعوة الحق المبين، فمودتهم واجبة، والدعاء لهم فريضة (ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم) .

تمت والحمد لله بقلم مؤلفها أقل خدمة الدين الإسلامي واحقر سدنة المذهب الإمامي عبد الحسين ابن الشريف يوسف ابن الشريف جواد ابن الشريف اسمعيل ابن الشريف محمد ابن الشريف محمد ابن الشريف ابراهيم ويلقب بشرف الدين ابن الشريف زين العابدين ابن الشريف علي ابن علي بن الحسين المعروف بابن ابي الحسن الموسوي العاملي عامله الله بألطافه الخفية .

وكان تأليفها في مدينة صور من جبل عامل سنة ١٣٢٧ وقد أضفنا اليها في هذه الطبعة فصلين كاملين وهما الفصل ٧ والفصل ١١ لم يكونا في الطبعة الأولى وزدنا في غضون بقية الفصول مطالب جمة وفوائد مهمة ولاسيما في فصل المتأولين وهو الفصل ٨ والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على خيرته من عباده محمد وآله والميامين من رجاله وسلم تسليما كثيرا



في

تفضيل الزهراء

عليها السلام

لمؤلفه

السيد عبد الحسين شرف الدين
الموسوي العاملي

—(الطبعة الأولى)—

طبعت بنفقة ابن عمي وولدي السيد علي والسيد محمد جواد

طبعت في مطبعة العرفان بصيدا في شعبان سنة ١٣٤٧ ه

ا

فهرس الكلمة الغراء
في تفضيل فاطمة الزهراء (ع)

وهي عبارة عن مطلبين — المطلب الأول في دلالة الكتاب —
وقد ذكرنا منه اربع آيات في اربعة فصول

صفحة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليماً كثيرا . وبعد

فهذه هي (الكلمة الغراء) في تفضيل فاطمة الزهراء ، عليها السلام ، ألقيتها (١) جواباً لمن سألني فقال :

هل للإمامية دليل يعتبره خصومهم في تفضيل فاطمة الزهراء على سائر نساء هذه الأمة وما ذلك الدليل والحجة ارجو التفصيل :

فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . وتلك السنة لا شبهة فيها لأحد من المسلمين وناهيك بهما قولا فصلا . لا يجحده جاحد . وحكماً عدلا . لا يكابره معاند ، فهنا مطلبان :

(المطلب الاول)

في دلالة الكتاب . وحسبك من محكماته البينات . آية المباهلة . وآية التطهير . وآية المودة في القربى . وآيات الأبرار . ادلة قاطعة . تظل اعناق الورى لها خاضعه . فهنا فصول اربعة:

(الفصل الاول)

في آية المباهلة . وهي قوله عز من قائل (في سورة آل عمران) (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

---

(١) بسم الله وعلقت عليها تعليقة تكشف عن دقائق اغراضها ، ولطيف إشارتها ، وجعلتها تحت الخط في أسفل صفحاتها فلا تفوتن الباحثين مطالعتها .

عبد الحسين
شرف الدين
الموسوي

اجمع اهل القبلة حتى الخوارج منهم ، على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يدع للمباهلة من النساء . سوى بضعته الزهراء . ومن الأبناء سوى سبطيه وريحانتيه من الدنيا . ومن الأنفس الا اخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى . فهؤلاء اصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها . لم يشاركهم فيها احد من العالمين . كما هو بديهي لكل من ألمّ بتاريخ المسلمين . وبهم خاصة نزلت[1] لا بسواهم . فباهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم خصومه من اهل نجران ، فبهلهم — وامهات المؤمنين رضي الله عنهن . كن حينئذ في حجراته صلى الله عليه وآله وسلم . فلم يدع واحدة منهن وهن بمرأى منهُ ومسمع . ولم يدع صفية وهي شقيقة ابيه . وبقية اهاليه . ولاام هانيء ذات الشأن والمكانة . وهي كريمة عمه . الفارج لهمه . ذي الأيادي . التي هي من المسلمين طوق الهوادي . ولا دعا غيرها من عقائل الشرف والمجد . وخفرات عمرو العلى وشيبة الحمد . ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والأنصار — كما انه لم يدع مع سيدي شباب اهل الجنة احداً من ابناء الهاشميين . على أنهم كانوا (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) ولا دعا احداً من ابناء الصحابة على كثرتهم . ووفور فضلهم — وكذلك لم يدع من الأنفس مع علي عمه وصنو ابيه العباس بن عبد المطلب . وهو شيخ الهاشميين . واجود القرشيين . واعظم الناس[2] عند رسول الله (ص) . بل لم يدع احداً من كافة عشيرته الأقربين . ولا واحداً من السابقين الأولين . رضي الله تعالى عنهم اجمعين . وكانوا بمرأى من المباهلة ومسمع ، ومنتدىً من اهلها ومجمع ، فلم ينتدب واحداً منهم مع من انتدبهم اليها بل لم ينتدب احداً من سائر اهل الأرض ، بالطول والعرض ، وانما خرج (ص) (كما نص

(١) فيما علمه المسلمون واخرجه المحدثون عن اعلام الصحابة رضي الله عنهم وقد رواه الإمام الواحدي في كتابه اسباب النزول بسنده عن جابر بن عبد الله — وكان الشعبي يفسر الآية فيقول ابناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وانفسنا علي بن ابي طالب رضي الله عنهم كذا في صفحة ٧٥ من اسباب النزول للواحدي حيث ذكر فيه آية المباهلة واخرج الدارقطني (كما في الآية التاسعة من الآيات التي اوردها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه) أن علياً يوم الشورى احتج على اهلها فقال لهم ، أنشدكم بالله هل فيكم احد جعله الله نفس النبي وابناءه ابناءه ونساءه نساءه غيري قالوا اللهم لا الحديث .

(٢) فيما اخرجه البغوي في ترجمة أبي سفيان بن الحارث عن ابيه كما في ترجمة العباس من الإصابة

عليه الرازي في تفسيره الكبير) وعليه مرط من شعر اسود ، وقد احتضن الحسين ، واخذ بيد الحسن ، وفاطمة تمشي خلفه ، وعلي خلفها ، وهو يقول ، اذا انا دعوت فأمّنوا ، فقال اسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله ان يزيل جبلا لأزاله بها فلا تباهلوهم فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامه[1]

بخ بخ ان من وقف على هذه الوهلة العظيمة . والروعة الشديدة . التي رهقت اعلام نجران . وممثلي دينها ودنياها[2] . بمجرد ان برز أصحاب الكساء لمباهلتهم . يعلم ان لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم . جلالة ربانية تغشى الابصار . ومهابة روحانية

(١) وهذا الحديث ذكره المفسرون والمحدثون، واهل السير والاخبار وكل من ارخ حوادث السنة العاشرة للهجرة وهي سنة المباهلة قال الرازي بعد ايراده في تفسيره الكبير ، واعلم ان هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث — قلت بل هي كالضروريات لديهم فلا يجهلها منهم احد . وقد تصدى سيدنا الشريف القدس ابن طاوس لتفصيل المباهلة ومقدماتها وما كان قبلها في نجران من المؤامرات والمناظرات في جلساتهم المتعددة المنعقدة لذلك حين دعاهم سيد الانبياء والمرسلين الى الله تعالى ، وأرسل اليهم في ذلك رسله . فليراجع كتاب الإقبال من اراد الوقوف على تفصيل تلك الاحوال ، ليرى اعلام النبوة ، وآيات الإسلام ، وبشائر النبيين بسيدهم محمد (ص) وبعترته الطيبين الطاهرين ، وبذريته المباركة من بضعته سيدة نساء العالمين . وكنت اردت ان اخرج هذه القضية من كتاب الإقبال ، وانشرها كرسالة على حده ، تعميما لفوائدها وتسهيلا لطالبها . ولعل بعض اهل الهمم العالية ممن حبسوا نفوسهم على نشر الحق ، يسبقني الى ذلك فاكون قد فزت بتنبيهه الى هذه المهمة ان شاء الله تعالى

(٢) اذ وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليهم ثياب الحبرات جباباً واردية ، يقول بعض من رآهم من اصحاب رسول الله «ص»، ما رأينا وفداً مثلهم ، و كان فيهم اربعة عشر رجلا هم زعماء القوم ، وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول الأمر في نجران، وهم السيد واسمه الأيهم وهو إمامهم وصاحب رحلهم — والعاقب وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح — وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم ، وامامهم ، وصاحب مدارسهم وكنائسهم ، وكان قد شرُف فيهم، ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، و كانت ملوك الروم قد شرّفوه وموّلوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده ، نقل ذلك ثقة الإمام الواحدي في كتابه اسباب النزول وغير واحد من المفسرين واهل الاخبار

يخفض لها جناح الذل والصغار · الا ترى اولئك الابطال (وهم ستون فارسا من اسود الشرى وليوث الوغى)

كيف ارتعدت فرائصهم قلقا · وانخلعت قلوبهم فرقا · ونادى عظيمهم بما سمعت ، هلوعا جزوعا — وهذا ليس إلا للجلالة الربانية · والعظمة الروحانية · التي ادركها خصمهم من اول نظرة الى وجوههم المباركة · فكأن الجلالة والعظمة · والمهابة والأبهة · وقرب المنزلة من الله والكرامة عليه مكتوبة بنوره تعالى ، في اسارير جبهاتهم الميمونة · ومعنونة في صفحات وجناتهم الكريمة · وإني لأعجب والله من المسلم لا يقدر هذا المقام قدره

وانت تعلم ان مباهلته صلى الله عليه وآله وسلم بهم · والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرده فضل عظيم — وانتخابه اياهم لهذه المهمة العظيمة · واختصاصهم بهذا الشأن الكبير وايثارهم فيه على من سواهم من اهل السوابق · فضل على فضل لم يسبقهم اليه سابق · ولن يلحقهم فيه لاحق — ونزول القرآن العزيز آمرا بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث · يزيد فضل المباهلة ظهورا · ويضيف الى شرف اختصاصهم بها شرفا والى نوره نورا

وهنالك نكتة يعرف كنهها علماء البلاغه · ويقدر قدرها الراسخون في العلم · العارفون بأسرار القرآن · وهي ان الآية الكريمة ظاهرة في عموم الابناء والنساء والانفس كما يشهد به علماء البيان · ولا يجهله احد ممن عرف ان الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق · وانما اطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص · تبيانا لكونهم ممثلي الإسلام · واعلانا لكونهم اكمل الأنام واذانا بكونهم صفوة العالم · وبرهانا على انهم خيرة الخيرة من بني آدم · وتنبيها الى ان فيهم من الروحانيه الإسلامية · والإخلاص لله في العبودية · ما ليس في جميع البرية · وأن دعوتهم الى المباهلة بحكم دعوة الجميع · وحضورهم خاصة فيها منزل منزلة حضور الأمة عامه وتأمينهم على دعائه مغن عن تأمين من عداهم · وبهذا جاز التجوز بإطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص — ومن غاص على اسرار الكتاب الحكيم · وتدبره ووقف على اغراضه يعلم ان اطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص انما هو على حد قول القائل

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشافه وفيه دليل لاشيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام ا هـ

بقيت نكتة يجب التنبه لها . وحاصلها ان اختصاص الزهراء من النساء . والمرتضى من الانفس . مع عدم الاكتفاء باحد السبطين من الابناء . دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام لأن عليا وفاطمة لما لم يكن لهما نظير في الأنفس والنساء كان وجودهما مغنيا عن وجود من سواهما ، بخلاف كل من السبطين ، فإن وجود احدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئهما . ولذا دعاهما (ص) جميعا . ولو دعا احدهما دون صنوه . كان ترجيحا بلا مرجح . وهذا ينافي الحكمة والعدل — نعم لو كان ثمة في الابناء من يساويهما لدعاه معهما ، كما انه لو كان لعلي نظير من الانفس . اولفاطمة من النساء لما حاباهما . عملا بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة

بقي مما دلت عليه الآيةمن خصائص علي عليه السلام فضل تضمحل دونه الخصائص وتفنى في جنبه الفضائل والمناقب . الا وهو كونه نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وجاريا بنص الآية مجراه . الفضل الذي تعنو له الجباه بخوعا . وتطامن لديه المفارق خشوعا . ويملأ الصدور هيبة واجلالا . وتصاغر دونه الهمم يأسا من بلوغ مداه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وانت هداك الله اذا عرفت ان الله تبارك وتعالى قد انزل نفس علي منزلة نفس النبي . واجراها في محكم الذكر مجراها . لا ترتاب حينئذ في أنه افضل الامةواولاها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيا وميتا . وقد صرح اولياءاهل البيت. واعترف اعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل ، الخالد في القرآن ذكره ، والطيب في بينات الفرقان نشره ، حتى ان الرازي مع غرامه بنقض المحكمات ، وهيامه في التشكيك والشبهات ، لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار . من تفضيله عليه السلام . وانما ناقش المحمود ابن الحسن حيث صرح بدلالتها على تفضيله على من كان قبل محمدمن الأنبياء عليه وعليهم السلام واليك عبارة الرازي بعين لفظه قال:[1] كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الإثني عشرية . وكان يزعم ان عليا (رض) افضل من جميع الانبياء سوى محمد (ص) واستدل على ذلك بقوله تعالى وانفسنا وانفسكم اذليس المراد بقوله وانفسنا نفس محمد صلى الله عليه وسلم . لأن الانسان لا يدعو نفسه بل المراد غيره . واجمعوا على ان ذلك الغير كان

(١) في تفسير آية المباهلة فراجع صفحة ٤٨٨ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) والرازي هذا هو الخطيب محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي

علي بن ابي طالب «رض» فدلت الآية على ان نفس علي هي نفس محمد [١] ولا يمكن ان يكون المراد ان هذه النفس هي عين تلك فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه ، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة وفي حق الفضل لقيام الدلائل على ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان نبيا وما كان علي كذلك ولانعقاد الإجماع على ان محمدا عليه السلام كان افضل من علي (رض) فبقي فيما وراءه معمولا به ثم الإجماع دل على ان محمدا عليه السلام كان افضل من سائر الانبياء عليهم السلام فيلزم ان يكون علي افضل من سائر الأنبياء فهذا وجه الاستدلال بظواهر هذه الآية، ثم قال ويؤيد الإستدلال بهذه الآية الحديث المقبول عند الموافق والمخالف [٢] وهو قوله عليه السلام من اراد ان يرى آدم في علمه ، ونوحا في طاعته ، وابراهيم في خلته ، وموسى في هيبته ، وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب «رض» فالحديث دل على انه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم وذلك يدل على ان عليا «رض» افضل من جميع الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم قال واما سائر الشيعة فقد كانوا قديماً وحديثا يستدلون بهذه الآية على أن عليا (رض) افضل من سائر الصحابة لأن الآية لما دلت على ان نفس علي «رض» مثل نفس محمد عليه السلام الا فيما خصه الدليل وكان نفس محمد صلى الله عليه وسلم افضل من الصحابة رضوان الله عليهم فوجب ان يكون نفس علي افضل من سائر الصحابة ، هذا تقرير كلام الشيعة ، والجواب انه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على أن محمدا عليه السلام أفضل من علي فكذلك انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا

---

(١) كما قيل في مديحه عليه السلام

وهو في آية التباهل نفس الـ مصطفى ليس غيره اياها

ولعلك اذا ضممت قوله (وانفسنا) الى قوله تعالى (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) وامعنت النظر في الآيتين ينجلي لك من الاسرار ما كان خفيا (٢) تلقى الرازي هذا الحديث الشريف بكل قبول وارسل كونه مقبولا عند الموافق والمخالف ارسال المسلمات ولم يناقش فيه بشيء كما ترى مع ما كان مطبوعا عليه من التشكيك في الواضحات والقاء الشبه فيما لا شبهة فيه · وذلك يدلك على مبلغ هذا الحديث من الاعتبار · ومن تأمله وتأمل غيره من خصائص علي يعلم انه قد بلغ من الفضل كل غاية لا ترام وادرك من السبق كل شأو لا يدرك فمن يجاريه في حلبة او يجاذبه حبل الفخر

من يباريهمُ وفي الشمس معنى مجهد متعب لمن باراها

الانسان (المحمود بن حسن الحمصي) على ان النبي افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا ما كان نبيا فلزم القطع بان ظاهر الآية كما انه مخصوص في حق محمد صلى الله عليه وسلم فكذلك مخصوص في حق سائر الانبياء عليهم السلام

هذا كلام الرازي بلفظه وانما نقلناه على طوله لما فيه من الفوائد وقد كفانا موئنة بيان الوجه في دلالة الآية على تفضيل علي على سائر الصحابه ، فارجع البصر ، وأمعن النظر تجده قد اوضح دلالة الآية على ذلك غاية الإيضاح ، ونادى (من حيث لا يقصد) حي على الفلاح لم يعارض الشبهة فيما نقله عن قديمهم وحديثهم ولا ناقشهم فيه بكلمة واحدة فكأنه اذعن لقولهم واعترف بدلالة الآية على رأيهم وانما ناقش المحمود بن الحسن كما لا يخفى — على ان الإجماع الذي صال به الرازي على المحمود لا يعرفه المحمود ومن يرى رأيه فافهم

(الفصل الثاني)

في آية التطهير وهي قوله جل وعلا في سورة الأحزاب (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) لاريب في ان اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في هذه الآية . انما هم الخمسة (اصحاب الكساء) وكفاك هذا برهاناً على انهم افضل من اقلته الأرض يومئذ ومن اظلته السماء . الا وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصنوه الجاري بنص الذكر مجرى نفسه ، وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها ، وريحانتاه من الدنيا سبطاه الشهيدان سيدا شباب اهل الجنة ، فهؤلاء هم اصحاب هذه الآية البينة[١] بحكم الأدلة القاطعة ، والحجج الساطعة ، لم يشاركهم فيها احد من بني آدم ، ولا زاحمهم تحت كسائها واحد من هذا العالم ، وقد اورد الإمام جلال الدين السيوطي[٢] في تفسير هذه الآية من كتابه (الدر المنثور) عشرين رواية من طرق مختلفة في ان المراد من اهل البيت هنا انما هم الخمسة لاغير ، وذكر ابن جرير في تفسيره[٣] خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر

(١) صرح بذلك ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم فيما ذكره الإمام البغوي وابن الخازن وكثير من المفسرين كما في المقصد الأول من الشرف المؤبد لآل محمد ومؤلفه يوسف بن اسماعيل المعاصر النبهاني — ومن اراد تفصيل القول بنزول هذه الآية في الخمسة بالخصوص فعليه برشفة الصادي للإمام ابي بكر بن شهاب الدين العلوي رضي الله عنه :

(٢) كما في المقصد الأول من الشرف المؤبد (٣) كما في الشرف المؤبد ايضاً

الآية عليهم بالخصوص — وحسبك في ذلك قول رسول الله[1] (ص) ، انزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة[2] وقد أجمعت كلمة اهل القبلة من اهل المذاهب الإسلامية كلها على انه (ص) لما نزل الوحي بها عليه ، ضمّ سبطيه واباهما وامهما اليه ثم غشاهم ونفسهُ بذلك الكساء ، تميزاً لهم عن سائر الأبناء والأنفس والنساء ، فلما انفردوا تحته عن كافة اسرته ، واحتجبوا به عن بقية امته ، بلغهم الآية وهم على تلك الحال حرصا على أن لا يطمع بمشاركتهم فيها احد من الصحابة والآل . فقال (مخاطباً لهم وهم معه في معزل عن كافة الناس) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فأزاح (ص) بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب ، وهتك سدف الشبهات ، فبرح الخفاء بحكمته البالغة ، وسطعت اشعة الظهور ببلاغه المبين ، والحمد لله رب العالمين ، ومع ذلك لم يقتصر(ص) على هذا المقدار ، من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام ، حتى اخرج يده من تحت الكساء ، فألوى بها الى السماء . فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا يكرر ذلك وام سلمة تسمع وترى (اذ كان نزول الآية وقضية الكساء في بيتها) فقالت وأنا معكم يا رسول الله ورفعت الكساء لتدخل فجذبهُ[3] من يدها

---

(١) فيما اخرجه ابن جرير والطبراني بأسانيدهم اليه «ص» وقد ذكره ابن حجر في تفسير الآية من صواعقه والنبهاني في صفحة ٧ من الشرف المؤبد (٢) واخرج الإمام احمد بن حنبل كما في تفسير الآية من الصواعق عن ابي سعيد الخدري انها نزلت في خمسة — النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين واخرجه عن ابي سعيد ايضا الإمام الواحدي عند بلوغه الآية من كتابه «اسباب النزول» والامام الثعلبي في تفسيره الكبير ، وكثيرون من المحدثين والمفسرين .

(٣) اخرج الإمام احمد بن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده عن ام سلمة قالت ان رسول الله «ص» قال لفاطمة إئتني بزوجك وابنيك فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد انك حميد مجيد قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال إنك على خير اه وهذا الحديث رواه بالاسناد الى أم سلمة ايضاً ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره وغير واحد من المفسرين والمحدثين — واخرج الامام احمد من حديث ام سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده ان رسول الله «ص» كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها حريره فقال لها ادعي زوجك وابنيك قالت فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له ، على دكان ، تحته كساء خيبري قالت —

وقال إنك على خير • وفي ذلك كله صحاح متواترة • من طريق العترة الطاهرة — فيا اهل البصائر برسول الله (ص) العارفون نبلغهِ من الحكمة والعصمة • المقدرون قدر افعاله واقواله • هل تجدون وجهاً لحصرهم تحت الكساء ، عند تبليغهم الآية عن الله تعالى ، الا المبالغة البالغة في توضيح ما قلناه من اختصاصها بهم ، وامتيازهم بها عن العالمين ، وهل تفهمون من قوله

— وانا اصلي في الحجرة فانزل الله عزوجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي البيت فقلت وانا معكم يارسول الله قال إنك الى خير إنك الى خير اه • وهذا الحديث اخرجه الامام الواحدي في تفسير الآية من كتابه اسباب النزول فراجع منه صفحة ٢٦٧ واخرجه ابن جرير في تفسير الآية من تفسيره الكبير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والطبراني وغيرهم • واخرج الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عديدة عن ام سلمة قالت في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين فجللهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اه •
واخرج مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن عامر بن سعد بن ابي وقاص قال امر معاوية ابن ابي سفيان سعدا فقال مامنعك ان تسب ابا تراب فقال أمّا ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله «ص» فلن اسبه لأن تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم سمعت رسول الله «ص» يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يارسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله «ص» اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبوة بعدي ، وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليا فأتي به ارمد فبصق في عينه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم دعا رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء اهلي اه واخرج مسلم أيضا في باب فضائل اهل البيت من صحيحه وهو في صفحة ٣٣١ من جزئه الثاني عن عائشة قالت خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اه وهذا الحديث اخرجه احمد من حديث عائشة في مسنده واخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة • ومن اراد المزيد فعليه برشفة الصادي للإمام ابي بكر بن شهاب الدين العلوي — على ان في هذا المقدار كفاية لأولي الأبصار

اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، الا الحصر بهم ، والقصر عليهم وهل ترون وجها لجذب الكساء من يد أم سلمة ومنعها من الدخول معهم (على جلالة قدرها ، وعظم شأنها)، إلا الذي ذكرناه ، فأين تذهبون ، وانى تؤفكون (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون) ليكون بحجبه إياهم في كسائه عابثاً ، او يكون بقوله (ص) اللهم هؤلاء اهل بيتي هاذياً ، اويكون بجذبه الكساء من يد ام سلمة مجازفا ، حاشا لله (ان هو إلا وحي يوحى علمهُ شديد القوى) وقد تكررت منهُ (ص) قضية الكساء ، حتى احتمل بعض العلماء ، تكرار نزول الآية ايضا ، والصواب عندنا نزولها مرة واحدة ، لكن حكمة الصادق الأمين ، في نصحه ببلاغه المبين ، اقتضت تكرير تلك القضية ، مرة في بيت امسلمة عند نزول الآية[1] وتبليغها لأهلها المخاطبين فيها وأخرى في بيت فاطمة[2] ، وفي كل مرة يتلو عليهم الآية مخاطبا لهم بها ، وهم في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء درءاً للشبهة في نحور اهل الزيغ ، وقد بلغ (بأبي هو وامي) في توضيح اختصاص الآية بهم كل مبلغ ، وسلك في اعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب ، ولا يبقى بعدها اثر لهذيان النواصب ، حتى كان بعد نزول الآية كلما خرج الى الفجر يمر ببيت فاطمة

---

(١) كما تدل عليه الأحاديث التي سمعتها عن ام سلمة (٢) ويدل عليه ما اخرجه الإمام احمد في صفحة ١٠٧ من الجزء الرابع من مسنده عن واثلة ابن الاسقع انه قال من جملة حديث : اتيت فاطمة اسألها عن علي قالت ذهب الى رسول الله «ص» فجلست انتظره حتى جاء رسول الله «ص» ومعه علي وحسن وحسين آخذا كل واحد منهما بيده فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه . ثم لف عليهم ثوبه . اوقال كساءه . ثم تلا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اه وقد اخرج هذا الحديث عن واثلة ايضا كل من ابن جرير في تفسيره الكبير وابن المنذر وابن ابي شيبة وابن ابي حاتم والطبراني والبيهقي في سننه والحاكم وصححه وغيرهم من حملة الآثار وحفظة الأخبار : قال النبهاني في صفحة ٧ من كتاب الشرف المؤبد ما هذا لفظه : وقد ثبت من طرق عديدة صحيحة أن رسول الله (ص) جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد على فخذه ثم لف عليهم كساء ثم تلا هذه الآية «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» قال النبهاني قالت أم سلمه فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي فقلت. وأنا معكم يا رسول الله فقال إنكِ من ازواج النبي على خير .

فيقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وقد استمر على هذا ستة اشهر في رواية انس [١] وعن ابن عباس سبعة اشهر وفي رواية ذكرها النبهاني [٢] وغيره ثمانية اشهر ، فصرّح الحق عن محضه ، وبدا الصبح لذي عينين ، لكن حثالة من اعداء أهل البيت ، وصنائع بني أمية ، ودعاة الخوارج ، ذهبوا في صرف الآية عن اهلها كل مذهب فقال بعضهم انها خاصة بنساء النبي (ص) وتشبثوا في ذلك بسياق الآية وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان في الانتصار لهذا الرأي ، والاستدلال بالسياق عليه ، وكان عكرمة ينادي بهِ في الأسواق [٣] تحاملا على اصحاب الكساء ولا عجب فإن عكرمة من الدعاة الى عداوة علي والسعاة في تضليل الناس عنهُ بكل طريق ، فمن يحيى بن بكير قال قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب (قال) : فالخوارج الذين هم في المغرب عنه اخذوا [٤] وعن خالد بن عمران قال كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم فقال وددت ان بيدي حربة فاعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالا (لبنائه على كفر من عدا الخوارج من اهل القبلة) وعن يعقوب الحضرمي عن جده قال وقف عكرمة على باب المسجد فقال مافيه الا كافر قال وكان يرى رأي الأباضية ❊ وهم من غلاة الخوارج ❊ وعن ابن المديني كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري ❊ وكان نجدة من اشد الخوارج عداوة لأمير المؤمنين ❊ وعن مصعب الزبيري كان عكرمة يرى رأي الخوارج وعن عطاء كان عكرمة اباضياً وعن احمد بن حنبل ان عكرمة كان يرى رأي الصفرية ❊ وهم من غلاة الخوارج ايضاً ❊ وحدث

«١» اخرج الامام احمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثالث من مسنده عن أنس بن مالك ان النبي «ص» كان يمر ببيت فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى الفجر فيقول الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اه . واخرجه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم عن أنس ايضا فراجع كتاب رشفة الصادي للإمام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي «٢» في صفحة ٨ من الشرف المؤبد.

«٣» فيما نقله عنه جماعة كثيرون منهم الواحدي في كتابه اسباب النزول وابن حجر في صواعقه.

«٤» نقل القاضي الجعالي حيث أتى على ذكر عكرمة في كتاب الوالي ان عكرمة دخل في رأي الحرورية من الخوارج فخرج يدعو اليهم بالمغرب . وعن أبي علي الاهوازي كما في ترجمة عكرمة من معجم ياقوت ان عكرمة كان يرى رأي الخوارج ويميل الى استماع الغناء قال وقيل انه كان يكذب على مولاه .

ايوب عن عكرمة انه قال انما انزل الله متشابه القرآن ليضل به ﴿ فانظر الى آرائه ما اخبثها ﴾ وعن ابن ابي شعيب قال سألت محمد بن سيرين عن عكرمة فقال ما يستوي ان يكون من اهل الجنة ولكنه كذاب . وعن وهيب قال شهدت يحيى بن سعيد الانصاري وايوب فذكرا عكرمة فقال يحيى هو كذاب . وعن ابن المسيب انه كذب عكرمة ، وعن عبد الله بن الحارث قال دخلت على علي بن عبد الله بن العباس فإذا عكرمة في وثاق فقلت الا تتقي الله فقال ان هذا الخبيث يكذب على ابي[1] وعن ابن المسيب انه قال لمولى له اسمه برد لا تكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس . وعن ابن عمر انه قال ذلك ايضاً لمولاه نافع . وعن طاوس لو ان عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله وكف من حديثه لشدت اليه المطايا . وعن ابن ذؤيب رأيت عكرمة وكان غير ثقة . وعن يحيى بن سعيد قال حدثوني والله عن ايوب انه ذكر له ان عكرمة لا يحسن الصلاة فقال ايوب اوكان يصلي . وعن محمد بن سعيد كان عكرمة كثير العلم وليس يحتج بحديثه ويتكلم الناس فيه . وعن مطرق بن عبد الله سمعت ان مالكا يكره ان يذكر عكرمة ولا يرى ان يروى عنه . وعن احمد بن حنبل ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة الا في مسألة واحدة . وعن سليمان بن معبد السنجي قال مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة[2] وعن الفضل الشيباني عن رجل قال رأيت عكرمة قائماً في لعب النرد . وعن يزيد بن هارون قدم عكرمة البصرة فأتاه ايوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء فقال اسكتوا ثم قال قاتله الله لقد اجاد . فأما يونس وسليمان فما عادا اليه الى آخر ماهو مأثور عن هذا الرجل مما يدل على سقوطهِ فراجع

«١» هذا لفظ الذهبي في ميزان الاعتدال نقلا عن عبد الله بن الحارث . والذي نقله ياقوت الرومي في ترجمة عكرمة من معجمه عن عبد الله بن الحارث قال دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثوق في باب الكنيف فقلت أتفعلون هذا بمولاكم فقال إن هذا يكذب على أبي . ونقل ياقوت في آخر ترجمة عكرمة من معجمه ايضا عن يزيد بن زناد قال دخلت على علي بن عبد الله بن مسعود وعكرمة مقيد على باب الحش قلت ما لهذا كذا قال انه يكذب على أبي اهـ . فهو بمقتضى هاتين الروايتين تارة يكذب على ابن عباس فينكر عليه ابنه ويعزره وتارة يكذب على ابن مسعود فينكر عليه ولده ويعزره .

«٢» وعن الرياشي عن الأصمعي عن نافع المدني نحوه : وعن ابن سلام كما في معجم ياقوت ان اكثر الناس كانوا في جنازة كثير .

ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي فإن فيها جميع مانقلناه الآن عنه. على ان كل من ترجمه كالعسقلاني في مقدمة فتح الباري . وابن خلكان في وفياته ، وياقوت الرومي في ارشاد الأريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء وغيرهم طعنوا فيه بنحوماسمعت ولما ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل رجال الخوارج كان عكرمة اول رجل عدّه منهم .

واما مقاتل فقد كان عدواً لأمير المؤمنين ايضاً وكان دأبهُ صرف الفضائل عنه حتى افتضح بذلك . قال ابراهيم الحربي (كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان) قعدمقاتل ابن سليمان فقال (اطفاء لنور امير المؤمنين) سلوني عما دون العرش فقال له رجل اخبرني من حلق رأس آدم حين حج فبهت . وقال الجوزجاني (كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبي) كان مقاتل كذاباً جسوراً سمعت ابا اليمان يقول قدم هاهنا فأسند ظهره الى القبلة وقال سلوني عما دون العرش «قال» وحدثت انه قال مثلها بمكة فقام اليه رجل فقال اخبرني عن النملة اين امعاؤها فسكت . ونقل ابن خلكان هذه الحكاية في ترجمةمقاتل من وفياته من طريق سفيان بن عيينه — وكان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئةوغلاة المشبهة بنص جماعة منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من كتابهِ « الفصل » وعده الشهرستاني في كتاب الملل والنحل من رجال المرجئة ، وقال الإمام ابوحنيفة (كما في ترجمة مقاتل من ميزان الإعتدال) افرط جهم في نفي التشبيه حتى قال انه تعالى ليس بشيء وافرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه ، وقال ابو حاتم بن حبان البستي * كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان * كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان مشبها يشبه الرب بالمخلوقين (قال) وكان يكذب مع ذلك في الحديث الى آخر ماقاله أئمة الجرح والتعديل فيه ولهم فيه وفي عكرمة كلام اوضح من ذلك في الجرح ، واصرح منه في التضليل والقدح ، لكن المقام لا يسع الاستقصاء ، وهذا القدر كاف لما اردناه من سقوط الرجلين وفساد آرائهما ، وبطلان اقوالهما ، ولا سيما في هذا المقام ، فإنه لا ينتظر منهما فيه الا مايقتضيه الوغر والحقد ويستوجبه الخروج والنصب ولا عجب منهما ، وانما العتب والعجب ممن اعتمد عليهما ، وهو يعرف كنههما

اما ماتشبثا به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء ، فتضليل محض ، وتمويه

مجرد ، وان اطنب في تلفيقه وتزويقه صاحب نوادر الأصول ، وغيره من اعداء آل الرسول فإنهم لم يألوا جهداً في تصويره وتزويره ، ولم يدخروا وسعاً في تقريره وتحريره ، لكن مثلهم في ذلك ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ ولنا في رده وجوه :

الاول أنه اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة ، والأحاديث المتواترة الصحيحة ، وقد سمعت بعضها

الثاني انها لو كانت خاصة في النساء ، كما يزعم هؤلاء ، لكان الخطاب في الآية بما يصلح للإناث ولقال عز من قائل عنكن ويطهر كن كما في غيرها من آياتهن ، فتذكير ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كاف في رد تضليلهم

الثالث أن الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الاجنبية بين الكلام المتناسق ، كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته ، إذ يقول لها (إنه من كيد كن إن كيد كن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك) فقوله يوسف اعرض عن هذا مستطرد بين خطابيه معها كما ترى ، ومثله قوله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون) فقوله وكذلك يفعلون مستطرد من جهة الله تعالى ، بين كلام بلقيس — ونحوه قوله عز من قائل (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم) تقديره فلا أقسم بمواقع النجوم ، إنه لقرآن كريم ، وما بينهما استطراد على استطراد وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العاربة وغيرهم من البلغاء ،

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء ، فتبين بسبب استطرادها ان خطاب الله لهن بتلك الاوامر والنواهي والنصائح والآداب ، لم يكن إلا لعناية الله تعالى باهل البيت « اعني الخمسة » لئلا ينالهم ﴿ ولو من جهتهن ﴾ لوم ، او ينسب اليهم ﴿ ولو بواسطتهن ﴾ هناة ، او يكون عليهم للمنافقين ﴿ ولو بسببهن ﴾ سبيل ، ولولا هذا الاستطراد ماحصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، وكمل اعجازه الباهر كما لا يخفى

الرابع أن القرآن لم يترتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول بإجماع المسلمين كافة وعلى هذا فالسياق لا يكافئ الأدلة الصحيحة عند تعارضهما ، لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق ، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلم ظهوره بما زعموا والاستسلام لحكم ماسمعت بعضه من الأدلة القاطعة ، والحجج الساطعة ، ولا غرو فإن حمل الآية على مايخالف سياقها غير مناف للبلاغة ، ولا مخل بالإعجاز ، وقد اجمعوا على انه لاجناح بالمصير اليه اذا قامت قواطع الأدلة عليه

وذهب بعضهم الى ان المراد من اهل البيت في الآية من حرمت عليهم الصدقة . وهم بنو هاشم كافة ، مستدلين على ذلك بما اخرجه مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن زيد ابن ارقم وقد قيل له من اهل بيته نساؤه قال لا . وايم الله . ان المرأة تكون مع الرجل . العصر من الدهر ، ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها — اهل بيته ، الذين حرموا الصدقة بعده اه وانت تعلم ان استدلالهم هذا باطل من وجهين

(أحدهما) انك لو راجعت هذا الحديث من صحيح مسلم تعلم ان زيدا انما سئل عن مراد النبي (ص) بأهل بيته الذين ذكرهم في قوله اني تارك فيكما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي (١) فأجاب عن خصوص هذا السؤال بما سمعت ولم يتعرض لبيان المراد بأهل البيت المذكورين في الآية اذ لم يسأل عنهم فكيف ننقل عنه في تفسير الا ية ماقاله في تفسير الحديث ، وهل هذا الا كالمغالطة ، ولو سئل زيد عن الآية لأجاب بالصواب كما فعل ابو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم وماكان ليخفى عليه حديث الكساء . ولا ليخالف في تفسيرها سيد الأنبياء (ص) وبالجملة فإن مانقله مسلم عن زيد خارج عن موضوع مسألتنا هذه ، فالاستدلال به هنا مما لاوجه له

﴿ ثانيهما ﴾ لو فرضنا ان زيداً فسر الآية بما سمعت فإنما هو مفسر لها برأي قد رآه لاتثبت به حجة ولا يقوم به برهان حيث لم ينقل ذلك التفسير عن رسول الله (ص) كما يراه كل من

(١) المراد من اهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار دخول أئمتهم فيهم والقرينة على ذلك اقترانهم بالكتاب الحكيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وليس المراد من عترته واهل بيته جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد منهم وهذا المعنى هو الذي اراده زيد بن ارقم

راجع الحديث في صحيح مسلم فكيف نعارض به الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، ونقدمه على النصوص الصريحة ، والأحاديث المتواترة الصحيحة ، لكنا منينا بقوم لا ينصفون ، فإنا لله وانا اليه راجعون ، وقد اغرب الرازي اذ قال في تفسيره واختلف في اهل البيت والأولى فيهم ماقاله البقاعي انهم كل من يكون من الزام النبي(ص) من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب الى آخر كلامه الذي نسج فيه على منوال البقاعي وخالف به سنة البشير النذير الداعي :

لكم ذخركم ان النبي ورهطه — وجيلهم ذخري اذا التمس الذخر
جعلت هواي الفاطميين زلفة — الى خالقي مادمت او دام لي عمر

وذهب قوم الى ان الآية شاملة للزوجات ولأصحاب الكساء ، جمعاً بين الأدلة وظاهر السياق — ويرده اولا ماسمعته من كلامنا في السياق فراجعه ، وثانياً منع ام سلمة من الدخول تحت الكساء ، فإنه اقوى دليل على خروج النساء ، وثالثاً لو كان غير علي وفاطمة وابنيهما مراداً لقال (ص) حين جللهم بالكساء اللهم هؤلاء من اهل بيتي لكنه قصر اهل بيته عليهم وحصرهم فيهم فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . وفي رواية ذكرها ابن حجر في صواعقه: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم . واخرج احمد بن حنبل من حديث ام سلمة في صفحة ٢٩٦ من الجزء السادس من مسنده قالت بينما رسول الله (ص) في بيتي يوماً اذ قالت الخادم ان علياً وفاطمة بالسدة قالت فقال لي قومي فتنحي لي عن اهل بيتي قالت فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا بإحدى يديه وفاطمة باليد الأخرى فقبل فاطمة وقبل علياً فأغدف عليهم خميصة سوداء فقال اللهم اليك لا الى النار انا واهل بيتي الحديث(١) وهو « كما ترى » ظاهر في حصر اهل بيته فيهم عليهم السلام ، فهل حاباهم (ص) بكسائه او آثرهم من تلقاء نفسه بما سمعت من دعائه وثنائه ، او ضل وغوى اذ قال انزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة . اونطق عن الهوى اذ كان يقف كل يوم على باب علي وفاطمة عند خروجه الى الفجر فيقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

(١) واخرجه في آخر صفحة ٣٠٤ من الجزء ٦ عن ام سلمة ايضاً

اهل البيت ويطهركم تطهيرا اوهجر والعياذ بالله حين قال لأم سلمة قومي فتنحي لي عن اهل بيتي = كلا والله ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ﴾ ولله در الإمام ابي بكر بن شهاب الدين حيث قال في هذا المقام من كتابه ﴿ رشفة الصادي ﴾ :

دعوا كل قول غير قول محمد　　فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

تنبيهـــان

﴿احدهما﴾ ان الآية دلت على عصمة الخمسة لأن الرجس فيها عبارة عن الذنوب كما في الكشاف وغيره ، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي · انما ·· فأفادت ان ارادة الله تعالى في امرهم مقصورة على اذهاب الذنوب عنهم ، وتطهيرهم منها وهذا كنه العصمة وحقيقتها(١)

﴿ ثانيهما﴾ أنها دلت بالإلتزام على إمامة امير المؤمنين لأنه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وفاطمة ولا يكونون كاذبين لأن الكذب من الرجس الذي اذهبه الله عنهم وطهرهم منه تطهيرا

(١) اورد النبهاني في اول كتابه ﴿ الشرف المؤبد ﴾ هذه الآية فنقل عن جماعة من الأعلام مايدل على انهم قد فهموا منها عصمة اهلها عليهم السلام ، واليك مانقله بعين لفظه قال : — قال الإمام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره يقول الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا اهل محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في معاصي الله تطهيرا (قال) وروى عن ابي زيد ان الرجس هاهنا الشيطان (قال) وذكر أي الطبري بسنده الى سعيد بن قتادة انه قال قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فهم اهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه (قال) وقال ابن عطية والرجس أسم يقع على الإثم والعذاب وعلى النجاسات والنقائص فاذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت (قال) وقال الإمام النووي قيل هو الشك وقيل العذاب وقيل الإثم : قال الأزهري الرجس اسم لكل مستقذر من عمل وغيره اه · وفسر الشيخ محيي الدين بن العربي لفظ الرجس في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل مايشين واليك عبارته (قال) وقد ذكر النبي «ص» قد طهره الله واهل بيته تطهيرا واذهب عنهم الرجس وهو كل مايشينهم فإن الرجس هو القذر عند العرب هكذا حكى الفراء الى آخر كلامه ·

(الفصل الثالث)

في آية المودة وهي قوله تبارك وتعالى في آل حم الشورى « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى[١] ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور ام يقولون افترى على الله كذبا »

اجمع اهل البيت ، وتصافق اولياؤهم في كل خلف . على ان القربى هنا انما هم علي وفاطمة وابناهما . وان الحسنة في الآية انما هي مودتهم ، وان الله تعالى غفور شكور لأهل ولايتهم ، وهذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها ، وفيه صحاح متواترة عن أئمة العترة الطاهرة ، واليك ماهو مأثور عن غيرهم ، اخرج احمد والطبراني والحاكم وابن ابي حاتم عن ابن عباس « كما نص عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي اوردها في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه قال : لما نزلت هذه الآية قالوا يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال (ص) علي وفاطمة وابناهما اه . وهذا الحديث اخرجه عن ابن عباس ايضاً ابن المنذر وابن مردويه [٢] والمقريزي [٣] والبغوي والثعلبي في تفاسيرهم والجلال السيوطي [٤] في دره المنثور . والحافظ ابو نعيم في حليته ، والحمويني الشافعي في فرائده . وغيرهم من المفسرين والمحدثين وارسله الزمخشري في كشافه واستدل على اعتباره بروايات رواها في الكشاف عن رسول الله (ص) ، فمنها ماروي عن علي قال شكوت الى رسول الله (ص) حسد الناس لي فقال اماترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين . ومنها قوله (ص) حرمت الجنة على من ظلم اهل

---

(١) القربى مصدر كالزلفى والبشرى وهي بمعنى القرابة والاستثناء هنا متصل والمعنى لا اسألكم على اداء الرسالة شيئا من الاجر الا ان تودوا قرابتي فهو على حد قول القائل :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا اي لا اسألكم عليه اجرا قط ولكن اسألكم ان تودوا قرابتي وكيف كان فمودتهم فريضة . (٢) فيما نقله عنه النبهاني في اربعينه (٣) فيما نقله النبهاني عنه في الشرف المؤبد (٤) فيما نقله عنه في الشرف المؤبد

بيتي وآذاني في عترتي . ومنها قول رسول الله «ص» من مات على حب آل محمد مات شهيداً «١» الا ومن ومات على حب آل محمد مات مغفوراً له، الا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، الا ومن مات على حب آل محمد مات موءمنا مستكمل الإيمان، الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها، الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة، الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، الحديث: واخرجه الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير عن جرير بن عبدالله البجلي واورده غير واحد من المحدثين والمفسرين وموءلفي المناقب . وانت تعلم ان هذه المنزلة السامية انما ثبتت لهم من الله تعالى لأنهم خلفاوءه في ارضه . واولياوءه في بسطه وقبضه . وحججه البالغة . ومناهل شرائعه السائغة . وامناوءه بعد النبي «ص» على وحيه . وسفراوءه في امره ونهيه . فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله . والمبغض لهم مبغض لله . ومن هنا قال فيهم الفرزدق :

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم ... اوقيل من خير اهل الارض قيل هم

واخرج الحاكم « كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان » بالإسناد الى ابي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله «ص» ان الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة فأنا اصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا اوراقها فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا . ومن زاغ عنها هوى . ولو ان عبداً عبد الله الف عام

«١» المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أئمتهم الذين هم خلفاء رسول الله «ص» وأوصياوءه ووارثو حكمه وأولياوءه وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على أنهما لا يفترقان فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من اعرض عن احدهما وليس المراد هنا من الال جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد لأن هذه المرتبة السامية لأولياء الله خاصة . نعم تجب محبة جميع أهل بيته وكافة ذريته لانتسابهم اليه صلى الله عليه وآله وسلم وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من رسوله صلى الله عليه وآله

ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لايحبنا كبه الله على منخريه في النار. ثم تلا قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى اه . واخرج ابو الشيخ وغيره ﴿ كما في الصواعق وغيرها ﴾ عن علي (ع) فينا في آل حم آية لايحفظ مودتنا الا كل مؤمن ثم قرأ قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور . والى هذا اشار الكميت بقوله :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولها منا تقي ومعرب

واخرج البزاز والطبراني وغيرهما ﴿ كما في الصواعق وغيرها ﴾ عن الإمام ابي محمد الحسن السبط المجتبى (ع) بطرق مختلفة انه خطب خطبة قال فيها . وأنا من اهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما انزل على محمد (ص) قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا (قال) واقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت اه . واخرج الطبراني (كما في الصواعق وغيرها) عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام أنه لما اقيم (بأبي وامي) اسيرا على درج دمشق قال له بعض جفاة اهل الشام الحمد لله الذي قتلكم ، فقال له اما قرأت ، قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى (١) قال وانتم هم قال نعم اه . واخرج احمد بن حنبل ﴿ كما في الصواعق ايضاً ﴾ عن ابن عباس في قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال هي المودة لآل محمد واخرجه ابن ابي حاتم « كما في الشرف المؤبد (٢) عن ابن عباس ايضاً وعن ابي حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عباس انه حين استحكم الإسلام بعد الهجرة قالت الأنصار نأتي رسول الله فنقول له قد تعروك امور فهذه اموالنا تحكم فيها كيف شئت فأتوه بذلك فنزلت الآية فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا مسلمين لقوله . وقال المنافقون ان هذا لشيء افتراه في مجلسه اراد به ان يذللنا لقرابته من بعده فنزلت ام يقولون افترى على الله كذباً الحديث . وقد اخرج الثعلبي والبغوي ﴿ كما في الصواعق ﴾ عن ابن عباس ايضاً مثله . قاتل الله الحسد يورد اهله الدرك الأسفل من النار . انظر كيف خرج هؤلاء من الدين وكذبوا (حسدا لأولياء الله) نبيهم وهو الصادق الامين فانزل الله تعالى في نفاقهم قرآنا

(١) ورواه النبهاني في القصد الثالث من كتابه الشرف المؤبد عن السدي عن أبي الديلم

(٢) راجع منه صفحة ٩٥

يتلوه المسلمون آناء الليل واطراف النهار— ومع ذلك فإن بذرة اهل النفاق والحسد قد اجذرت بتعاهد اولي السلطة لها (من بني امية وغيرهم) بما يستوجب نموها ، وجمهور المسلمين غافلون ، فالتبس الأمر ، ووقعت الشبهة — وانما دخل البلاء باعتماد الجمهور على كل من كان في الصدر الأول ، وبنائهم على عدالة كل فرد فرد ممن كانت له صحبة ، مع ما يتلونه في الكتاب والسنة من شؤون المنافقين[1] وتربصهم الدوائر بسيد النبيين والمرسلين(ص) واشتد البلاء بالمنع من الخوض في تلك الأحوال · وسدهم باب البحث عن حقائق اولئك الرجال فضيعوا على انفسهم كثيراً من الحقائق · وربما نسجوا (من حيث لا يقصدون) على منوال كل منافق · ولذلك اختلفوا في هذه الآية ، مع ما سمعت بعضه من النصوص الجلية في نزولها بمودة العترة الزكية ، والذي عرفناه من اقوال المخالفين اربعة مذاهب :

الاول ان الله تعالى امر نبيه(ص) أن يقول لمشركي قريش لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى، يعني الا أن تودوني في قرابتي منكم ·وتصاوا الرحم التي بيني وبينكم—وهذا مردود بوجوه « أحدها » إن الآية مدنية كما سمعته قريباً عن تفسيري البغوي والثعلبي ، وستسمعه عن غيرهم ايضاً ، فأين مشركو قريش عنها ، « ثانيها » ان سبب نزولها بحكم ما سمعتهُ وما ستسمعهُ من الأخبار ، انما هو عرض الأنصار اموالهم على رسول الله(ص) ،او مفاخرتهم لبني هاشم ، فيكون الخطاب معهم ، لا مع مشركي قريش « ثالثها » انه لا يصح ان يكون الخطاب مع المشركين اذ يقبح من الحكيم ان يطلب الأجر على اداء الرسالة ممن كفر بها · وبلغ الغاية في جحودها وتكذيبها · وانما يحسن ذلك ممن آمن بها · وعدها نعمة عليه « رابعها » أن هذا القول مخالف لما سمعته من النص على انها نزلت في مودة علي وفاطمة وابنائها

---

(١) وحسبهم من الكتاب سورتا التوبة والاحزاب : فإن فيهما الذكرى لأولي الالباب · (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) وناهيك من السنة باب الحوض من كتاب الرقاق من صحيح البخاري وباب قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو في كتاب بدء الخلق من الصحيح المذكور ايضا وما اخرجه احمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده عن أبي الطفيل فراجع · (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين).

« خامسها » أنه انما هو قول عكرمة وتبعه فيه جماعة من صنائع بني أمية واعداء اهل البيت كما كنا اوضحناه فى كتابنا سبيل المؤمنين ، وهؤلاء لاتقبل اقوالهم ولا سيما في مثل المقام وقد عرفت ان عكرمة من دعاة الخوارج ، وكذبة المحدثين ، كما بيناه في الفصل السابق — واخطأ من نسب هذا القول الى ابن عباس ، إعتماداً على خبر رواه البخاري في باب قوله الا المودة في القربى من كتاب تفسير القرآن من صحيحه ، عن محمد بن بشار ، عن محمد ابن جعفر ، وهما ضعيفان بإجماع الإمامية ، ووافقهم يحيى بن معين — كما في ميزان الاعتدال — على تضعيف محمد بن بشار ، بل كذبه الفلاس فراجع — وكيف يقول ابن عباس في تفسير القربى غير الذي قلناه ، مع ماسمعته من الأحاديث الثابتة عنه في تفسير القربى بعلي وفاطمة وابنائهما وتفسير الحسنة بودتهم .

الثاني من مذاهب المخالفين في تفسير الآية أن معناها . قل لا اسألكم عليه اجراً إلا أن تودوا القربى من الله عزوجل بالأعمال الصالحة .

الثالث أن معناها إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا ارحامكم — وانت تعلم ان اصحاب هذه الأقاويل . ما ارادوا بها غير التمويه والتضليل . وحسبهم في ردها انها في مقابل النص والدليل وحسبنا الله ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير

الرابع ان الآية منسوخة بقوله تعالى (في سورة سبأ) = قل ماسألتكم عليه من اجر فهو لكم = وهذا من أغرب الأقاويل ، واعجب الأباطيل . لأن وجوب مودة القربى بكل المعاني مستمر الى يوم القيام . بحكم الضرورة من دين الإسلام . فما معنى هذا النسخ يامسلمون . على أنه لا تنافي بين الآيتين ، لتكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ ، فإن معنى آية الشورى لا اسألكم على اداء رسالتي شيئاً من الأجر الا مودة قرابتي . ومعنى آية سبأ اني ماسألتكم على اداء رسالتي شيئاً من عرض الدنيا . والذي طلبته منكم في سورة الشورى اجراً عليه من مودة قرابتي فإنما هو لكم لالي لأن قرابتي حجج الله البالغة لديكم . ونعمه السابغة عليكم . وهم أمان اهل الأرض . وباب حطة . وسفينة نجاة هذه الامة . وهم كالقرآن الحكيم فمودتهم لازمة لكم ، ومنافعها انما هي عائدة عليكم ، — فارجع البصر هداك الله ، وأمعن النظر في

الآيتين ، وهما قوله تعالى (قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى) وقوله سبحانه (قل ماسألتكم عليه من اجر فهو لكم) تجد الثانية مؤكدة لمفاد الأولى ومشوقةاليه كمالايخفى

بقي للقوم اعتراضان « احدهما انهم قالوا لو اراد الله من الآية مودة القربى ، لقال : إلا مودة القربى . اوإلا المودة للقربى . — والجواب أن هذا تغافل عما لايغفل عنه ذوحظ من فهم . وتجاهل بما لايجهله الخبير بمواقع الكلام . لأن الاضافة واللام هنالا يفيدان ما افادته في . من المبالغة بمودة القربى [١] بجعلهم موضع الود والموالاة كما يعلمه جهابذة الكلام العربي ويشهد به أئمة البلاغة . قال الزمخشري في كشافه بعد تفسير القربى بمن ذكرناهم عليهم السلام فإن قلت فهلا قيل إلا مودةالقربى . اوإلا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودةفي القربى قلت جعلوا مكاناً للمودة ومقراً لها . كقولك لي في آل فلان مودة . ولي فيهم هوى وحب شديد . تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وليست في بصلة المودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى . إنما هي متعلقة بمحذوف . تعلق الظرف به ، في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ، ومتمكنة فيه ، هذا كلام الزمخشري بعين لفظه ولله دره ما اوفر نصيبه من الإحاطة بالأسرار التي لا تتناهى البلاغة ولايتم الإعجاز الا بها — « ثانيهما » أنهم قالوا هذه الآية في سورة الشورى . وهي مكية ، والحسنان ولدا في المدينة فلا يمكن ارادتهما منها — والجواب ان هذه الآية وما بعدها الى آخر ثلاث آيات مدنية قطعاً بحكم الأخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة . وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة ، ويدل عليه ماسمعته قريباً عن ابي حمزة الثمالي وتفسير الثعلبي والبغوي ، وحسبك ماذكره الإمام الواحدي في كتابه (اسباب النزول) حيث قال : قال ابن عباس لما قدم رسول الله(ص) المدينة ، كانت تنوبه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فقال الأنصار ، إن هذا الرجل قدهدا كم الله به . وهو ابن اختكم،وتنوبه نوائب وحقوق . وليس في يده لذلك سعة ، فاجمعوا له من اموالكم مالايضر كم فأتوه به ، ليعينه على ماينوبه ففعلوا ثم أتوه به . فقالوا يا رسول الله إنك ابن اختنا وقدهدانا الله تعالى على يديك

---

(١) قال النبهاني حيث أورد الآية في الشرف المؤبد القربى مصدر بمعنى القرابة وهو على تقدير مضاف اي ذوي القربى يعني الأقرباء (قال) وعبر بفي ولم يعبر باللام لأن الظرفية ابلغ وآكد للمودة اه

وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك سعة . فرأينا ان نجمع لك من اموالنا فنأتيك به فتستعين على ما ينوبك وهو هذا . فنزلت قل لااسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى اه . وهذا الحديث موجود ايضاً في الكشاف وغيره من التفاسير المعتبرة والكتب المؤلفة في اسباب النزول—وفي الكشاف وغيره رواية اخرى في سبب نزولها، جاء فيها ان الأنصار فاخروا بعض بني هاشم ، فعاتبهم النبي (ص) بذلك ، فجثوا على الركب ، وقالوا اموالنا ومافي ايدينا لله ولرسوله ، فنزلت الآية فقرأها عليهم—اليست هذه الأخبار كلها صريحة بنزول الآية في المدينة ، وأن المخاطبين فيها إنما هم الأنصار ، ولا ينافي ذلك كونه في سورة مكية ، لأن ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول ، إجماعاً وقولا واحداً [١] ومن ثمة كان اغلب السور المكية لا يخلو من آيات مدنية ، وكذلك اكثر السور المدنية لايخلو من آيات مكية ، بحكم أئمة السلف والخلف من الفريقين[٢] ووصف السورة بكونها مكية أو مدنية تابع لأغلب آياتها . كما صرح به أئمة هذا الفن من اهل المذاهب كلها == على انه لا مانع

(١) ألا ترى أن الأغلب من أواخره مكي ، والأكثر من أوائله مدني ، فلو كان مرتبا على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما أخر وتأخير بعض ما قدم ، ولكانت سورة العلق في أوائله وسورة براءة في آخره ، بناء على ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب عن شعبة ، ورواه مسلم عن بندار عن غندر عن شعبة ايضا ، ولكانت آخر آية من آياته قوله تعالى واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله . أو آخر آية من سورة النساء . أو قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية . كما لا يخفى على من راجع الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

(٢) فراجع (إن شئت التفصيل) اوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن ، او من تفسيري الطبري والرازي الكبيرين ، او من الكشاف ، او اول كل من المائدة ، والاعراف ، والرعد ، والاسراء ، والكهف ، ومريم ، والحج ، والشعراء ، والقصص ، والروم ، ولقمان ، وسبأ ، والزمر ، والزخرف ، والدخان ، والرحمن ، والمجادلة ، من كتاب تفسير القرآن من إرشاد الساري ، في شرح صحيح البخاري ، وسائر المؤلفات في هذا الموضوع ، وبعد التتبع قل لي كيف الغى المعترضون صحاح الأخبار المفسرة للقربى بما قلناه ، وصرفوا الآية عن اهلها بمجرد كونها في سورة يقال عنها مكية ، ومن أوحى اليهم أنها ليست كأغلب المكيات ، وصفت بهذا الوصف باعتبار الغلبة (إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس وقد جاءهم من ربهم الهدى)

من تناول الآية الكريمة للحسنين (ع) حتى لو فرضنا نزولها بمكة ، قبل ولادتهما . لأن المودة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجوداً حين نزولها . بل هي ثابتة فيهم . وهم على الإطلاق مكانها كما سمعت — وبناء على هذا تكون الآية نظير قوله تعالى (يوصيكم الله في اولاد كم) أترى احداً من المسلمين قصر هذه الوصية على من كان موجوداً من الأولاد حين نزولها . كلا بل لم يتوهم ذلك ابن انثى . فليت شعري ما الفرق بين الآيتين.

واما ماسمعته من قول النبي(ص) في تفسير القربى هم علي وفاطمة وابناهما . فيجوز أن يكون متأخراً عن نزولها . او انه خبر من الله عزوجل بالغيب فيكون من اعلام النبوة. ولا غرو فقد اخبر عن خلفائه وانهم اثنا عشر واخبر عن يوم الجمل وكلاب الحوأب وعن الفئة الباغية وقتلها عماراً وعن الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وعن الناكثين والقاسطين والمارقين وعن الضغائن لعلي في نفوس قوم وانهم لايبدونها له إلا بعد فقده وعن اشقى الآخرين وضربه سيد الوصيين بالسيف على هامته وان شيبته الكريمة تخضب من دم رأسه وعن حال بضعته الزهراء من بعده وانها اول اهل بيته لحوقاً به وعن محنة الحسن والذعاف الذي تجرعه وعن مصائب سيد الشهداء في طف كربلاء وعما لقيه اهل بيته من الأثرة والبلاء والنفي والتشريد والتطريد في البلاد وعن ولاة الجور الذين يملكون من بعده امر هذه الأمة وعن بوائق بني آمية وبني مروان وان مدتهم تكون الف شهر وعن بني العباس وملكهم وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها الى مالايحصى من إخباره عن الله تعالى بالمغيبات وقد رأتها الأمة بعد ذلك مثل فلق الصبح فعلمُ الله الأزليُّ الذي وسع كل شيء قبل ان يكون شيء لايضيق عن تولد الحسنين من علي وفاطمة قبل ان يخلقهما تبارك وتعالى وليس على الله بعزيز أن يبشر بها نبيه (ص) ويفترض مودتهما على الأمة قبل ولادتهما لكرامتها عليه وقرب منزلتها منه سبحانه وتعالى كما بشر الله آدم ونوحاً وابراهيم وموسى وعيسى وسائر النبيين والمرسلين بمحمد (ص) وعليهم اجمعين . وعرفهم جلالة قدره . وعظم شأنه . فآمنوا به . وبخعوا لفضله — ونحن مهما شككنا فلا نشك في آن العترة والكتاب ثقلا رسول الله اللذان لايضل من تمسك بهما وأن كلا منهما يفرغ عن الآخر لأنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض . وقد تواترت الأخبار عنهم في تفسير القربى بما ذكرناه . وناهيك بذلك حجة على ماقلناه على أن تفسير القربى هنا بعلي وفاطمة وابنائهما هو الذي ذهبت اليه جماهير اهل السنة

وقطعت به أكابرهم (١) وحسبك قول امام الخلف منهم والسلف ، محمد بن ادريس الشافعي رحمهُ الله :

(٢) يأهل بيت رسول الله حبكم — فرض من الله في القرآن انزله
كفاكم من عظيم القدر انكم — من لم يصلِّ عليكم لاصلاة له

وقول الشيخ ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة — على رغم اهل البعد يورثني القربى
فماطلب المبعوث اجراً على الهدى — بتبليغه الا المودة في القربى

وقال المعاصر النبهاني :

آل طه يا آل خير نبي — جدكم خيرة وانتم خيار
أذهب الله عنكم الرجس اهل الـ — بيت قدماً فأنتم الأطهار
لم يسل جدكم على الدين أجراً — غير ود القربى ونعم الإجار

وحيث ثبت هذا عن أئمة السنة ، وجماهير الأمة ، فلا مبالاة إذن بمخالفة من خالف ولا بمجازفة من جازف ، ممن اشار النبهاني اليهم في كتابه (الشرف المؤبد) حيث ذكر بعضهم في خطبة الكتاب ، فقال : ومن هذا القبيل ما وقع في عصرنا في القسطنطينية سنة سبع وتسعين ومائتين والف هجرية ، من قوم جهال غرقوا من احوال البغضاء لآل محمد في اوحال فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات والأخبار في فضل اهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومهبط الوحي ، ومنبع الحكمة ، ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة ، وآرائهم الذميمة ، ومع ذلك فقد زعموا انهم لأهل البيت من اهل المحبة والوداد ، ولم يعلموا انهم هائمون من الخذلان في كل واد ، الى آخر ماقال فيهم ، وفيمن نسجوا على منوالهم ، ممن تقدمهم فراجع — وقال في المقصد الثالث من الكتاب المذكور ، فقد رأينا من إذا سمع بذكر مزية امتاز بها اهل البيت ، او منقبة اسندت اليهم ، ووصفوا بها من الله تعالى ، ورسوله (ص) او السلف الصالح

---

(١) كما صرح به غير واحد من الأعلام كالسيد الإمام أبي بكر بن شهاب الدين في كتابه رشفة الصادي .

(٢) البيتان الأولان نسبهما الى الإمام الشافعي ابن حجر في صواعقه ، والنبهاني في شرفه ، وهما مشهوران عنه منتشران سائران ، وقد نسب البيتين الأخيرين إلى ابن العربي صاحب الصواعق وغيره .

او علماء الامة ، او اوليائها ، يقطب وجهه ، ويتغير خلقه ، ويود بلسان حاله ، أن تلك المزية لم تكن لهم ، وقد يتكلف الاقاويل الواهية ، والاخبار الموضوعة ، والآثار المصنوعة ، ليطفىء بها نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون . هذا كلامه بعين لفظه (والحق ينطق منصفاً وعنيداً) .

نسأل الله الهداية والتوفيق ، لنا ولجميع المسلمين بمنه وكرمه ، انه ارحم الراحمين .

(الفصل الرابع)

في آيات الأبرار ، وهي قوله عز اسمه في سورة الدهر (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر) الى آخر السورة

اجمع اولياء اهل البيت (تبعاً لكافة أئمتهم عليهم السلام) على نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين وصحاحهم في ذلك متواترة ، من طريق العترة الطاهرة ، وهذا عندهم من الضروريات التي لا يجهلها منهم احد ، وقد اخرجه عن ابن عباس جماعة من اعلام غيرهم ، كالإمام الواحدي في كتابه البسيط ، والإمام ابي اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير ، والإمام ابي المؤيد موفق بن احمد في كتاب الفضائل ، وغير واحد من الحفظة واهل الضبط ، واليك ماذكره الزمخشري في تفسير السورة من الكشاف بعين لفظه ، قال : وعن ابن عباس (رض) أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه ، فقالوا ياابا الحسن لو نذرت على ولديك ، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة ايام ، فشفيا وما معهم شيء ، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير ، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة اقراص على عددهم ، فوضعوها بين ايديهم ليفطروا ، فوقف عليهم سائل فقال ، السلام عليكم اهل بيت محمد ، مسكين من مساكين المسلمين اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء ، واصبحوا صياماً ، فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم ، وقف عليهم يتيم فآثروه ، ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا اخذ علي (رض) بيد الحسن والحسين ، واقبلوا الى رسول الله (ص) فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، قال ما اشد ما يسوؤني ما ارى بكم ، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها ، قد التصق بطنها بظهرها ، وغارت عيناها ، فساءه ذلك ، فنزل جبرائيل

عليه السلام وقال خذها يا محمد ، هناك الله في اهل بيتك فأقرأه السورة اهـ .

ونحن لا حاجة بنا الى تضييع الوقت في اخراج اسانيد هذا الحديث وطرقه الى ابن عباس ومجاهد ، وابي صالح ، وعطاء وغيرهم ، ولا الى ذكر من اخرجه من حفاظ الحديث ، وأئمة التفسير ، بعد تواتره عن أئمة الأبرار ، وكونه مما لاريب فيه = وانما نشير الى بعض ما تضمنته تلك الآيات البينات من اسرار البلاغة ، ليتنبه اولو الألباب (وتعيها اذن واعية) :

إن علماء البيان ، وسائر اهل اللسان ، لايرتابون في ان الجمع المحلى بلام التعريف حقيقة في العموم ، وهذا مما لايختلف فيه اثنان من اهل العربية ، وانت تعلم أن لفظ الأبرار في الآية جمع بر — اوبار ، محلى باللام كما ترى ، فظهوره في الشمول والاستغراق مما لاريب فيه وانما اطلق على علي وفاطمة والحسن والحسين ، تبيانا لكونهم اكمل الأبرار ، وأذانا بأنهم افضل الاخيار ، وبرهاناً على انهم صفوة الصفوة ، وحجة على انهم خيرة الخيرة ، فما عسى ان يقول القائلون في عظيم برهم ، أو يصف الواصفون سمو قدرهم ، واي مدحة توازن مدحة الفرقان وأي ثناء يكايل ثناء الذكر الحكيم ، وأي عبارة فاضلة شريفة مقدسة تكافئ قول الله تعالى فيهم « ان الأبرار » علياً وفاطمة والحسن والحسين « يشربون » الشراب الطيب الطاهر ، يوم العطش الأكبر « من كأس » هي الزجاجة اذا كان فيها الشراب ، ويسمى الشراب نفسه كأساً ايضاً وقد وصفها بقوله عز من قائل « كان مزاجها » الذي تمزج به ماء من عين في الجنة ، تسمى « كافورا » لأن ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرودته ، والدليل على أن كافوراً اسم عين في الجنة قوله تعالى « عيناً » بالنصب على انها عطف بيان او بدل من كافوراً (١) يشرب بها عباد الله » علي وفاطمة والحسنان ، وامثالهم من الكاملين في العبودية لله سبحانه ، الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما ، الى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة — وانما وصل فعل الشرب في

(١) وقيل تمزج لهم بالكافور ، وتختم بالمسك ، وقيل بل فيها بياض الكافور ورائحته وبرده ، فكأنها مزجت به ، وعلى هذين القولين تكون عيناً منصوبة على الاختصاص ، او على البدل من محل كأس ، بتقدير حذف مضاف ، ويكون المراد من الكأس على هذا نفس الشراب لا الزجاجة ، والتقدير حينئذ ان الأبرار يشربون من شراب كان مزاجها كافورا ، شراب عين يشرب بها عباد الله

الآية الأولى بمن الابتدائية ، ووصله في الآية الثانية بباء الإلصاق ، لأن الكأس مبتدأ شربهم ، والعين يمزجون بها شرابهم ، فيكون المعنى يشربون الشراب بماء تلك العين ، كما تقول شربت الماء بالعسل ، وهذه العين « يفجرونها » اي يجرونها حيث شاءوا من كل مكان ارادوا « تفجيرا » سهلا يسيرا ، لا تلحقهم فيه كلفة ، ولا يجدون فيه من مشقة ، وقد بين الله سبحانه وتعالى السبب في استحقاقهم لهذه الكرامة ، فقال : (يوفون بالنذر) جوابا لسؤال مضمر ، تقديره ما الذي فعلوه فاستحقوا به هذا الجزاء وأنت تعلم أن ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر إلا المبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات ، لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه ، كان بما اوجبه الله عليه اوفى ، وتلك شهادة لهم من الله تعالى ، ومن اصدق من الله قيلا ، لم يقتصر سبحانه في تزكيتهم بهذه الشهادة على المبالغة في وصفهم بالتوفر على إداء الواجبات ، حتى بالغ في بعدهم عن المحرمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف من يوم القيامة ، حيث قال وهو اصدق القائلين (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) يريد بذلك ان هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب امره ونهيه) وتلك منزلة المعصومين ومن تدبر القرآن الحكيم ، وغاص على اسراره البالغة ، وجد في هذه الآيات البينات من عناية الله تعالى في هؤلاء الأبرار أمراً عظيماً ، لا يوصف بكيف ، ولا يقدر بكم ، الا ترى كيف رتب هذه الشهادات في تزكيتهم ، فكانت كل شهادة اكبر من سابقتها ، إذ شهد اولا بأنهم يوفون بالنذر ، ثم شهد ثانياً بأنهم يخافون يوماً كان شره مستطيرا ، فكانت اعظم من الأولى ، لدلالتها بصريح العبارة على رسوخ الإيمان بالله واليوم الآخر ، ثم شهد لهم ثالثاً بما هو اعظم من ذلك ، فقال (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيرا) الضمير في حبه للطعام على الأظهر والمعنى انهم يطعمون الطعام مع حبه لشدة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة ايام لا يذوقون في لياليها غير الماء ، وهذا على حد قوله تعالى ، وآتى المال على حبه ، وقوله سبحانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وانما كانت هذه الشهادة اعظم لكشفها عن كمال نفوسهم ، وبلوغهم اقصى الغايات في حب الخير والإيثار على انفسهم ، إشفاقاً على المسكين . ورأفة باليتيم . وعطفة على الأسير . وانت تعلم أنهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح . لكنهم مثلوا الحنان والمرحمة . بأجلى مظاهرهما حين لم يكونوا مكلفين بذلك . ولا مسؤولين عنه . وتلك من افضل صفات المقربين .

بقي اعظم الشهادات واجلها . وأقوى الأدلة على تزكيتهم وادلها . ألا وهو الذي اشار اليه سبحانه وتعالى حيث قال . بلسان حالهم عن مكنون سرائرهم (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء) بفعل تفعلونه (ولا شكورا) بقول تقولونه (انا نخاف [١] من ربنا يوماً) موصوفاً على سبيل المجاز بكونه (عبوساً قمطريرا) شديد العبوس ، تشبيهاً له في شدته وضرره ، وتخويفه بالاسد العبوس ، او بالحاكم المتنمر العبوس ، ويجوز وصفه بصفة اهله لعبوسهم يومئذ من شدة اهواله ، كقولهم نهارك صائم — وأنت إذا تدبرت بشائره لهم بالأمن من اهوال ذلك اليوم ، تعرف مزيد عنايته بهم (ع) . حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة . بل جعل البشائر مترادفة متوالية . وكل واحدة منها اعظم من سابقتها . قال اولا (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) تأميناً لهم من شره وضره . ثم اربى على ذلك فقال (ولقاهم نضرة) في وجوههم (وسرورا) في قلوبهم بدل عبوس أعدائهم وحزنهم ثم ترقى في البشارة فقال (وجزاهم بما صبروا) على الإيثار مع شدة الجوع . ابتغاء لمرضاة الله (جنة وحريرا) ثم لم يكتف في البشارة بالجنة على سبيل الإجمال . حتى فصل فيها اكثر الأحوال ، فقال تعالى (متكئين فيها على الأرائك) فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور ، مستبشرين فكهين (لا يرون فيها شمساً) حرها يحمى (ولا زمهريرا) برده يؤذي فالشمس والزمهرير هنا كناية عن الحر والبرد [٢] وقد جمعوا بين البعد عنهما ودنو الظلال عليهم ، كما اشار اليه سبحانه بقوله (ودانية عليهم ظلالها) بنصب دانية ، عطفاً على محل الجملة التي قبلها [٣] لأنها في محل النصب على الحالية من الممدوحين «ع» والتقدير متكئين على الارائك غير رائين شمساً ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها ، ثم لم يكتف سبحانه بهذا القدر من بيان كرامتهم ، حتى قال « وذللت قطوفها تذليلا » والمعنى تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل

---

(١) فمن مجاهد « كما في الكشاف وغيره » انهم لم يقولوا (حين اطعموا الطعام) شيئاً وإنما علمه الله منهم فأثنى به عليهم وهذا من عظيم عنايته بهم

(٢) وقيل ان الزمهرير هنا إنما هو القمر بقرينة مقابلته الشمس وأنشدوا مما يدل على كونه من اسماء القمر :

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر

وعلى هذا فالمعنى ان الجنة ضياء لا حاجة فيها الى الشمس والقمر

(٣) ويجوز عطفها على جنة ، فيكون المعنى وجزاهم جنة وحريرا ، وجنة اخرى دانية —

قطوفها لهم ، إذ الجملة هنا حالية من الضمير في دانية (١) والمراد من تذليل قطوفها جعلها ذللا لا تمتنع على قاطفها متى اراد وكيف شاء ، ويجوز أن تكون مأخوذة من الذل، بمعنى الخضوع . اسهولة قطفها . كيف شاء قطافها — ولو اكتفى جل وعلا بهذا القدر من بيان فوزهم . في دار كرامته لكفاهم شرفا وفضلا . لكنه سبحانه آثر الاطناب فيما تحدى به من معجزات الكتاب . ليمثل بذلك عنايته التامة فيهم تمثيلا . وليفضلهم على من سواهم تفضيلا فقال ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب ﴾ خلقها الله تعالى بباهر قدرته . واتقان صنعه فقال كوني من جنس الفضة في صفاء القوارير وشفيفها . ولذا ﴿ كانت قواريرا (٢) قواريرمن فضة ﴾ فتبارك الله احسن الخالقين . كيف جمع فيها بين صفتي المعدنين المتباينين . ثم لم يكتف سبحانه ببيان جنس تلك القوارير وباهر وصفها . حتى وصفها ايضا بقوله « قدروها » في انفسهم « تقديرا » خاصاً على كيفيات مخصوصة تشتهيها نفوسهم وتلذ بها اعينهم . فجاءت كما قدروا على حسب مايتمنون . ثم شرح تبارك وتعالى ما يقع استعماله منهم في تلك الاكواب فقال ﴿ ويسقون فيها كأساً ﴾ اي خمرة موصوفة بقوله ﴿ كان مزاجها ﴾ الذي تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى ﴿ زنجبيلا ﴾ ويدلك على أن زنجبيلا اسم لعين في الجنة . قوله تعالى ﴿ عيناً فيها ﴾ بالنصب على انها عطف بيان او بدل من زنجبيلا . ويجوز نصبها على الاختصاص . أو على كونها بدلا من كأساً بتقدير حذف مضاف . ويكون المعنى . ويسقون

— عليهم ظلالها إذ انهم وصفوا بالخوف من ربهم ، في قوله تعالى إنا نخاف من ربنا ، وقد وعد الله الخائفين من ربهم بجنتين فقال ، ولمن خاف مقام ربه جنتان ، ويجوز ان تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة — وقرئ ودانية بالرفع على ان تكون خبرامقدما والمبتدأ اوخرظلالها والجملة في محل الحال ، والتقدير لا يرون شمساً ولا زمهريرا ، والحال أن ظلالها دانية عليهم

(١) ويجوز عطفها على دانية اي ودانية عليهم ظلالها ، ومذللة لهم قطوفها ، واذا جعلت متكئين ولا يرون ودانية صفات للجنة ، فلتكن هذه الجملة صفة لها ايضا ، هذا كله مع نصب دانية ، اما مع رفعها على الاخبار بها عن ظلالها فتكون هي وظلالها جملة ابتدائية ، والجملة من وذللت معطوفة عليها

(٢) الالف هنا للاطلاق وهي فاصلة بين قوارير الاولى والثانية وهما لا ينصرفان لكونهما في صيغة منتهى الجموع

فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا . كأس عين ﴿ تسمى سلسبيلا ﴾ لكونها في منتهى السلاسة يقال شراب سلسل . وسلسال اذا كان سلسا سائغا سهل الانحدار . ويقال سلسبيل . إذا كان في غاية السلاسة — لم يكتف عزوجل بقوله ويطاف عليهم . حتى ذكر الطائفين عليهم القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر واجمله ووصفهم بألطف الوصف وافضله . فقال : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم» لجمال منظرهم . وكمال هيئتهم . وصفاء الوانهم وبهاء اشكالهم . ومايروق العالمين من حسنهم ولطفهم . وانبثاثهم في أنديتهم «لؤلؤاً منثورا وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب . اذا نثر من صدفه لحسنه وكثرة مائه — لم يكتف جل وعلا بهذه التفاصيل كلها حتى افاد سبحانه ان الإجمال فيما اعده الله لهم مما لا بد منه . ولا مندوحة عنه لامتناع تفصيله بسبب قصور العبائر . وعجز افهام الناس وقصر ادراكهم . ولذا قال وهو اصدق القائلين « واذا رأيت ثم » فلم يجعل مفعولا لرأيت لاظاهراً ولا مقدراً لتكون الرؤية عامة لجميع ماثمة . والمعنى انك اذا اوقعت رؤيتك هناك على اي شيء من الأشياء تجدك قد (رأيت نعيماً) عظيماً تضيق عنه الأوهام ، (وملكا كبيراً) تنقطع دونه الأماني ، ولا يمكن وصفه الا بهذا المقدار — وهذه الآية أبلغ في كرامتهم من كل ما تقدم وقد تدبرها من تدبرها ، فعلم أن فيها من فضلهم ، مالا يحيط به الا الله تعالى ، ومع ذلك لم ينته ذكره سبحانه لهم ، ووعده اياهم بما هم اهله ، بل قال (عاليهم[٢] ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة) فهم مزدانون بحلي الكرامة ، رافلون في حلل دار المقامة (و) قد(سقاهم ربهم) جل هذا الساقي وتبارك ما اعظم عنايته فيهم ، واجل اهتمامه ببيان كرامتهم ، إذ نسب السقي على سبيل المجاز الى جلالته تعالى ، فما يقول الواصف بعدها وان اطنب ، وما عسى ان يصف القائل فيهم وان اسهب ، وما ظنك بمن يسقيهم ربهم بكأسه الأوفى (شراباً طهورا) يرشح بعد ذلك من ابدانهم عرقاً اطيب من ريح المسك ، لا كخمر الدنيا رجساً نجساً خبيثاً منتناً سالباً للعقل . متلفاً للجسم . مسقطاً للمروءة . معصوراً بالأيدي الوضرة . مداسا بالأرجل القذرة ، موضوعاً في دنان ، قد لا تسلم من الجراثيم السامة واباريق قد لا يعنى بتنظيفها ، مدارة بكؤوس تداولتها الأيدي الأثيمة وولغت فيها الأفواه البخرة

«٢» بنصب عاليهم لكونه حالا من ضمير عليهم في قوله ويطوف عليهم ولدان وقد يقال انها حال من ولدان وقرئ عاليهم بالسكون على انه مبتدأ وخبره ثياب سندس خضر واستبرق

وأنت هداك الله إذا امعنت النظر فيما القاه عزوجل اليهم . في ختام تلك البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة . تتمثل لك عناية الله بهم قالبا حسيا . وترى كرامتهم عليه وسمو منزلتهم لديه شخصا مرئيا . وذلك أنه ختم كلامه في شؤونهم . بقوله مخاطبا لهم (ع) (ان هذا)الاكرام العظيم الذي فصلناه في محكم الذكر تفصيلا وفضلناكم به على العالمين تفضيلا (كان لكم جزاء) على اعمالكم المقدسة . التي استوجبت هذا الإكرام الجسيم . لم تنالوه بشفاعة او بمجرد فضل . وانما اخذتموه بالاستحقاق والعدل (وكان سعيكم) مع ذلك كله (مشكورا) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بقيت نكتة شريفة . وحكمة من حكم الفرقان منيفة . حاصلها أن هذه السورة المباركة كما بشرت هؤلاء الأبرار[1] فقد انذرت اعداءهم الظالمين الكفار . بما اعد الله لهم من السلاسل والأغلال والعذاب الأليم وسعير النار . فأمعن النظر اليها . تجد التصريح بذلك في كل من طرفيها ، كما لا يخفى على الخواضين لعباب الذكر الحكيم ، الغواصين على كل سر من اسراره عظيم ، المتدبرين لمواقع كلمه ، والمستقصين في البحث والتنقيب عن حكمه الذين اذا قرأوا القرآن او استمعوا له ، اصغوا اليه بمجامع قلوبهم ، وخشعت لهيبته جميع جوارحهم فبخعوا لمعانيه ومراميه ، وخضعوا لأوامره ونواهيه ، جعلنا الله في جملة من منّ عليهم بذلك انه ارحم الراحمين .

المطلب الثاني في دلالة السنة المقدسة ، وفيها من الأحاديث الصحيحة ، والنصوص الصريحة ، ماتضيق عنه هذه الرسالة ، ولا تحتمله هذه العجالة ، وانما نذكر منها اثني عشر حديثا تبركا بهذا العدد الميمون

---

[1] يجب ان يعلم ان آيات الثناء والبشائر في سورة الدهر كلها ، لعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وآيات الوعيد والذم والتهديد فيها لاعدائهم ، بقرينة ان السبب في نزول تلك السورة بتمامها انما هم عليهم السلام ، لكن الالفاظ في كل من المقامين عامة شاملة لكل من اتصف بتلك الاوصاف ، وعلى هذا فالبشائر والمدائح في تلك السورة تتناول عليا وفاطمة والحسن والحسين اولا وبالذات ، ثم تتناول من اتصف بصفاتهم ثانيا وبواسطة دخولهم في تلك العمومات — وكذلك القول في آيات الذم والوعيد ، فإنها تتناول اولا وبالذات اعداء اولئك الأبرار الذين كانوا سببا في نزول السورة باجمعها ، ثم تتناول غيرهم لدخوله في العموم ، حيث ان المورد لا يخصص الوارد فاحفظ هذا فإنه ينفعك في كثير من الآيات ان شاء الله تعالى

١ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، اخرجه جماعة من المحدثين كثيرون ، كالإمام احمد من حديث رواه عن ابن عباس في صفحة ٢٩٣ من الجزء الاول من مسنده ، وأبي داود (كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب) وقاسم بن محمد ❊ كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب ❊ وجماعة من حملة الآثار ، وحفظة الأخبار ، لا يسع المقام استيفاءهم

٢ قول رسول الله (ص) ، خير نساء العالمين اربع ، مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، أخرجه ابو داود ❊ كما في ترجمة خديجة من الإستيعاب ❊ بالاسناد الى انس ، ورواه عبد الوارث بن سفيان ❊ كما في ترجمتي الزهراء وخديجة من الاستيعاب ❊ بالاسناد الى ابي هريرة ، ونقله غير واحد من ثقاة المحدثين بطرقهم الى انس ، وابي هريرة .

٣ قول رسول الله «ص» حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون ، اخرجه الترمذي ❊ كما في اربعين النبهاني ❊ (١) عن انس ، ورواه عنه ايضاً السراج ❊ كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب ❊ واخرجه ابو داود ❊ كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ❊ ونقله الشعبي ❊ كما في ترجمة الزهراء من الإصابة ❊ عن جابر ، ولا يسعنا استقصاء من اخرج هذا الحديث بطرقهم المختلفة الى انس وجابر — وأنت تعلم ان هذه الأحاديث الثلاثة ونحوها نصوص جلية ، في تفضيل الأربع على سائر نساء البرية ، ولا تعرض فيها لبيان الافضل من تلك الأربع ، لكن صحاحنا المتواترة ، عن أئمة العترة الطاهرة ، نصوص في تفضيل الزهراء صريحة لا تقبل التأويل ، كما يشهد به كل من أنعم الله عليه بالاستسلام لحكمها — وحسبك في تفضيل الزهراء أنها بضعة من سيد الأنبياء ، ولا نعدل به ولا ببضعته احداً من العالمين — وقد وافقنا في تفضيلها جمهور المسلمين ، وصرح به كثير من المحققين ، نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبعين ، كالمعاصر النبهاني ، حيث قال في احوال الزهراء من «كتابه الشرف» المؤبد ما هذا لفظه : وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى على السيدة مريم كثير من العلماء المحققين ، منهم التقي السبكي ، والجلال السيوطي ، والبدر

(١) راجع صفحة ٢٢٠ من كتاب الأربعين اربعين من احاديث سيد المرسلين .

الزركشي ، والتقي المقريزي «قال» وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك — الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة بنت محمد افضل — (قال) وسئل عن مثل ذلك ابن ابي داود فقال ٠ ان رسول الله «ص» قال فاطمة بضعة مني ٠ ولا اعدل ببضعة رسول الله احدا — ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف فراجع ٠

٤ ما اخرجه ابو داود ﴿ كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ﴾ بسنده الى ابن عباس ٠ قال : قال رسول الله «ص» سيدة نساء اهل الجنة بعد مريم بنت عمران ٠ فاطمة بنت محمد ٠ وخديجة وآسية اه — وهذا كالأحاديث السابقة في الدلالة على تفضيل الأربع على من سواهن من نساء العالمين ٠ الا انه ربما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء لكن الأدلة الأخر التي هي اكثر عدداً واصح سنداً واصرح دلالة من هذا الحديث ونحوه توجب الاعراض عما يستشعر منه على انه لا يروى من طريق اصحابنا كما لا يخفى ٠

٥ ما اخرجه البخاري[1] ومسلم[2] والترمذي في صحاحهم ٠ وصاحب الجمع بين الصحيحين ٠ وصاحب الجمع بين الصحاح الستة ٠ والامام احمد من حديث الزهراء من مسنده[3] وابن عبد البر في ترجمتها من استيعابه ٠ ومحمد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته وفي باب ما قاله النبي في مرضه من المجلد الثاني من الطبقات ايضاً — واللفظ الذي تسمعه للبخاري في آخر ورقة من كتاب الاستئذان ٠ من الجزء الرابع من صحيحه ٠ قال حدثنا موسى عن ابي عوانة ٠ عن فراس ٠ عن عامر ٠ عن مسروق ٠ حدثتني عائشة ام المؤمنين ٠ قالت : إنا كنا ازواج النبي عنده جميعا لم تغادر منا واحدة ٠ فأقبلت فاطمة تمشي لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله «ص» فلما رآها رحب و قال: مرحباً بابنتي، ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ، ثم سارّها فبكت بكاء شديدا ٠ فلما رأى حزنها سارها الثانية ٠ اذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه — خصك رسول الله «ص» بالسر من بيننا ٠ ثم انت تبكين فلما قام رسول الله «ص» سألتها عما سارك ٠ قالت ما كنت لأفشي على رسول الله سره ٠ فلما توفي قلت لها عزمت عليك بما لي عليك من الحق ٠ لمّا

(١) راجع آخر صفحة ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه المطبوع بالمطبعة البهية سنة ١٣٣٢

(٢) راجع باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه تجد طرقه في هذا الحديث الى عائشة متعددة

(٣) راجع صفحة ٢٨٢ من الجزء السادس من المسند ٠

اخبرتني . قالت أما الآن فنعم ، فأخبرتني قالت أما حين سارني في الأمر الأول فإنه اخبرني ان جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة ، وانه قد عارضني به العام مرتين ولا ارى الأجل الا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري ، فإني نعم السلف أنا لك قالت فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية ، قال يافاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين ، او سيدة نساء هذه الأمة اه . ولفظه فيما ذكره ابن حجر في ترجمتها من الإصابة ، وغير واحد من المحدثين الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين ، وكيف كان فالحديث صحيح والنص في تفضيلها صريح – واخرج ابن سعد في باب ما قاله النبي لها في مرضه ، من المجلد الثاني من طبقاته بالاسناد الى ام سلمة ، قالت لما حضر رسول الله «ص» دعا فاطمة فناجاها فبكت ، ثم ناجاها فضحكت ، فلم اسألها حتى توفي رسول الله «ص» فسألتها عن بكائها وضحكها ، فقالت اخبرني انه يموت ، ثم اخبرني اني سيدة نساء اهل الجنة ، الحديث . واخرجه ايضاً ابو يعلى ﴿ كما في ترجمة الزهراء من الاصابة ﴾ بالاسناد الى ام سلمة ، ورواه عنها غير واحد من اهل الحديث .

٦ ما اخرجه جماعة من الحفظة واهل الضبط ، ممن حملوا العلم بأسانيده وطرقه كابن عبد البر في ترجمتها عليها السلام من الاستيعاب ، أن النبي «ص» عادها وهي مريضة فقال كيف تجدينك يابنية ، قالت اني لوجعة ، وانه ليزيدني أني مالي طعام آكله ، قال يابنية اما ترضين انك سيدة نساء العالمين ، قالت ياابة فأين مريم بنت عمران . قال تلك سيدة نساء عالمها ، وانت سيدة نساء عالمك ، اما والله لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة اه .

٧ ما اخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن حبان « كما في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر » عن حذيفة أن النبي «ص» قال له امارأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك ، هو ملك لم يهبط الى الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربه عز وجل ان يسلم علي ويبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ، وأن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة اه .

واخرج ابن حبان وغيره — كما في احوال الزهراء من الشرف المؤبد وغيره — عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ص ان ملكا من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربي في زيارتي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء امتي اه .

٨ ما اخرجه حفظة الاخبار وحملة الآثار كعبدالرحمن بن ابي نعيم — كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب والاصابة وغيرهما — عن ابي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الحديث .

٩ ما اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما — كما في ترجمة الزهراء من الاصابة وغيرها — عن المسور قال : سمعت رسول الله «ص» يقول على المنبر ، فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما آذاها ، ويريبني مارابها — ونقل النبهاني في احوال الزهراء من الشرف المؤبد عن البخاري بسنده الى رسول الله (ص) قال فاطمة بضعة مني ، يغضبني مايغضبها قال : وفي رواية فمن اغضبها اغضبني قال : وفي الجامع الصغير ، فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ، ويبسطني ما يبسطها — وقالت — بأبي هي وامي — لأبي بكر وعمر — كما صرح به الامام ابن قتيبة في اوائل كتاب الإمامة والسياسة — نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله (ص) يقول رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي فمن احب ابنتي فاطمة فقد احبني ومن ارضى فاطمة فقد ارضاني ، ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني ، قالا نعم سمعناه من رسول الله (ص) وهذا من الأحاديث المتواترة ، عن أئمة العترة الطاهرة ، وكفى به حجة لتفضيلها على من سواها من نساء العالمين ، وهل يعدل مسلم ببضعة النبي (ص) وبقيته في امته احداً من الناس ، وقد تدبر هذا الحديث من تدبره من أولي الألباب ، فرآه يرمي الى عصمتها ، لدلالته على امتناع وقوع كل من اذيتها ، وريبتها ، وغضبها ، وسخطها ، ورضاها ، وانقباضها ، وانبساطها ، في غير محله ، كما هو الشأن في اذية النبي «ص» وريبته ، ورضاه ، وسخطه ، وانقباضه ، وانبساطه وهذا كنه العصمة وحقيقتها كما لا يخفى .

١٠ ما اخرجه ابن ابي عاصم — كما في ترجمتها من الإصابة — بسنده الى علي عليه السلام قال : قال رسول الله «ص» لفاطمة ان الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك — واخرجه الطبراني وغيره باسناد حسن — كما في احوالها من الشرف المؤبد وغيره — وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق .

١١ ما اخرجه جماعة من أثبات المحدثين وأعلامهم ، كالإمام احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده ، قال نظر النبي (ص) الى علي والحسن والحسين وفاطمة ، فقال أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم — واخرج الترمذي

من حديث زيد بن ارقم (كما في ترجمة الزهراء من الاصابة) أن رسول الله قال — علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم اه . — وهذا الحديث في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه وفيه دلالة على كفر محاربيهم كما ترى .

١٢ ما اخرجه المحدثون بالإسناد الى علي ، واللفظ لأحمد في صفحة ١٠١ من الجزء الأول من مسنده ، عن عبد الرحمن الأزرق عن علي قال دخل عليّ رسول الله (ص) وانا نائم على المنامة فاستسقى الحسن او الحسين قال فقام النبي (ص) الى شاة لنا بكي[1] فحلبها فدرت فجاءه الحسن فنحاه النبي (ص) فقالت فاطمة يارسول الله كأن احاهما احبهما اليك قال لا ، ولكنه استسقى قبله ، ثم قال إني واياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة اه .

بخ بخ هذا هو الفضل الذي بخع له الأولون والآخرون فلا يلحقهم بعده لاحق ولا يطمع في ادراكهم طامع ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

هذا آخر ما وسعته العجالة ، واحتملته هذه الرسالة ، وقد استقصينا في سبيل المؤمنين[2] كل ما يدل على تفضيلهم عليهم السلام .

وحسبك في تفضيلها بالخصوص ما اخرجه الطبراني في ترجمة ابراهيم بن هاشم من معجمه

«١» اي قل لبنها وقيل انقطع وهذا الحديث اشار اليه صاحب لسان العرب في مادة بكأ .

(٢) نكبتنا في سبيل المؤمنين سنة ١٩٢٠ غربية وهي سنة ١٣٣٨ هجرية يوم رزئنا بجل ما الفناه قبل تلك النازلة ، التي عمت ابناء عاملة ، واختصت بهذا الضعيف حيث اوغل الغاشمون في طغيانهم واجوا في عدوانهم ، ومضوا في التنكيل والتقتيل والتشريد على غلوائهم ، واطلقوا في البنادق والمشانق والنهب والضرب والتحريق والتمزيق اعنة اهوائهم — ركبوا في ذلك رؤسهم ، متهافتين في اعمالهم لايلوون على احد ، وكنت في طليعة من تبدد وتشرد ، وليتهم كفوا عن تلك الكتب القيمة واكتفوا بما سواها — عند الله احتسب تلك المؤلفات التي افنيت فيها عمري ، ورهقني بفقدها ما نقض بمرة صبري فانا لله وانا اليه راجعون — أنشد الله امرأ وقع في يده شيء منها إلا أثلج به كبدي الحرى ، فإن لكل كبد حرى اجرا — واليك ضالتي المنشودة ، ونفائسي المفقودة * ١ شرح التبصرة على سبيل الاستدلال خرج منه كتاب الطهارة ، وكتاب القضاء والشهادات وكتاب المواريث في ثلاثة مجلدات * ٢ تعليقة على استصحاب رسائل الشيخ في مجلد واحد * ٣ رسالة في منجزات المريض استدلالية * ٤ سبيل المؤمنين ثلاثة مجلدات في امامة أئمتنا الاثني عشر واحوالهم ومناقبهم وهديهم «ع» لانظير له في موضوعه * ٥ النصوص الجلية في امامة العترة الزكية يشتمل على ثمانين نصا اربعين مما اجمع على —

الأوسط عن عائشة قالت : مارأيت احداً قط افضل من فاطمة غير ابيها — وسند هذا القول الى عائشة صحيح على شرط البخاري ومسلم صرح بذلك ابن حجر في ترجمة الزهراء من اصابته والنبهاني في آخر صفحة ٥٨ من الشرف المؤبد — واخرج ابن عبدالبر في ترجمة الزهراء من استيعابه بالاسناد الى ابن عمير قال دخلت على عائشة فسألتها اي الناس كان احب الى رسول الله (ص) قالت فاطمة، قلت فمن الرجال قالت زوجها — واخرج في ترجمتها «ع» من الاستيعاب ايضاً عن بريدة قال كان احب الناس الى رسول الله من النساء فاطمة ومن الرجال علي — وقالت عائشة مارأيت احداً أصدق لهجة من فاطمة الا ان يكون الذي ولدها (ص)

— صححه المسلمون واربعين مما انفردت به الامامية وفيه وفي سبيل المؤمنين ما شئت من أدلة عقلية ونقلية وحكمة فلسفية * ٦ تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة مجلد واحد يشتمل على مائة آية نزلت فيهم بحكم الصحاح المجمع على تصحيحها وقد تكلمنا فيه وفي سبيل المؤمنين بما يوجبه التحقيق في العلوم مجانبين فيها الاطناب الممل والايجاز المخل * ٧ تحفة المحدثين فيما اخرج عنه الستة من المضعفين وهذا هو المعجم الأول الذي لم يكتب قبله في هذا الموضوع * ٨ تحفة الأصحاب في حكم اهل الكتاب * ٩ الذريعة في نقض البديعة (اعني بديعة النبهاني) * ١٠ المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة أربعة مجلدات، المجلد الأول في السيرة النبوية الدالة بمجردها على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم الثاني في سيرة امير المؤمنين والزهراء والحسن المجتبى ذكرنا منها ما يدل بحكم الفلسفة العقلية على عصمتهم، الثالث خاص بسيد الشهداء على وتيرة الأول والثاني، الرابع في سيرة التسعة اقتصرنا منها على ما يدل بمجرده على امامتهم وعصمتهم وفي هذه المجالس من الفلسفة ما يحكم العقل والنقل بصحته — وقد طبعت مقدمتها فكانت رسالة لها السبق في موضوعها * ١١ المناظرات الأزهرية والمباحثات المصرية كتاب يشتمل على مهمات المسائل الخلافية متكفلا باثبات الحق من طريق مخالفيه * ١٢ مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام خرج منه مجلد واحد نشر عنه (العرفان في مجلداته الاول والثاني والثالث) تراجم كثير من الاعاظم * ١٣ بغية الفائز في نقل الجنائز نشرت العرفان جلها * ١٤ بغية السائل عن لثم الأيدي والأنامل رسالة فيها اربعون حديثاً من طريقنا واربعون من طريق غيرنا ادلة على الموضوع وتكلمنا فيها بهذه المناسبة في مطلق التقبيل فكانت رسالة علمية ادبية فكاهية * ١٥ زكاة الأخلاق رسالة شريفة نشرت مجلة العرفان الغراء لما منها * ١٦ الفوائد والفرائد يعرف موضوعها من اسمها * ١٧ تعليقة على صحيح البخاري * ١٨ تعليقة على صحيح مسلم * ١٩ الاساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة كتاب لم يسبق اليه (في ادلته العقلية والنقلية) نظير «ودع عنك نهباً صيح في حجراته»

اخرجه ابن عبد البر فى ترجمة الزهراء من استيعابه . والحمد لله اولا وآخراً . وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا .

وكان الفراغ من تأليفها في مدينة صور مستهل رجب سنة الف وثلاث مائة وست واربعين هجرية بقلم مؤلفها الأقل عبد الحسين بن الشريف يوسف بن الجواد بن اسماعيل بن محمد بن محمد[1] بن ابراهيم ويلقب شرف الدين ابن زين العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن ابن محمد ابن عبد الله بن احمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن ابراهيم المرتضى ابن الإمام ابي الحسن موسى[2] الكاظم ابن الإمام ابي عبد الله الصادق ابن الإمام ابي جعفر الباقر ابن الامام زين العابدين علي ابن الإمام ابي عبد الله الحسين سيد الشهداء وسبط سيد الأنبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين .

«١» الى محمد هذا ينتهي نسب والدة المؤلف ايضا فانها كريمة الهادي بن محمد علي بن صالح بن محمد المذكور

«٢» يقال للمؤلف موسوي نسبة الى هذا الامام كما يقال ذلك لكل حسيني تفرع عن شجرة موسى الكاظم عليه السلام : تمت التعليقة بقلم مؤلفها الاقل عبد الحسين شرف الدين الموسوي سنة ١٣٤٦ والحمد لله

خطأ وصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	٢	العارفون	العارفين
٩	٢	المقدرون	المقدرين
١٠	٤	ليكون	فيكون
٢٦	٢٠	أفقد	فقد
٣٢	٢٢	مدايما	مدوسا